مدارج السالكين

إلى رسوم طريق العارفين

تأليف

الإمام الربّاني العارف بالله تعالى

أبي المواهب عبد الوهّاب بن أحمد بن عليّ الشّعراني

المتوفّى سنة ٩٧٣ هجريّة



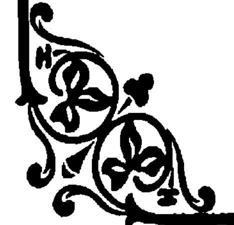
تحقيق

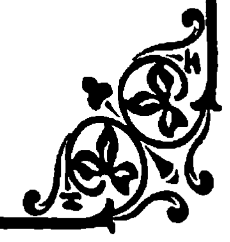
بلال خالد البعيج

عفا الله عنه

دار ضياء الشام



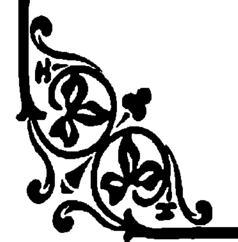


مدارج السالكين
إلى رسوم طريق العارفين


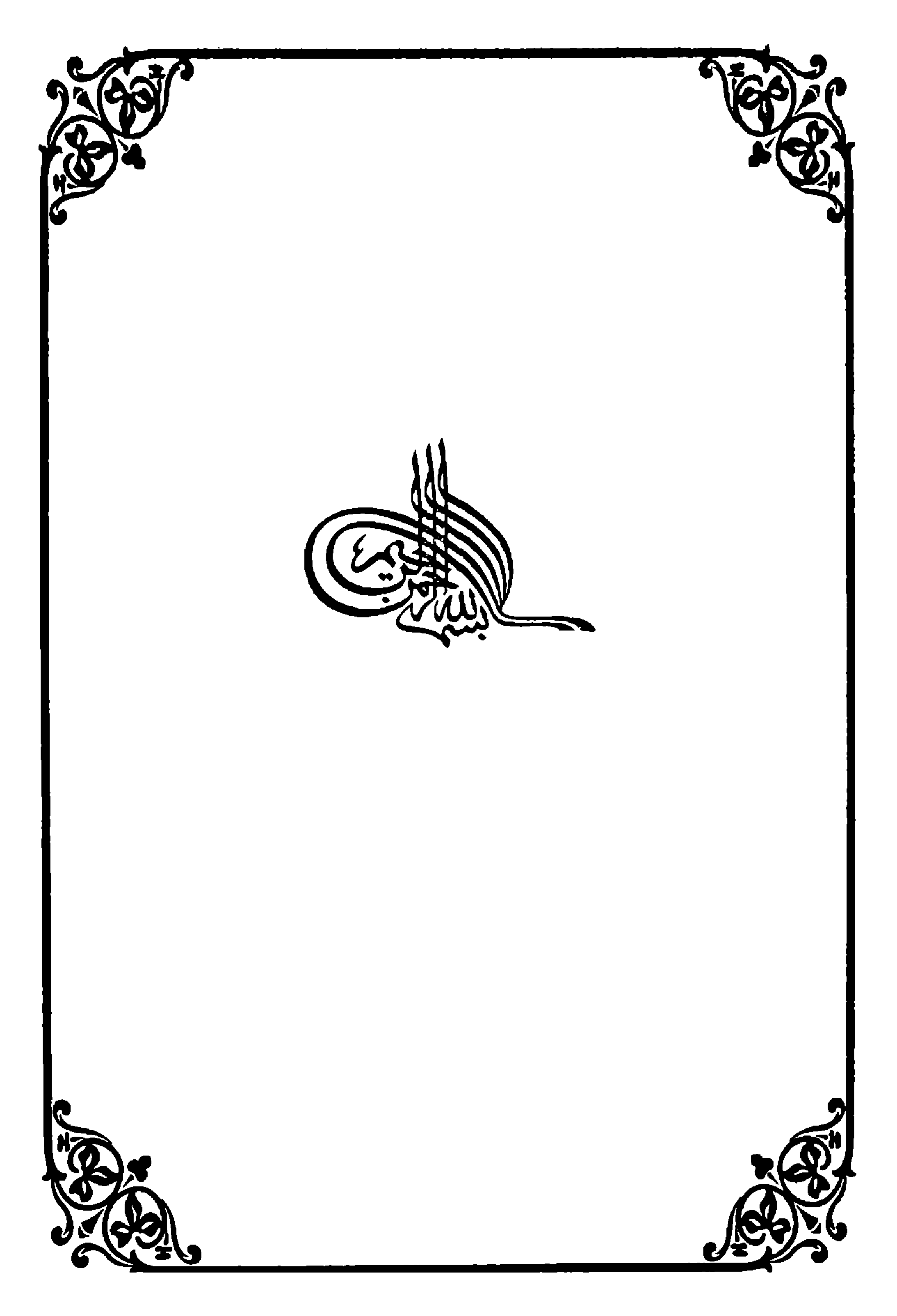


تأليف
الإمام الربّاني العارف بالله تعالى
أبي المواهب عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الشعراني
المتوفّى سنة ٩٧٣ هجرية

تحقيق
بلال خالد البعيج
عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنَّ الحمدَ لله نحمدُهُ، ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سيِّئات أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ.. فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يضلِلْ.. فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

الحمد لله القائل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، والقائلِ جَلَّ في عُلاهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]، والقائلِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

والصَّلاة والسَّلام الأتمَّان الأكملانِ على سيِّدِنا محمَّدٍ أحبِّ الخلقِ إلى الله، وأقربِهِم إلى مولاه، القائلِ كما في الحديث الصحيح عندما سأله جبريل

عليه السلام؛ قال: ما الإحسانُ؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ.. فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١)، والقائل كما في الحديث القُدْسِيِّ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ.. كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي.. لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي.. لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(٢).

ورضي الله تعالىٰ عن الصحابة الأخيار، والآل الأطهار، والتابعين الأبرار، ومن اهتدىٰ بهديهم وسار علىٰ دربهم من أئمة الهدىٰ ما حَلَّ ليلٌ وطَلَعَ النَّهار، قَومٌ صَدَقُوا الله فصَدَقَهم، وأخلَصُوا له فأَخلَصَهُم، عَلِمُوا فعَمِلُوا، وجاهدُوا أنفُسَهُم فتَرَقَّوا حتىٰ وصَلُوا، وكانوا بذٰلك الأدِلَّة لمَنْ بعدَهُم في سَيْرِهِمْ، والحُجَّةَ التي أقامَها الله علىٰ مَنْ حادَ عن نهجِهِم، وكان دلِيلُهُم في كلِّ حال كتابَ الله وسُنَّةَ نبيِّه ﷺ، هَذَّبوا النفوسَ؛ فطهَّرُوها مِنْ كلِّ خُلُقٍ ذَميم، وحَلَّوْها بكُلِّ خُلُقٍ كريم، وحاسَبُوا النُّفوس علىٰ كلِّ نَفَسٍ وخاطِرٍ، واعتَنَوْا بصفاء الباطِنِ وكمالِهِ كما الظَّاهِر، وتدرَّجوا بذٰلك حتىٰ وصلُوا أعلىٰ المراتب، وكان ذٰلك حقيقة الشَّرع أصْلًا، وإنْ سُمِّيَ بالتصوف بعد وجودِهِ فعلًا، فكان التصوف حقيقةً وإنْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٠) مطولاً ومسلم في صحيحه رقم (٩) مطولاً كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لـم يكن له اسـم، ولا يَضِيرُهُ تحريفُ المُبْطِلِين ممَّن جاء بَعْـدُ فغَيَّبَ الحقيقة ولم يُبْقِ إلا الرَّسْم.

وكان مِنْ تمامِ فضلِ الله على الأمَّة المحمَّديَّة المباركة وأبنائِهَا الصَّادقين.. أنْ هيَّأ لهـا في كل زمان مَنْ يَجْلُو عن وجـه الحقيقة ما قد يُغَطِّيها مِنْ غُبارِ الباطِلِ ودَخَنِ المُبْطلين، ويُبْرِزُها بأبهى صورَةٍ وأنصَعِ جبين، فبَرَزَ على مَرِّ العصور رجالٌ مَثَّلـوا الحقيقة بحالِهِـم وقالِهِم، وخَلَّفوا لنا تراثًا يشـهد بذلك مِنْ خلال سِيَرِهِم ومصنَّفاتِهِم، فأرشـدوا الطالبين لطريق القرب من رب العالمين، وأخذو بأيديهم إلى سبيل الولاية التي نص عليها في كتابه العظيم؛ حيث قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وبعد:

فإنَّ هذا السِّفْرَ العظيم الذي بين أيدينا -والمَوْسُوم باسم: «**مَدارِج السَّالِكِينَ إلى رُسُومِ طَرِيقِ العارِفِين**»- لَيُمَثِّلُ ذلك النَّهجَ المُبارَكَ الذي يتدرَّج بالسَّالك إلى طريق المعرفة والولاية والقرب، بَيَّنَ فيه المصنف ﷺ آداب المُريد في نفسه ومع خالقـه، وآدابه مع شيخه وإخوانه، وتنـاول أدَقَّ تفاصيل ذلك، وفي ذلك إشـارة منـه إلى أنَّ السَّـالك قد اسـتكمل الأُسُسَ والأصول.. فراح يسـتكمل التفاصيل والفروع.

فجـاء الكتاب كالطِّبِّ والدَّواء لِمَا يعرض للسَّـالك مِـنَ الأمراض الأَدْوَاء، كيف لا وهو عُصَارَةُ ما تحصَّلَ لدى الشَّـعْراني مِنَ الخبرة في التربية والسلوك؟!

وهـو مَـنْ هو في هٰذا الميدان! فدوَّنَ في هٰذا الكتاب اللَّطيف زُبْدَةَ ما كان قد دَوَّنَهُ فـي غيـره مِنَ التَّصانيف، وهي غنيَّة عن التعريف، فيكتفي بـه المُبتَدِي، ويتذكَّرُ به المُنتَهِـي، ومَـنْ أراد المزيد والبيـان.. طالَعَ غيرَهُ مِنْ مُصنَّفاته المبسـوطة في هٰذا الميدان.

ولا أريـد أنْ أطيل فـي هٰذه العُجالَةِ بالحديث عـن المصَنِّف وما تعرَّضَ له مِنَ النَّقدِ أو الثَّناء، وما قيل في مصنَّفاته وما نسب إليه؛ إذ بيَّنْتُ ذٰلك مُختَصَرًا أثناء الترجمة له ﵀، ولا شـكَّ أنَّ الباحث الجادَّ المُنْصِفَ يجدُ الكثير ممَّا قيل في هٰذا الباب.

هٰـذا، وقـد قَدَّمتُ بدايَـةً بين يدي الكتـاب بهٰـذه المُقَدِّمَةِ المُوجَـزَةِ؛ لأُبيِّنَ للقارئ طرفًا ممَّا هو عليه مُقْبِل.

ثـم ثَنَّيْـتُ بعدهـا بترجمـة للمُصَنِّفِ ﵀ تعالـىٰ توضِـحُ للقـارِئِ جانِبًا مِنْ منزلَةِ هٰذا الإمام الكبير، والعَالِمِ النِّحْريرِ، مع سَرْدٍ لأسـماء أشـهرِ مُصَنَّفاتِهِ عليه رحمـة الله، وبيَّنـتُ فيها جانبًا ممَّـا ثار في حقِّه مِـنَ الخِصامِ، وما تعـرَّض له مِنَ الرَّمـي ومـا رُدَّ بـه علىٰ هاتيك السِّهام، وهي - علـىٰ كلِّ حال - ترجمـةٌ موجَزَةٌ غايتُها تحقيقُ بعضِ المقصود، وإلَّا فالشَّـعْرانِيُّ ﵀ قد دُوِّنَتْ فيه مصنَّفاتٌ أفردته بالدراسة، ومع ذٰلك يستحق المزيد.

ثُـمَّ ثَلَّثْـتُ بمَنْهَجِي في تحقيق هٰذا الكتاب، وما قُمتُ به مِنَ العمل خِدْمةً له ليظهر بأبهىٰ الثِّياب، راجيًا مِنَ المولىٰ الجليل حُسْنَ الثَّواب.

ولله دَرُّ الشاطِبِيِّ إذ يقول:

وَإِنْ كَـانَ خَـرْقٌ فَـادَّرِكْـهُ بِفَضْلَةٍ مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلا

وَبِاللهِ حَـوْلِـي وَاعْتِصَامِي وَقُـوَّتِـي وَمَـالِـيَ إِلاَّ سَـتْـرُهُ مُتَجَلِّلا

فَيَا رَبِّ أَنْـتَ الله حَسْبِي وَعُـدَّتِـي عَلَيْكَ اعْـتِـمَـادِي ضَـارِعًا مُتَوَكِّلا

وَآخِـرُ دَعْـوَانَـا بِـتَـوْفِـيـقِ رَبِّنَـا أَنِ الْحَـمْدُ لِلهِ الَّـذِي وَحْـدَهُ عَلا

وَبَـعْـدُ صَـلاَةُ الله ثُـمَّ سَـلاَمُـهُ عَلَىٰ سَيِّدِ الْخَلْقِ الرِّضَـا مُتَنَخَّلا

مُحَمَّـدٍ الْمُخْتَارِ لِلْمَجْدِ كَعْبَةً صَـلاَةً تُـبَارِي الـرِّيحَ مِسْكًا وَمَـنْدَلا

وَتُـبْـدِي عَلَىٰ أَصْـحَابِـهِ نَفَحَاتِهَا بِـغَـيْـرِ تَـنَـاهٍ زَرْنَـبًـا وَقَـرَنْـفُـلا

والحمد لله رب العالمين





ترجمة المصنف(١)

اسمه ونسبه رحمه الله

هو أبو المواهب، عبد الوهَّاب بن أحمد بن علي الأنصاري المشهور بـ الشَّعْراني والشَّعراوي، العالِمُ الزَّاهدُ، الفقيهُ المُحَدِّثُ، المصريُّ الشَّافعيُّ الشَّاذِلِيُّ.

وقد عَرَّف الشَّعْرانِيُّ بنفسه في كتابه «لطائف المنن»؛ فقال: فإنِّي - بحمد الله تعالى - عبد الوهَّاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوفا، ابن الشَّيخ موسى المُكَنَّى في بلاد البَهْنَسَا(٢) بأبي العمران جدي السادس، ابن السلطان أحمد، ابن السلطان سعيد، ابن السلطان فاشين، ابن السلطان محيا،

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: «الكواكب السائرة» (٣/ ١٥٧-١٥٨)، و«الكواكب الدرية» (٤/ ٦٩) وما بعدها، و«السناء الباهر» (٤٩٢) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٥٤٤) وما بعدها، و«فهرس الفهارس والأثبات» (٢/ ١٠٧٩) وما بعدها، و«لطائف المنن والأخلاق» (٦٦) وما بعدها، و«جامع كرامات الأولياء» (٢/ ٣٣١) وما بعدها، و«هدية العارفين» (١/ ٦٤١-٦٤٢).

(٢) بَهْنَسَى - كقَهْقَرَى -: كُورَةٌ بصَعيد مِصرَ الأدنى، غربي النِّيلِ. «تاج العروس» مادة (ب هـ ن س).

ابن السلطان زوفا، ابن السلطان ريان، ابن السلطان محمد بن موسىٰ، ابن السيد محمد بن الحنفية، ابن الإمام علي بن أبي طالب.

مولده ونشأته رحمه الله

وُلِدَ الشَّعرانِيُّ في قَلْقَشَنْدَةَ في مصر، في رمضان (سنة ٨٩٨هـ)، ثمَّ انتقل إلىٰ ساقية أبي شَعْرَةَ مِنْ قرىٰ المَنُوفِيَّةِ، وإليها نسبته، فيقال: الشَّعْرانِيُّ، والشَّعْراوِيُّ.

نشأ يتيمًا؛ إذ مات أبوه وهو طفل صغير، ومع ذٰلك ظهرت عليه علامات النَّجابة وأَمَاراتُ السِّيادة، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنين، وواظب علىٰ الصلوات الخمس في أوقاتها، وشَرَعَ في مجاهدة النفس قبل بلوغ سِنِّ الرُّشد، ثمَّ حفظ متون العلم، كـ«متن أبي شجاع» في فقه الشافعية، و«الآجرومية» في النحو، وقد درسهما علىٰ يد أخيه عبد القادر الذي كفله بعد أبيه.

ثم انتقل إلىٰ القاهرة (سنة ٩١١هـ)، فأقام في جامع أبي العباس الغَمْرِيِّ، وحفظ عدَّة متون؛ منها: «منهاج الطالبين» للنووي في الفقه الشافعي، و«ألفية» ابن مالك، و«التوضيح» لابن هشام في النحو، و«جمع الجوامع» في أصول الفقه، و«ألفية» العراقي في الحديث، و«تلخيص المفتاح» في البلاغة، و«الشاطبية» في القراءات، وغيرها، وعرض ما حفظ علىٰ مشايخ عصره.

كما طالع أصول كتب المذاهب والتفسير وشروح الحديث وغيرها ممَّا يضيق المقام عن ذكره، وقرأها علىٰ أئمَّة عصره، قراءَةً علميَّةً منهجيَّة، وحشَّىٰ عليها ودَوَّن الكثيرَ مِنَ الفوائد.

ولبث رحمه الله في مسجد الغَمْرِيِّ يُعَلِّم ويتعلَّمُ سبعة عشر عامًا، ثم انتقل إلى مدرسة أم خوند، وفي تلك المدرسة بزغ نجمه وتألَّق، وحُبِّبَ إليه علم الحديث؛ فلزم الاشتغال به والأخذ عن أهله.

وبعد تمكُّنِهِ رحمه الله في العلوم العربيَّة والشرعيَّة بكافَّة فروعها.. سَلَكَ طريق التصوُّفِ ومجاهدة النَّفْسِ، فارتاض برياضات شتَّى، وأخذ عن أكابر زمانه الطريقَ، وتلقَّن الذِّكر ولبس الخِرْقَةَ، وصَحِبَ جَمْعًا منهم يأتي ذِكْرُهم قريبًا، وأقام مجالس العلم والوعظ، والتربية والسلوك والذكر، وانتفع به خلق لا يحصون كثرة.

كما صنَّف التصانيف النافعة الكثيرة، في شتى ميادين العلوم؛ مِنَ اللُّغة والعقيدة والفقه والأصول والحديث والتراجم والتصوُّف والسُّلوك، وعلا شأنه وذاع صيته؛ فحسده طوائف، فدسُّوا عليه كلمات يُخالِفُ ظاهرُها الشرعَ، وعقائِدَ زائغَةً، ومسائِلَ تُخالِفُ الإجماع، وأقاموا عليه القيامة، وشنَّعوا وسَبُّوا، ورَمَوْهُ بكلِّ عظيمة، فخذلهم الله وأظهره عليهم.

وقد نصَّ الشَّعْراني رحمه الله على حصول ذلك في حياته[1]، ولا شك أنَّه وقع بعد وفاته أيضًا؛ كحال كلِّ عظيم، وهي سنة الله في خلقه، وقد نصَّ مَنْ بعدَهُ على وقوع ذلك له[2].

---

(١) انظر: «لطائف المنن والأخلاق» (٧٦٢) وما بعدها.

(٢) انظر: «الكواكب الدرية» (٤/ ٧١)، و«السناء الباهر» (٤٩٥)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٥٤٦)، و«حاشية ابن عابدين» (٤/ ٤٢٤).

وبمطالعة تصانيفه ﷺ يتبيَّن للقارئ المُنْصِفِ مذهبُهُ العَقَدِيُّ، ومَسْلَكُهُ الصُّوفِيُّ مبنيًّا على أسس واضحة وَفْقَ ما في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، لا سيَّما وهو القائل: دُورُوا مع الشرع كيف كان، لا مع الكشف؛ فإنَّه قد يخطئ. والقائل أيضًا: ينبغي إكثار مطالعة كتب الفقه؛ عكس ما عليه المتصوِّفة الذين لاحت لهم بارقَةٌ مِنَ الطريق فمَنَعُوا مطالَعَتَهُ؛ وقالوا: إنَّه حجاب؛ جهلًا منهم(١).

فكيف يُصَدِّقُ أي مُنصِفٍ عاقل بعد ذٰلك ما يُنْقَلُ عنه مِنْ كلام لا يقول به الحمقى والمُغَفَّلون، ولا يُصَدِّقُه الصِّبيان فضلًا عمَّن هو فوقهم؟! وجُلُّ ذٰلك مسطورٌ في «طبقاته الكبرى» المتداوَلَةِ بين أيدي الناس اليوم، فالإنصاف أنْ يُقارَن ذٰلك بما سطره في غيرها، وأنْ يُوزَنَ ذٰلك بميزان الشَّعْراني نفسه، ولا يمكن أنْ يُحْكَمَ عندها إلا بأنَّه مدسوس في كتبه، مفترى عليه، والظُّلم كلُّ الظُّلْمِ أنْ يُعْمِيَ الباحث أو القارئ عينيه عن الصواب الواضح والحقِّ الأبلج المُقَرَّرِ في غالب كتبه، ثم يبحث عن تُرَّهات ممجوجة واضحة الوضع، ثم يقرِّرها على أنَّها مذهب الشَّعْراني وطريقه؛ ليهدم بذٰلك الحق الذي عنده، اللَّهُمَّ إلا إنْ كان فاعل ذٰلك مِنَ المُغْرِضِين والحاسدين.

شيوخه ﷺ

أفاض الشَّعْراني في ذكر شيوخه في كتبه، وبيَّن مدى إجلاله لهم، خاصة

---

(١) انظر: «الكواكب الدرية» (٤/ ٧٤)، و«السناء الباهر» (٤٩٥)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٥٤٦).

في «طبقاته» الثلاث، وذكر الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات» أنَّهم بلغوا نحو ثلاثمائة شيخ، أقتصر هنا على ذكر بعض منهم:

فمن مشايخ العلم: شمس الدين الدَّواخلي، وشمس الدين السَّمنودي، والإمام شهاب الدين المسيري، ونور الدين المحلي، ونور الدين الجارحي المدرس بجامع الغَمْري، ونور الدين السَّنهوري الضرير الإمام بجامع الأزهر، وملا علي العجمي، وجمال الدين الصاني، وعيسى الإخنائي، وشمس الدين الدَّيْرُوطي، وشمس الدين الدِّمْياطي الواعظ، وشهاب الدين القَسْطَلَّاني، وصلاح الدين القَلْيُوبي، ونور الدين بن ناصر، ونور الدين الأُشْمُوني، وسعد الدين الذَّهبي، وبرهان الدين القَلْقَشَندي، وشهاب الدين الحنبلي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وشهاب الدين الرَّملي، وجلال الدين السُّيوطِي، وناصر الدين اللَّقاني.

وأمَّا شيوخه من الصوفية: فمنهم بعض مَنْ سبق ممَّن جمع بين الطريقين؛ كشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ومنهم مَنْ غلب عليه طريق التصوف، ومِنْ بينهم: الشَّيخ نور الدين علي المَرْصِفِيُّ، والشَّيخ محمد الشِّنَّاويُّ، والشَّيخ علي الخَوَّاص البُرُلُّسِي، والشَّيخ نور الدين علي الشُّونِيُّ، وغيرهم.

وستأتي تراجم عدد منهم في حواشي الكتاب إنْ شاء الله.

كما سيَذْكُرُ الشَّعرانِيُّ سَنَدَهُ في تلقين الذِّكر ولُبْسِ الخِرْقَةِ في الكتاب أيضًا، فلا أطيل بذكره هنا.

تلاميذه ﷺ

كان للشعراني ﷺ الكثير مِنَ التَّلاميذ والمُريدين، ممَّن تلقَّىٰ عنه علوم الشريعة والحقيقة، وسلكوا علىٰ يديه الطريق إلىٰ الله، وأقتصر هنا علىٰ ذكر بعضهم، فمنهم[١]:

الإمام الكبير صاحب التصانيف الشهيرة عبد الرؤوف المُنَاويُّ الشافعي، والشَّيخ العلَّامة عبد الرحمن بن الشَّيخ عبد الوهاب الشَّعْراني، والإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن عيسىٰ الكلبي المالكي شيخ المحيا النبوي بالأزهر، والشَّيخ أحمد بن محمَّد البقاعي العرعاني نزيل دمشق، والإمام أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله القَلْقَشَنْدِيُّ الحجازي الواعظ، وغيرهم.

هٰذا، وممن عاصر الشَّعْراني وصاحبه مُدَّةً قاماتٌ كُبرىٰ وهاماتٌ شامخة في شتَّىٰ ميادين العلوم؛ كالشمس الخطيب الشربيني[٢]، والشهاب ابن حجر الهيتمي[٣]، والشمس الرملي[٤]، وغيرهم.

---

(١) انظر في تراجمهم: «خلاصة الأثر» (١/ ٢٦٦)، و(١/ ٣١٥)، و(٢/ ٣٦٤)، و(٢/ ٤١٢)، و(٤/ ١٧٥)، و«شجرة النور الزكية» (١/ ٤٢١)، و«فهرس الفهارس والأثبات» (٢/ ٥٦٠)، و(٢/ ١١٢٥).

(٢) انظر: «الكواكب السائرة» (٣/ ٧٢) وما بعدها، و«الطبقات الصغرىٰ للشعراني» (١١٢)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٥٦١).

(٣) انظر: «النور السافر» (٢٥٨) وما بعدها، و «الكواكب السائرة» (٣/ ١٠١) وما بعدها، و «السناء الباهر» (٥٠٣)، و «شذرات الذهب» (١٠/ ٥٤١) وما بعدها، و «البدر الطالع» (١/ ١٠٩).

(٤) انظر: «الطبقات الصغرىٰ للشعراني» (١١٧)، و«خلاصة الأثر» (٣/ ٣٤٢) وما

مؤلفاته ﷺ

عاش الشَّـعْراني ﷺ (٧٥ عامًا)، وكان آية من آيات الله في العلم والتعليم، والمطالعـة والحفظ والتصنيف، وقد خلَّف تراثًا ضخمًا مِـنَ المصنَّفات النافعة، قيـل: إنها بلغـت قرابة (٣٠٠ كتاب) في موضاعات شـتَّىٰ، منها ما طُبِعَ وانتشـر، ومنها ما يزال حبيس خزائن المخطوطات والتراث الإسلامي، فمنها:

١ - الأخلاق المتبولية.

٢ - إرشاد الطالبين إلىٰ مراتب العلماء العاملين.

٣ - الأنوار في آداب الصحبة عند الأخيار، وطبع أيضًا باسم: آداب الصحبة.

٤ - الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية.

٥ - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية.

٦ - البحر المورود في المواثيق والعهود.

٧ - البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير.

٨ - تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا.

٩ - تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر علىٰ ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر.

١٠ - الجواهر والدرر.

بعدهـا، و«عقد الجواهر والـدرر» (٢٥) وما بعدها، و«البـدر الطالع» (٢/ ١٠٢) وما بعدها.

١١ - الجوهر المَصُون والسِّر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم.

١٢ - الدُّرَرُ واللُّمَعُ في بيان الصِّدق في الزُّهدِ والورع.

١٣ - دُرَرُ الغوَّاص على فتاوى سيدي علي الخواص.

١٤ - الدُّرَرُ المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة.

١٥ - رَدْعُ الفقرا عن دعوى الولاية الكبرى.

١٦ - الطبقات الصغرى، المسمى بـ«لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية».

١٧ - الطبقات الكبرى المسماة بـ«لواقح الأنوار في طبقات الأخيار».

١٨ - الطبقات الوسطى.

١٩ - الفتح المبين في جملة من أسرار الدين.

٢٠ - القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية.

٢١ - الكبريت الأحمر في بيان علوم الشَّيخ الأكبر؛ دافع فيه عن الشَّيخ محيي الدين بن عربي.

٢٢ - كشفُ الحِجابِ والرَّان عن وجه أسئلة الجانِّ.

٢٣ - كشف الغُمَّة عن جميع الأمة؛ في الفقه على المذاهب الأربعة.

٢٤ - الكوكب الشاهق في الفرق بين المُريد الصادق وغير الصادق.

٢٥ - لطائف المِنَنِ والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، وهي «المنن الكبرى»؛ في التصوف والأخلاق الإسلامية.

٢٦ - لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية.

٢٧ - المختار من الأنوار في صحبة الأخيار.

٢٨ - مختصر «الاعتقاد» للإمام البيهقي.

٢٩ - مختصر «الألفية» لابن مالك؛ في النحو.

٣٠ - مختصر «التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة»؛ المعروف بمختصر «تذكرة القرطبي».

٣١ - مختصر «تذكرة» الإمام السُّوَيْدِي في الطِّب.

٣٢ - مختصر كتاب «صِفَةُ الصَّفْوة» لأبي الفرج ابن الجوزي.

٣٣ - مَدارِجُ السَّالكين إلىٰ رُسُومِ طريقِ العارفين، وهو الكتاب قيد التحقيق.

٣٤ - مشارق الأنوار في بيان العهود المحمَّديَّة.

٣٥ - المُقَدِّمَة النحويَّة في علم العربية.

٣٦ - المِنَحُ السَّنِيَّة علىٰ الوصيَّة المَتْبُوليَّة.

٣٧ - مِنَحُ المِنَّةِ في التَّلَبُّسِ بالسُّنَّة.

٣٨ - منهاج الوصول إلىٰ مقاصد علم الأصول.

٣٩ - موازين القاصرين من شيوخ ومريدين.

٤٠ - الميزان الذَّرِّيَّة المبيِّنة لعقائد الفرقة العَلِيَّة.

٤١ - الميزان الكبرىٰ؛ في الفقه الإسلامي.

٤٢ - اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.

وغيرها الكثير...

وفاته رحمه الله

أقام الشَّعْراني فـي زاويته في القاهرة معلِّمًا ومرشـدًا ومربيًا، يقيم مجالس الوعـظ والذكر، وانتفع به آلاف القاصدين والمُريدين، إلىٰ أنْ بلغ من العمر (٧٥ سـنة)، حيـث أُصيب بالفالـج، ومكث مـدة (٣٣ يومًا) مريضًا، ثـم توفي رحمه الله يوم الإثنين ثاني عشر جمادىٰ الأولىٰ (سنة ٩٧٣هـ)، وحُمِلَ إلىٰ الأزهر حيث صُلِّيَ عليه في محفل جامع مِنَ العلماء والفقهاء والأمراء والفقراء، ودُفِنَ بجانب زاويته بين السُّـورَين، وقد قام بالزاوية بعدَهُ ولَدُهُ الشَّـيخ عبد الرحمن إلىٰ أنْ توفىٰ سـنة (١٠١١هـ).

أقوال العلماء فيه رحمه الله

أثنىٰ العلماء علىٰ الشَّـعْراني رحمه الله قديمًا وحديثًا، وهو أهل لذٰلك، ولـم يُعَكِرْ بحرَهُ دلاءٌ أدلىٰ بها بعض حُسَّادٍ ومُغْرِضِين، وفيما نَقَلَهُ الأكابر في حَقِّه أعظمُ دليل علىٰ زيف دعاوي المُغْرِضين والحُسَّاد، وتهافُتِ أقوالِهِم وسُقُوط شهاداتِهِم.

قـال فيه الشَّـيخ عبد الـرؤوف المُناوِيُّ: هو شـيخنا، الإمـام العالم العامل، العابد الزاهـد، الفقيه المُحَدِّث، الأصولِيُّ الصُّوفِيُّ المُرَبِّي المُسَـلِّك...، وحُبِّبَ إليه الحديث؛ فلزم الاشتغال به، والأخذ عن أهله، ومع ذٰلك لم يكن عنده جمود المحدِّثيـن، ولا لدونـة النَّقَلَةِ، بـل هو فقيه النظـر، صوفِيُّ الخبر، لـه دُرْبَةٌ بأقوال

السَّلَفِ ومذاهب الخلف...، وكان مواظِبًا على السُّنَّة، مجانبًا للبدعة، مبالِغًا في الورع، مُؤْثِرًا ذوي الفاقة على نفسه[(١)].

وقال النَّجْمُ الغَزِّيُّ فيه: الشَّيخ العالم العارف الشَّعْراني -نسبة إلى قرية أبي شَعْرَةَ- المصرِيُّ الشافعي الصوفي...، وكان ﷺ مِنْ آيات الله تعالى في العلم والتصوف والتأليف، له «طبقات الأولياء» ثلاث، والعهود، والسنن، وغير ذٰلك، وكتبه كلُّها نافعة، وقد دلَّت كتبُهُ على أنَّه اجتمع بكثير مِنَ العلماء والأولياء والصالحين[(٢)].

وقال الشَّيخ عبد الحي الكتاني فيه: هو الإمام الفقيه المُحَدِّث، الصُّوفِيُّ العارف المُسَلِّك، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشَّعرانِيُّ أو الشَّعراوِيُّ - بالنون والواو؛ كما وُجِدَ بخطِّه - الشافعي، وقفت على تحليته بخط أبي العباس أحمد بن مبارك اللَّمْطِيِّ هكذا: سيدنا الإمام، ولي العلماء، عالم الأولياء، مربي السالكين، وبقية الأئمَّة العارفين المهتدين[(٣)].

وقال السيِّدُ محمد الشِّلِّيُّ اليمني: ... وهو الشَّيخ الإمام العامل، والهمام العالم الكامل، إنسان عين ذوي الفضائل، وعين إنسان الواصلين من ذوي الوسائل، الفقيه المحدث العابد، الصوفي المربي الزاهد[(٤)]... إلى آخر ما ذكره.

ومن المعاصرين قال فيه الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ﷺ: إنَّه

---

(١) «الكواكب الدرية» (٣/ ٦٩) وما بعدها.

(٢) «الكواكب السائرة» (٣/ ١٥٨).

(٣) «فهرس الفهارس والأثبات» (٢/ ١٠٧٩).

(٤) «السناء الباهر» (٤٩٢).

كان عالمًا مُسْتنيرًا بكلِّ ما تحمله هٰذه الكلمة مِنْ معانٍ، فهاله أنْ تتضارب آراء الفقهاء فيما بينهم، فحاول أنْ يضع بتآليفه المتعدِّدة وآرائه الثَّاقبة منهجًا صحيحًا يُوَفِّقُ فيه بين هٰذه الآراء المتضاربة، والمذاهب المختلفة؛ حتىٰ يبدِّد ما عَلِقَ بالأذهان مِنْ شبهات واختلافات، وكان سَبَّاقًا في هٰذا الميدان، وتآليفه الكثيرة هي التي تشهد بذٰلك[1].

نسبة الكتاب إلى المؤلف رحمه الله

بدايةً، نصَّ المصنف صراحة علىٰ اسمه في أول الكتاب، وذَكَرَ نَسَبَهُ، كما وصرَّح به أيضًا عند ذكر سنده في التَّلقين.

كما نص علىٰ ذٰلك نُسَّاخُ الكتاب في نهايته، وسترد نصوصهم آخر الكتاب بالتفصيل.

كما أثبتَ أصحاب معاجم المُصَنَّفات والمُصَنِّفِين نسبةَ الكتاب للشعرانيِّ؛ فقد جاء في «كشف الظنون»: «مدارج السالكين إلىٰ رسوم طريق العارفين» للشيخ عبد الوهاب الشَّعْراني، أَوَّلُهُ: (الحمد لله رب العالمين...الخ)، رُتِّب علىٰ خمسة أبواب: الأول: في ذكر سنده، الثاني: في آداب المُريد، الثالث: في آداب المُريد مع شيخه، الرابع، في آدابه مع إخوانه، الخامس: في مقالات الشيوخ[2].

وفي «معجم المطبوعات» أثناء ذكره مصنفات الشَّعْراني رحمه الله قال: «مدارج

(١) انظر: تقديم د.عبد الحليم محمود لكتاب «عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر» (٧).

(٢) «كشف الظنون» (٢/ ١٦٤٠).

السالكين إلىٰ رسوم طريق العارفين»، رتَّبه علىٰ خمسة أبواب، في ذكر سنده، في آداب المُريد، في آداب المُريد مع شيخه، في آدابه مع إخوانه، في مقالات الشيوخ، تصوف، مصر، طبع حجر، دون تاريخ[1].

وممَّا يحقِّق نسبة الكتاب للمصنِّف أيضًا ما نقله المتأخِّرون مِنَ العلماء من نصوصه منسوبةً إليه، فممَّن نقل عنه: قطب الدين مصطفىٰ بن كمال الدين البكري في كتابه: «النصيحة السنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية»[2]، والإمام الحافظ أبو المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني في كتابه: «نجوم المهتدين في دلائل الاجتماع للذكر علىٰ طريقة المشايخ المتأخرين برفع الأرجل والاهتزاز شوقًا لرب العالمين»[3].



(١) «معجم المطبوعات» (١/ ١١٣٣).
(٢) انظر: «النصيحة السنية» (١٥٤-١٥٦).
(٣) انظر: «نجوم المهتدين» (٨٣).

منهج التحقيق

١ - كتابة المخطوط وفقًا للرسم الإملائي الحديث.

٢ - وضع علامات الترقيم الحديثة المتعارفة.

٣ - ضبط الآيات القرآنية وفق الرسم العثماني، وضبط الأحاديث النبوية، والأشعار والأعلام وغيرها ممَّا يحتاج للضبط.

٤ - الإشارة إلىٰ بداية ونهاية الأوراق في المخطوط، وذٰلك عن طريق وضعها بين معكوفتين في صلب الكلام، وبين المعكوفتين رقم اللوح وحرف (أ) أو (ب) يفصل بينهما خط مائل، بحيث يشير الحرف (أ) للوجه الأيمن من اللوح، والحرف (ب) للوجه الأيسر، وقد اعتمدت ترقيم الألواح للمخطوط العائد لمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، والمرموز له بالحرف (ظ١).

٥ - أثبتُّ التعليقات التي أضافها الناسخ علىٰ حاشية المخطوط، وأشرت إلىٰ ذٰلك في الحاشية.

٦ - قارنتُ بين النُّسخ التي توفرت لديَّ، وأثبتُّ الزيادات التي قد تكون في إحداها دون الأخرىٰ، وحيث كان في إحداهما سقط أثبت الساقط من النسخة الكاملة مع الإشارة لذٰلك في الحاشية، كما أشرت إلىٰ الاختلاف بينها في الحاشية حيث يكون خلافًا معتبرًا، وأغفلت ما قد يكون من اختلاف يسير

لا يُلْتَفَتُ له، مشيرًا في ذلك كلِّه للمخطوط الأول من مكتبة الأسد الوطنية بدمشق بالحرف (ظ١)، وللمخطوط الثاني من مكتبة الأسد الوطنية بدمشق بالحرف (ظ٢)، ولمخطوط معهد الثقافة والدراسات الشرقية بجامعة طوكيو بالحرف (ط)، ولمخطوط جامعة الملك سعود بالحرف (س)، ولمخطوط جامعة برنستون بالحرف (ن).

٧ - وضعت عناوين لفقرات الكتاب بحسب الحاجة، وجعلتها بين معكوفتين [ ] تمييزًا لها عن الأصل، وذلك بهدف تسهيل فهرسة الكتاب والرجوع إليه.

٨ - التعريف بالأعلام ما أمكن، وجعلت ذلك في الحاشية عند ورودها لأول مرة.

٩ - التخريج، ويتمثل في النواحي التالية:

- كتابة الآيات القرآنية وفق الرسم العثماني، ووضعها بين قوسين مزهرين، مع عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها؛ بذكر اسم السورة ثم رقم الآية مفصولًا بينهما بنقطتين، مع جعلهما بين معكوفتين، هكذا مثلًا: [الفاتحة:١]، وذلك عند نهاية الآية مباشرة.

- تخريج الأحاديث من خلال ذكر المصدر ورقم الحديث واسم الراوي؛ هكذا مثلًا: رواه البخاري في صحيحه رقم (.....) من حديث فلان.

- عند وجود اختلاف في صيغة الحديث بين ما في الكتاب ومصدر التخريج أشير لذلك في نهاية التخريج بقولي: بنحوه.

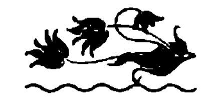
- إذا كان الـوارد فـي الكتـاب قطعـة مـن حديث طويل أشـير لذلك فـي نهاية التخريج بقولي: مُطَوَّلًا.

- عنـد ورود الحديـث فـي أحـد الصحيحين -البخـاري ومسـلم- أو كليهما أكتفـي بالتخريج منهما، وإذا كان مُكَـرَّرًا فيهما أكتفي بموضع واحد، أمَّا إذا لـم يكن فـي الصحيحين فأرجع إلى بقية الكتب السـتة، وإلا فإلى غيرها من كتب السُّنَّة، وغالبًا ما أقتصر على ذكر مرجعين فقط.

- إذا كان الحديـث فـي كتب السُّـنَّة المعتبـرة فإنني أكتفي بتخريجـه منها دون التعرض لدرجة الحديث، وإلا فإنني أبين درجته من خلال نقل قول العلماء فيـه، وفي المواضع التي لـم أعثر فيها على تخريج لِمَا ذكَـرَهُ المصنف على أنَّه حديث.. أُبيِّنُ ذلك في الحاشـية، وأشـير إلى ما ذُكِرَ بشـأنه ممَّا نَصَّ عليه علماء الحديث إن وُجِدَ.

- جعلْـتُ نصَّ الحديث بين قوسـين مزدوجين، وضبطـت حروف الأحاديث بشكل شبه كامل.

- تخريج الأبيات الشعرية بنسبتها لقائلها ما أمكن، مع ضبطِها بالشكل.





وصف النسخ الخطية التي اعتمدتها

اعتمدت في تحقيق الكتاب على خمس نسخ خطية[١]، وهي:

أولًا: نسخة أولى من مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، محفوظة بالرقم (٥٠٥٣)، مأخوذة في الأصل من دار الكتب الظاهرية بدمشق، ولذلك رمزت لها بالرمز (ظ١)، وهي نسخة تامة، خطها نسخي حسن، جيدة الضبط، أثبت الناسخ بهامشها بعض عناوين لمطالب الكتاب، وحواشٍ وشروحٌ نافعة، وتقع في (٦٦ لوحًا)، في كل لوح صفحتان قياس (١٩ × ١٤,٥) سم، في كل صفحة (١٧ سطرًا)، بمعدل (٨ كلمات) في السطر الواحد، وفي نهايتها ذكر الناسخ اسمه وأرَّخ انتهاء نسخها (١١٣٣هـ)[٢]، فهي أقدم النسخ التي اعتمدتها، وأتمُّها؛ ولذلك اعتمدتها في الترقيم.

ثانيًا: نسخة ثانية من مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، ضمن مجموع محفوظ بالرقم (٦٩١٩)، مأخوذ في الأصل من دار الكتب الظاهرية بدمشق، ولذلك رمزت لها بالرمز (ظ٢)، وهي نسخة تامة، حسنة الخط، جيدة الضبط، فيها بعض

---

(١) رغم البحث الطويل لم يتيسر لي الوقوف على النسخة الحجرية المطبوعة في مصر قديمًا من الكتاب، فاكتفيت في تحقيقه بالمخطوطات الخمس المذكورة.

(٢) في بيانات المخطوط في مكتبة الأسد أن تاريخ النسخ (١٠٣٣هـ)، لكن ما دونه الناسخ (سنة ١٣٣)، وهو ما رجح عندي أن التاريخ هو (١١٣٣هـ)، والله أعلم.

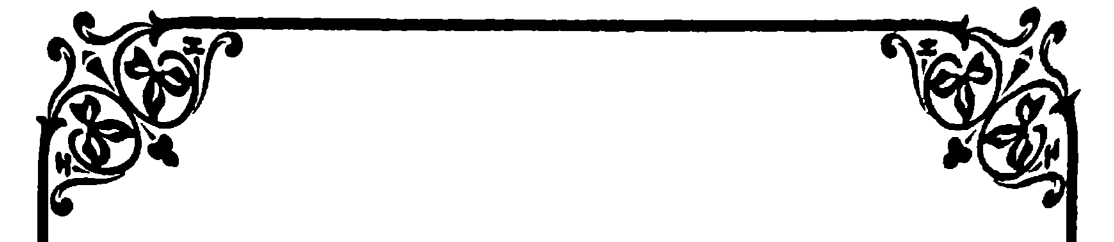
زيـادات علـى بقية النسـخ، وتقع فـي (٢٦ لوحًا)، فـي كل لوح صفحتـان قياس (٥, ٢٢ × ١٦) سـم، في كل صفحة (٢٣ سطرًا)، بمعدل (١٤ كلمة) في السطر الواحد، وفي نهايتها ذكر الناسخ اسمه وأرَّخ انتهاء نسخها (١١٣٨هـ).

ثالثًا: نسـخة مكتبة جامعة برنسـتون الأمريكية، محفوظة بالرقم (١٣٠٩)، ورمزت لها بالرمز (ن)، وهي نسخة تامة أيضًا، خطها مقروء، لكن فيها تصحيفات وبعض عبارات أو كلمات سـاقطة، وتقع في (٨٣ لوحًا)، في كل لوح صفحتان، في كل صفحة (١٣ سـطرًا)، بمعدل (٨ كلمات) في السـطر الواحد، وفي نهايتها ذكر الناسخ اسمه وأرَّخ انتهاء نسخها (١٢٨٦هـ).

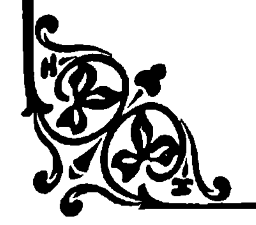
رابعًا: نسـخة معهد الثقافة والدراسـات الشـرقية بجامعة طوكيو، محفوظة بالرقـم (٧٥/ ٨٤٣٥)، ورمزت لها بالرمز (ط)، خطها نسـخي حسـن، وتقع في (٣٣ لوحًـا)، فـي كل لـوح صفحتـان، قيـاس (١٦ × ١٢) سـم، فـي كل صفحة (١٩ سـطرًا)، بمعدل (٩ كلمات) في السطر الواحد، فيها سقط يسير من آخرها، وهو ما حال دون معرفة الناسخ وتاريخ النسخ.

خامسًـا: نسخة مكتبة جامعة الملك سعود، محفوظة بالرقم (٤٦٩)، ورمزت لها بالرمز (س)، وهي نسـخة سليمة الأول والآخر، وفي وسطها سقط واضطراب، خطها نسخي حسن، وتقع في (١٨ لوحًا)، في كل لوح صفحتان، قياس (٢٤ × ١٥) سم، في كل صفحة (٢١ سطرًا)، بمعدل (٨ كلمات) في السطر الواحد، وفي نهايتها ذكر الناسخ اسمه وأرَّخ انتهاء نسخها (١٢٨٤هـ).





صور المخطوطات




بداية النسخة الأولى من مخطوط مكتبة الأسد الوطنية بدمشق المرموز له (ظ١)

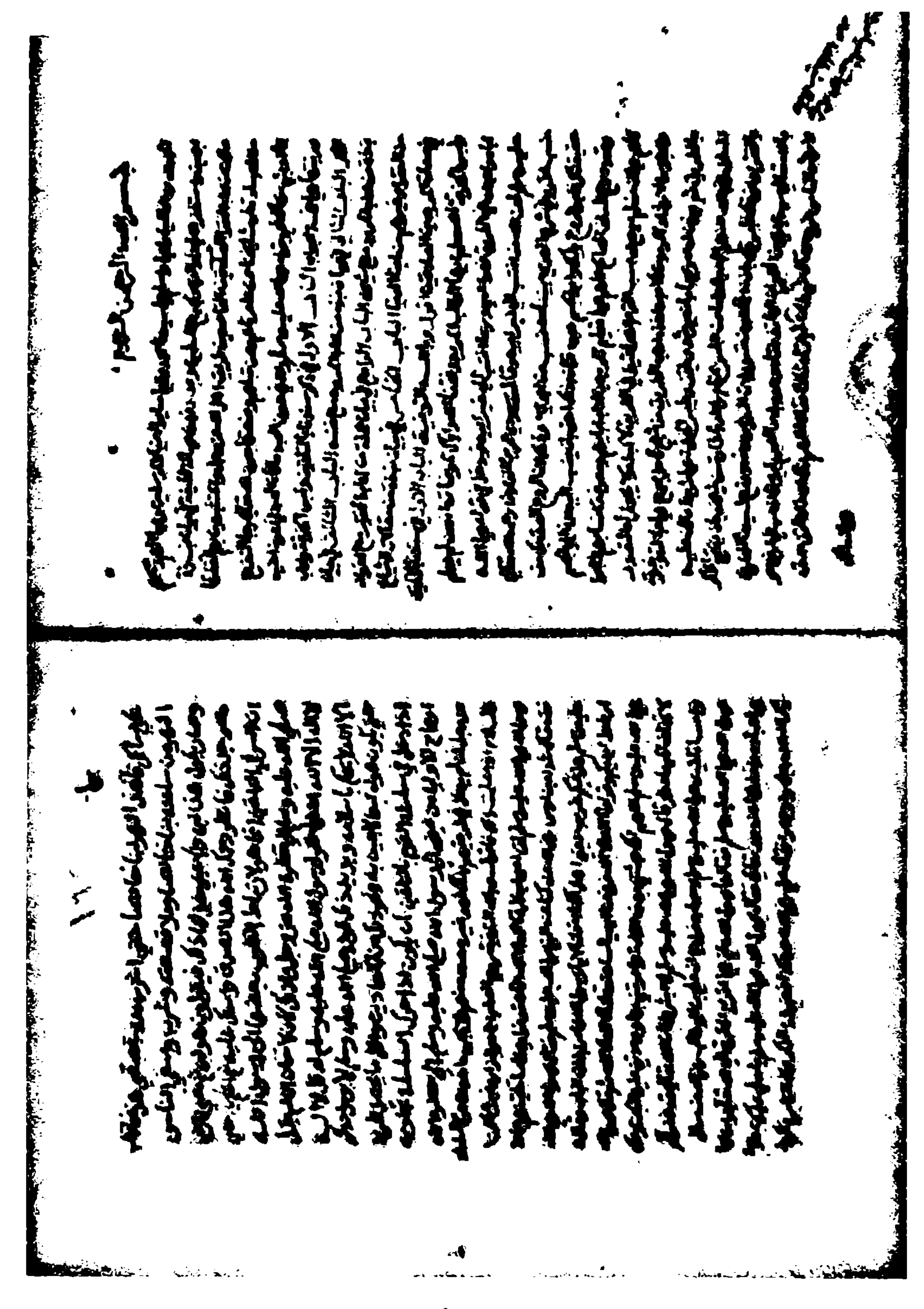
١٢٧

الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت من قال لاستاذه
لم لا تسئل ابدا وانت ادعى بالصدق من الوصف الذي وصفه
شيخه فكلمه شيخي بنصه لو جاء الى يد شيخه تمزقت
مال فاعطى جميع الذي اكل واحد نصيبه الاصو
مع شيخه ما انت وما جئته فمن لم ينشرح لعدم
السلام من الطاعة فهو كاذب مع شيخه محجوب
عند الصحبة لانه قد كان دخل صحبه على انه
تحت حكمه رافضا كل شغله من اختيار شيخه
شيا واختار خلافه فقد خرج عن صحبته ما لو لعب
عليه توبخهم انه ان شيخه فبلد لنشا ردهم وكان
ابو يزيد البسطامي يقول كل مريد ادعى بالصدق
مع شيخه وانما من في الوجود شي ارضاه من ظالم
لو جاز لو عمه كان مع شيخه فهو كاذب خطا لا يزيد فيه
لها الاخطار نحو شيخه مثل لمعقولات خاطر شيخه طيبا
حتى منطوي كلامه وكان يدمر الله عنه يقول
لا يمكن للشيخه كلمه من احد من مسئلة الا على مراده
لو التنازل يكمل اجر ينفك من منة العنف سلطان

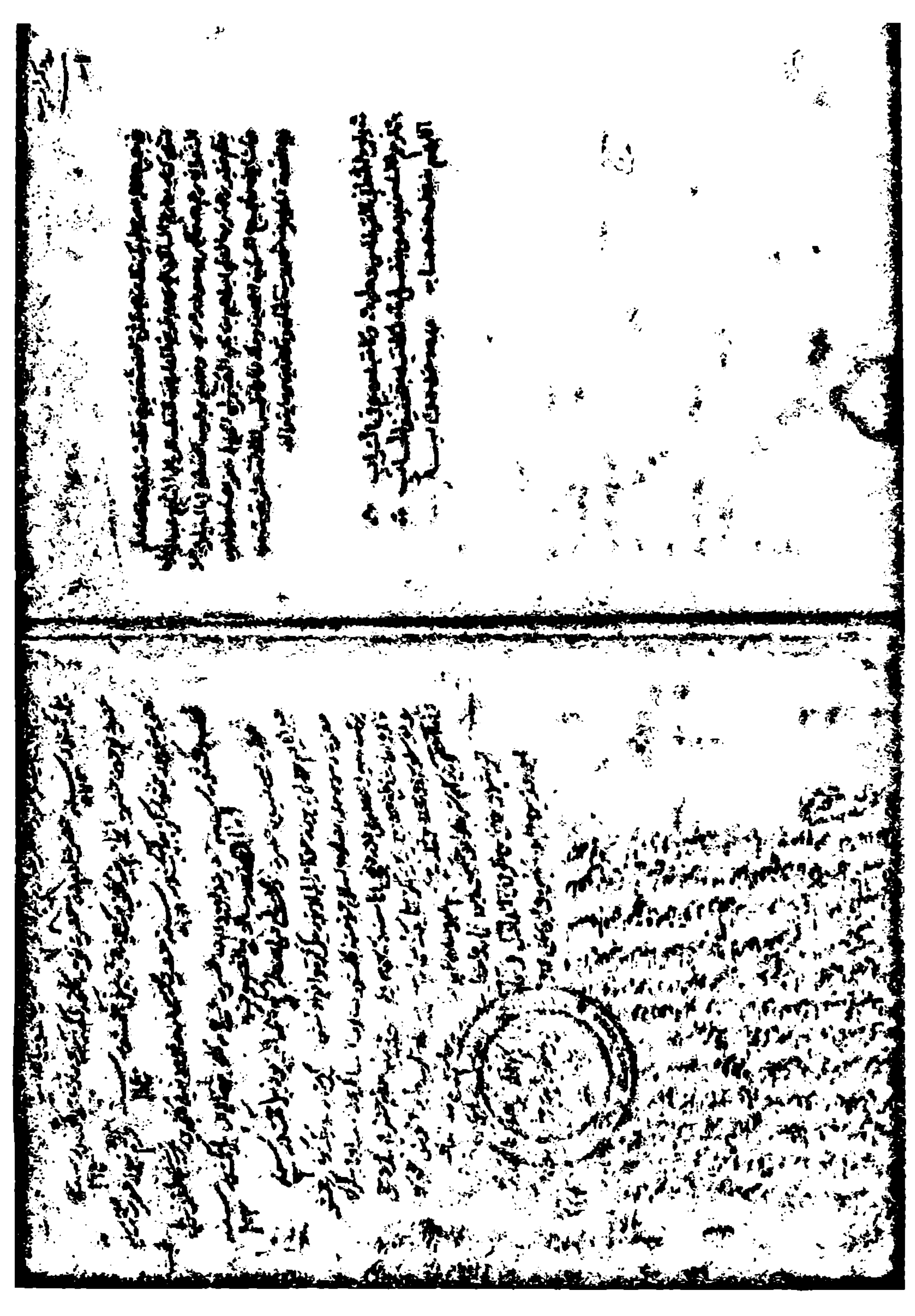
١٢٨

عين الله عز وجل وقد قال شيخ البلخي لو سافرنا
الوجهة الناحية يوم فقال الخير لنا الحاجة فقال لا تقال
لم ترد فقال لا قال الحاج نستقبل الصلاة فقال الجنيد
دعوه فقد سقط من عين الله عز وجل بعد هذا فخرج
فسرقت فقطعت يده وكان ابو عثمان يقول الستر
مريد بمجرد عنده هو الاحطاط الاقوم بركته
ودعوه الشيخ بكلامه والحكايات والمقالات
في ذلك كثير ومن عمل بالقليل فهو يعمل انشا
اسال الله العلي بالنشر وسعل يستقيم بروية شيخ صحبته
لم ينتفع بكلام فلو التقى له بعد ذلك منشا
الى مراد مستقيم والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا
الى يوم الدين ويكون الفراغ
منه آخر هذا الامر ابتدائه
اما بلغ من يسلك يشرق سنة ١٣١١
عليه السلام ونقله
الحاج ابا بكر

ولو لم ينتفع بكلام الشيخ او رواق صدق ولكن اذا كان للاشـ
شيخ كامل فالاوراق تعرفه كيفية السلوك مع الشيخ
وتعرفه مقدار الشيخ هذا اذا كان محبا صادقا للشيخ واما
اذا لم يكن صادقا مع الشيخ فلا تفيد الاوراق



بداية النسخة الثانية من مخطوط مكتبة الأسد الوطنية بدمشق المرموز له (ظ٢)



نهاية النسخة الثانية من مخطوط مكتبة الأسد الوطنية بدمشق المرموز له (ظ٢)

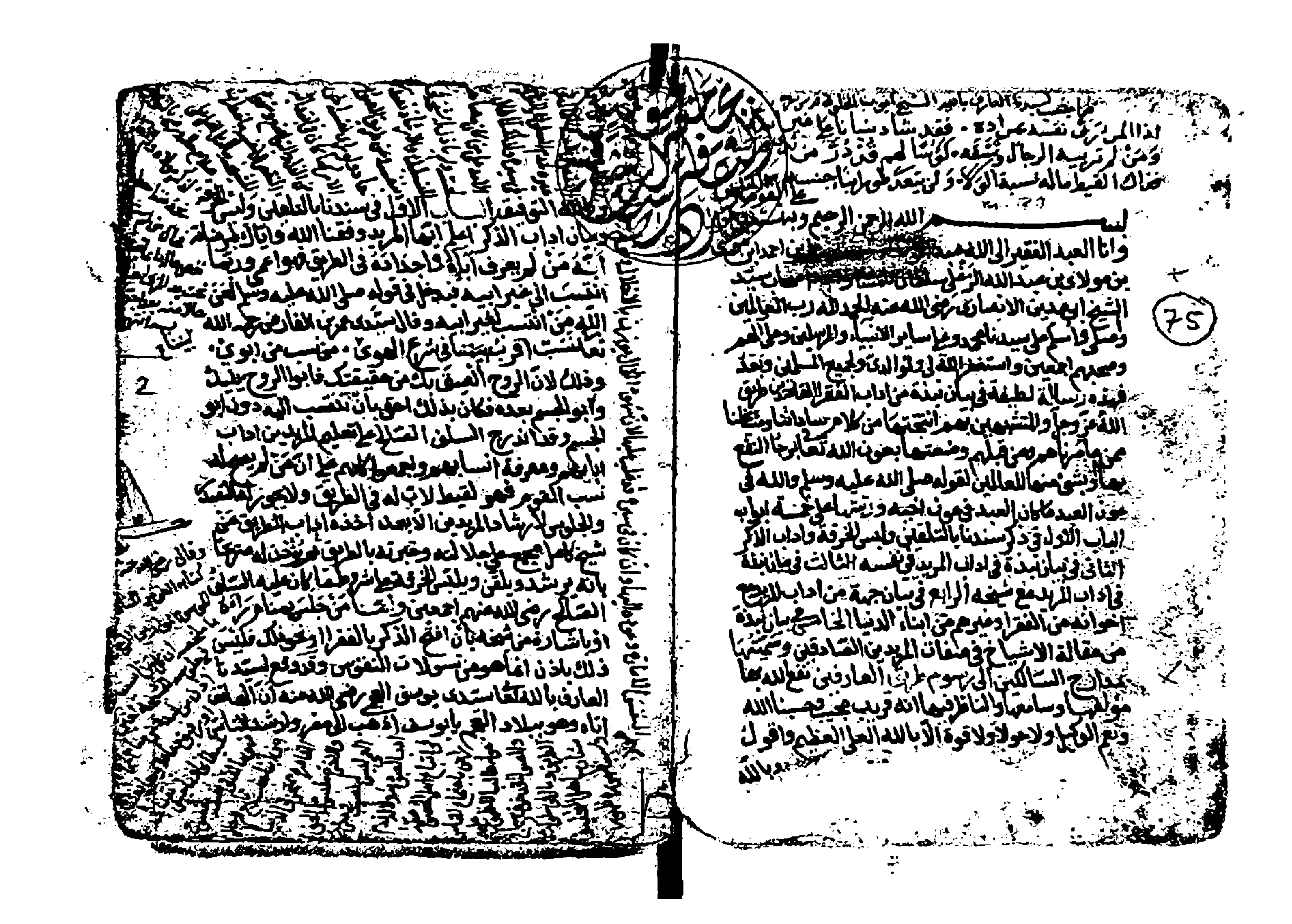
كتاب مدارج السالكين الى رسوم طريق ا
العارفين تاليف العارف بالله تعالى سيدي
عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى
وبركاته آمين بسم الله الرحمن الرحيم
اقول وانا العبد الفقير الى الله تعالى عبد
الوهاب بن احمد بن علي بن احمد بن محمد
بن موسى بن الحاج عبد الله الزغلي سلطان
تلمسان واحد اصحاب سيدي الشيخ ابي
مدين رضي الله عنه الحمد لله رب العا
لمين واصلي واسلم على سيدنا محمد و
على

2

وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم
وصحبهم اجمعين واستغفر الله لي ولوا
لدي ولجميع المسلمين وبعد فهذه رسالة
لطيفة في بيان نبذة صالحة من اداب الفقراء
القاصدين طريق الى الله عز وجل والمتشبهين بهم
التقطها من كلام سادتنا ومشايخنا ممن
عاصرونا ومن قبلهم ووضعتها بعون الله تعالى
ورجاء النفع بها ابتغى منها العمل بقوله
صلى الله عليه وسلم والله في عون العبد ما
كان العبد في عون اخيه ورتبتها على ثمانية
ابواب الباب الاول في ذكر سند تلقين
ولبس الخرقة وآداب الذكر الباب الثاني
في بيان جملة من آداب المريد في نفسه الباب

بداية نسخة مخطوط مكتبة جامعة برنستون بأمريكا المرموز له (ن)

بالقليل اجره ذلك ان شاء الله تعالى الى العالم
بالكثير ومن لم ينتفع برؤية شيخه وصحبته
لم ينتفع بكلام ذاورا قه والله يهدى من
يشاء الى صراط مستقيم والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
وعليه نتوكل وبه نستعين الحمد لله
مالك الملك ذى الجلال والاكرام خالق
الانام والصلوة على رسوله المنعم بالافضا
ل والانعام وعلى اله واصحابه السادات
الكرام برحمتك يا ارحم الراحمين
تمت الكتاب منازع السالكين
بيد ملا عباس سنة ١٢٨٦



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وانا العبد الفقير الى الله [illegible] احمد ابن [illegible]
بن مولاي بن عبد الله [illegible]
الشيخ ابو مدين الانصاري رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى اهلهم
وصحبهم اجمعين واستغفر الله لي ولوالدي ولجميع المسلمين وبعد
فهذه رسالة لطيفة في بيان نبذة من اداب الفقر القاصدين طريق
الله عز وجل والمتشبهين بهم انتخبتها من كلام ساداتنا ومشايخنا
من [illegible] ومن قبلهم وضعتها بعون الله تعالى راجيا النفع
بها [illegible] العالمين لقوله صلى الله عليه وسلم والله في
عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ورتبتها على خمسة ابواب
الباب الاول في ذكر سندنا بالتلقين ولبس الخرقة واداب الذكر
الثاني في بيان نبذة في اداب المريد في نفسه الثالث في بيان نبذة
في اداب المريد مع شيخه الرابع في بيان جملة من اداب المريد مع
اخوانه من الفقراء وغيرهم من ابناء الدنيا الخامس في بيان نبذة
من مقالة الاشياخ في صفات المريدين الصادقين وسميتها
معارج السالكين الى رسوم طريق العارفين نفع الله بها
مؤلفها وسامعها والناظر فيها انه قريب مجيب وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واقول
[illegible] وبالله

[illegible] الله التوفيق الباب الاول في سندنا بالتلقين [illegible]
[illegible] في بيان اداب الذكر اعلم ايها المريد وفقنا الله واياك لمرضاته
انه من لم يعرف اباءه واجداده في الطريق فهو [illegible]
انتسب الى غير ابيه فيدخل في قوله صلى الله عليه وسلم لعن
الله من انتسب لغير ابيه وقال سيدي عمر بن الفارض رحمه الله
تعالى نسب اقرب في شرع الهوى • بيننا من نسب من ابوي
وذلك لان الروح ألصق بك من حقيقتك فابو الروح [illegible]
وابو الجسم بعده فكان بذلك احق بان تنتسب اليه دون ابو
الجسم وقد اندرج السلف الصالح على تعليم المريدين اداب
[illegible] ومعرفة انسابهم [illegible]
نسب القوم فهو لقيط لا اب له في الطريق ولا يجوز له التصدر
والجلوس لارشاد المريدين [illegible]
[illegible]

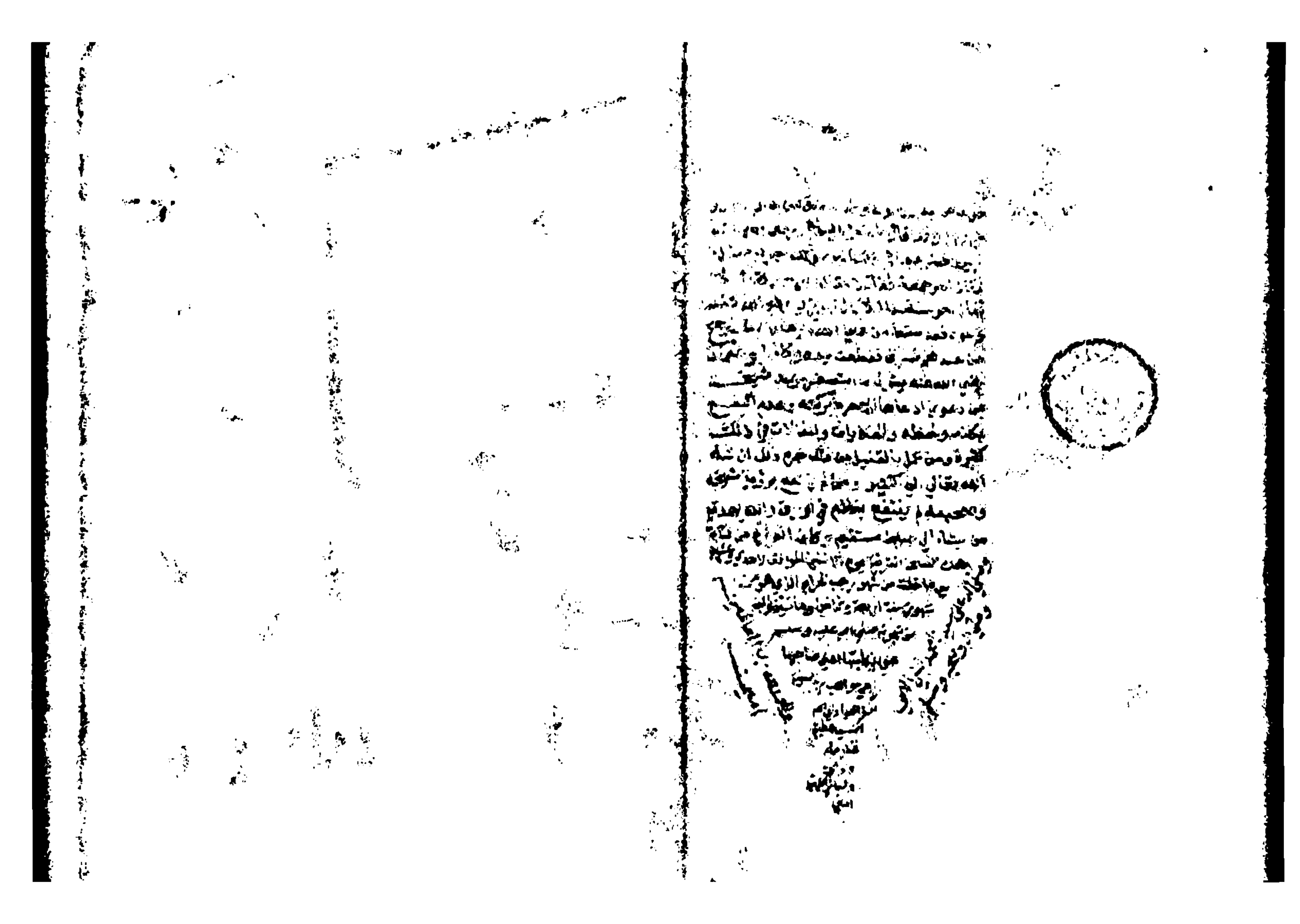
بداية نسخة معهد الثقافة والدراسات الشرقية بجامعة طوكيو المرموز له (ط)

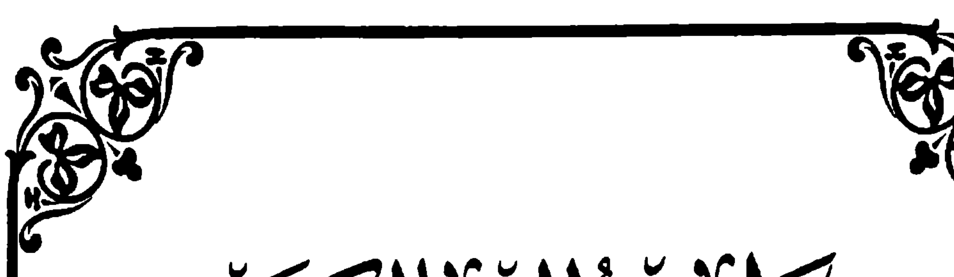
نهاية نسخة معهد الثقافة والدراسات الشرقية بجامعة طوكيو المرموز له (ط)

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

[illegible]





مدارج السالكين

إلى رسوم طريق العارفين

تأليف

الإمام الرباني العارف بالله تعالى

أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني

المتوفى سنة ٩٧٣ هجرية

تحقيق

بلال خالد البعيج

عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم

أقول، وأنا العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى بن أبي عبد الله الزُّغْلِي سلطان تِلِمْسان[1] وأحد أصحاب سيِّدي الشَّيخ أبي مَدْيَنَ الأنصاري[2] رضي الله عنه[3]:

الحمد لله رب العالمين، وأُصَلِّي وأُسلِّم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، وأستغفر الله لي ولوالدي ولجميع المسلمين.

---

(١) تِلِمْسَانُ - بكسر التاءِ واللامِ وسكونِ الميمِ -: قاعِدَةُ مَمْلَكَةٍ بالغَرْبِ ذاتُ أشْجارٍ وأنْهارٍ وحُصونٍ. «القاموس المحيط» مادة (ت ل م س).

(٢) من قوله: (أقول وأنا العبد الفقير...) إلى هنا ساقط من (ظ٢). هذا، والظاهر أن المصنف رحمه الله قد ذكر نسبه هنا مختصراً، وقد مرَّ نسبه كاملاً عند ترجمته في مقدمة التحقيق.

(٣) هو أبو مَدْيَنَ، شُعيبُ بن الحسن - وقيل: ابن الحسين - الأندلسي التِّلِمْسانِيُّ، (المتوفى نحو ٥٩٤هـ)، من مشاهير الصوفية، أصله من الأندلس، أقام بفاس، وسكن بجاية، وكثر أتباعه، وتخرج به جمع من الأكابر، له أحوال باهرة، وكرامات ظاهرة، وكلمات سائرة، توفي بتِلِمْسان، ودفن بمقبرة العباد، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. انظر: «الوافي بالوفيات» (١٦/ ٩٥)، و«مرآة الجنان» (٣/ ٣٥٥)، و«شذرات الذهب» (٦/ ٤٩٥).

وبعد، فهٰذه رسالة لطيفة في بيان نُبْذَةٍ صالحة مِنْ آداب الفقراء الصادقين، القاصدين طريق الله عَزَّ وجَلَّ، والمتشبِّهين بهم، التَقَطْتُها مِنْ كلام ساداتنا ومشايخنا ممَّن عاصرناهم ومَنْ قَبْلَهُم، ووضعتُها ـ بعون الله تعالىٰ ـ رجاء النَّفع بها أو بشيء منها؛ لعلمي بقوله ﷺ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ[1] العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[2][٢/أ].

ورتَّبْتُها علىٰ خمسة أبواب:

الباب الأول: في ذكر سندنا بالتَّلقين ولُبْسِ الخِرْقَةِ وآداب الذِّكر.

الباب الثاني: في بيان نُبذة مِنْ آداب المُريد في نفسه.

الباب الثالث: في بيان نُبذة مِنْ آداب المُريد مع شيخه.

الباب الرابع: في بيان جملة مِنْ آداب المُريد مع إخوانه مِنَ الفقراء وغيرهم مِنْ أبناء الدنيا.

الباب الخامس: في بيان نُبذة مِنْ مقالات الأشياخ في صفات المُريدين الصادقين.

وسمَّيتها: بـ«مَدارِج السَّالكين إلىٰ رُسُوم طريق العارفين»، نَفَعَ اللهُ تعالىٰ

---

(١) في (ظ١): (ما دام)، والمثبت ما في باقي النسخ، وهو الموافق للرواية.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٣٨-٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

بهـا مؤلِّفَهَا وسـامعَها والنَّاظـرَ فيها؛ إنَّه قريـب مجيب، وحسـبنا الله تعالىٰ ونِعْمَ الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

وأقول وبالله التوفيق:



(١) من قوله: (وسميتها...) إلىٰ هنا ساقط من (ظ٢).



الباب الأوَّل

في سندنا بالتَّلقين ولُبسِ الخِرقَةِ وبيان آداب الذِّكرِ

اعلـم أيُّهـا المُريد ـ وفقنـا الله وإياك لمرضاته ـ أنَّه مَنْ لـم يعرف [٢/ب] أباه وأجداده في الطريق.. فهو أعمىٰ، وربَّما انتسب إلىٰ غير أبيه، فيدخل في قوله ﷺ: «لَعَنَ الله مَنِ انْتَسَبَ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ»[(١)]، وقال سيِّدي عمر بن الفارض[(٢)] ـ رحمه الله ونفعنا به ـ:

---

(١) أخرجـه مسـلم فـي «صحيحـه» رقـم (٢٠-١٣٧٠) بنحوه مطـوَّلاً مـن حديث علي كرم الله وجهه.

(٢) هو أبو حفص وأبو القاسـم، شـرف الديـن، ابن الفارض، عمر بن علي بن مرشـد بن علـي، (٥٧٦-٦٣٢هـ)، حمـوي الأصـل، مصـري المولـد والـدار والوفاة، أشـعر المتصوفين، لقب بسلطان العاشقين، قدم أبوه من حماة إلىٰ مصر فسكنها، وولي نيابة الحكـم فغلـب عليه التلقيب بالفارض، وولد له عمر فنشـأ بمصر في بيت علم وورع، ولمَّا شـبَّ اشتغل بفقه الشـافعية، وأخذ الحديث عن ابن عسـاكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره، ثم حبب إليه سـلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، وذهب إلىٰ مكة فجـاور فيها سـنين، ثم عـاد إلىٰ مصر، فأقـام بالأزهر، وقُصِد بالزيارة، له ديوان شـعر شـرحه كثيرون. انظر: «سـير أعلام النبـلاء» (٢٢/ ٣٦٨)، و«مـرآة الجنان» (٤/ ٦٠) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (٧/ ٢٦١) وما بعدها.

نَسَبٌ أَقْرَبُ فِي شَرْعِ الهَوَىٰ   بَيْنَنَا مِنْ نَسَبٍ مِنْ أَبَوَيْ

وذٰلك لأنَّ الرُّوح ألصق بك مِنْ حقيقتك، فأب الرُّوح يليك، وأبو الجسم بعده؛ فكان بذٰلك أحقَّ بأنْ تنتسب إليه دون أب الجسم، وقد درج السَّلف الصالح كلُّهم علىٰ تعليم المُريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم، وأجمعوا كلهم علىٰ أنَّ مَنْ لم يصِحَّ له نسب القوم.. فهو لقيط لا أبَ له في الطريق، ولا يجوز له التصدُّر والجلوس لإرشاد المُريدين إلَّا بعد أخذه آداب الطريق عن شيخ كامل، مُجْمَعٍ علىٰ جلالته وخبرته بالطريق، ثم يؤذن له صريحًا بأنَّه [٣/أ] يُرشِدُ ويُلَقِّنُ ويُلْبِسُ الخِرْقَةَ علىٰ شروطِ ما كان عليه السلف رضي الله عنهم أجمعين، وأمَّا مَنْ جلس بمنام رآه، أو بإشارة مِنْ شيخه بأنْ يفتح الذِّكر بالفقراء ونحو ذٰلك.. فليس ذٰلك بإذن، إنَّما هو مِنْ تسويلات النُّفوس، وقد وقع لسيدنا العارف بالله تعالىٰ سيِّدي يوسفَ العجميِّ[(١)] ﷺ أنَّ الهاتف أتاه وهو ببلاد العجم: يا يوسف؛ اذهب إلىٰ أرض مصر وأرشد النَّاس. فردَّه وقال: شيطان. فأتاه الهاتف ثانيًا، فردَّه وقال: شيطان. ثمَّ أتاه ثالثًا، فقال: اللّٰهُمَّ إنْ كان هٰذا هاتف حقٍّ علىٰ لسانك.. فاقلِبْ لي هٰذا النهر لبنًا خالصًا حتىٰ أشرب منه بقصعتي هٰذه. فانقلب النهر مِنْ ساعته لبنًا

---

(١) هو جمال الوقت يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر، العجمي الكوراني، (المتوفىٰ سنة ٧٦٨هـ)، كان ذا طريقة في الانقطاع والتسليك، أخذ العهد عن الشيخ الصالح نجم الدين محمود الأصفهاني، وعن الشيخ بدر الدين حسن الشمشيري، وله التلامذة الكثر، وعدة زوايا، ومات في زاويته ودفن بالقرافة، وله رسالة سماها: «ريحان القلوب في الوصل إلىٰ المحبوب». انظر: «الدرر الكامنة» (٦/ ٢٣٥) وما بعدها، و«طبقات الأولياء» (٤٩٢)، و«حسن المحاضرة» (١/ ٥٢٦)، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٦٠-٦١).

خالصًا، وملأ منه قصعته وشرب وأسقى الناس، وصار يقول: هٰذا لبن وإلَّا عيني خُيِّلَ [٣/ب] لها ذٰلك؟! فيقولون: هو لبن. ثم مضىٰ لأرض مصر بعد ذٰلك. فانظر رحمك الله تعالىٰ هٰذا الصدق، واسلك عليه.

ثم اعلم يا أخي أنَّ السِّرَّ في التلقين إنَّما هو لارتباط القلوب بعضها إلىٰ بعض إلىٰ رسول الله ﷺ، إلىٰ الله عَزَّ وجَلَّ؛ ولذٰلك كان الإنسان إنْ لم يقل: لا إله إلا الله؛ امتثالًا لقول رسول الله ﷺ: «قُلْ لَا إِلَـهَ إِلَّا الله»[1].. لا يُحكَم بإسلامه، ويؤيد ذٰلك قوله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[2] ونحو ذٰلك مِنَ الأحاديث، وأقلُّ ما يحصل للمُريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتَّلقين أنْ يكون إذا حرَّك حلقة نفسه[3].. تجاوبه أرواح الأولياء مِنْ شيخه إلىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ حضرة الله عَزَّ وجَلَّ، فمَنْ لم يدخل في طريقهم بذٰلك.. فهو غير معدود منهم، ولا يجيبه أحد إذا حرَّك حلقة نفسه المنفصلة؛ فافهم.

[سند تلقين الذكر]

إذا علمت ذٰلك.. فأقول [٤/أ] وبالله التوفيق: روىٰ الطبراني والبزَّار وغيرهما أنَّ رسول الله ﷺ لقَّنَ أصحابه كلمة (لا إله إلا الله) جماعةً وفُرادَىٰ، فأمَّا تلقينهم جماعة.. فقال شدَّادُ بن أَوْسٍ ﷺ: كُنَّا عند النبي ﷺ، فقال ﷺ: «هَلْ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٢٩٤) و(٣٦٧١) وغيرها، ومسلم في «صحيحه» رقم (٣٩-٢٤) و(٣٣-٢٦٩٦) وغيرها.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ١١٦)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» رقم (٢٢٣٩).

(٣) في (ظ٢): (حرك السلسلة) في هٰذا الموضع والذي يليه.

فِيكُـمْ غَرِيبٌ - يَعْنِيْ أَهْلَ الكِتَابِ -؟»، قلنا: لا يا رسـول الله، فأمر بغلق الباب، وقـال: «ارْفَعُـوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا: لا إِلـهَ إِلَّا الله»، فرفعنا أيدينا سـاعة وقلنا: لا إله إلا الله، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنتَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الكَلِمَةِ وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِـي عَلَيْهَـا الجَنَّةَ، وَإِنَّـكَ لَا تُخْلِفُ المِيْعَادَ»، ثم قال رسـول الله ﷺ: «أَلَا أَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكُمْ»(1).

وأمَّـا تلقينُهُ ﷺ لأصحابه فُرادىٰ.. فقد قال علي بن أبي طالب ﷺ: سـألتُ رسـول الله ﷺ [٤/ب]؛ فقلـتُ: يا رسـول الله؛ دُلَّنـي علىٰ أقربِ الطُّرق إلىٰ الله تعالـىٰ، وأسـهَلِها علىٰ عباده، وأفضلِها عند الله تعالىٰ، فقال رسـول الله ﷺ: «يَا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بِمُدَاوَمَةِ ذِكْرِ الله عَزَّ وجَلَّ سِرًّا وَجَهْرًا»، فقال علي ﷺ: هكذا فضيلة الذِّكر(2)! وكلُّ الناس ذاكرون! وإنَّما أريد أنْ تخصَّني بشيء، فقال رسول الله ﷺ: «مَهْ يَا عَلِيُّ، أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلَهَ إلا الله، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرَضِيْنَ السَّبْعِ وُضِعُوا فِيْ كِفَّةٍ وَلا إِلَهَ إِلا الله فِيْ كِفَّةٍ.. لَرَجَحَتْ بِهِمْ لا إِلهَ إِلَّا الله»، ثم قال رسول الله ﷺ: «يَا عَلِيُّ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ وَعَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ مَـنْ يَقُـولُ: الله، الله(3)»، ثمَّ قـال علي ﷺ: كيف أذكُرُ يا رسـول الله؟ فقال ﷺ:

---

(1) أخرجـه الإمام أحمد في «مسنده» رقـم (١٧١٢١)، والحاكم في «المستدرك» رقم (١٨٤٤)، والطبرانـي في «الكبير» رقم (٧١٦٣)، والبزار في «مسنده» رقم (٢٧١٧) بنحوه.

(2) قوله: (هكذا فضيلة الذِّكر) مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ.

(3) هٰذا المقطع من الحديث أخرجه مسـلم في «صحيحه» رقم (٢٣٤-١٤٨) بنحوه من حديث أنس بن مالك ﷺ. هٰذا، وفي (ن) و(ط): (من يقول: لا إله إلا الله).

«غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي: لا إله إلا الله» [١/٥] ثلاث مرَّات وعَلِيٌّ يَسْمَعُ، ثم قال: «قُلْ أَنْتَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: لا إله إِلَّا الله وَأَنَا أَسْمَعُ»، ثم رفع رسول الله ﷺ صوته وهو مغمض عينيه: «لا إله إلا الله» ثلاث مرات، وعليٌّ يسمع، ثم قال عليٌّ رضي الله عنه وهو مغمض عينيه: (لا إله إلا الله) ثلاث مرَّات، والنبي ﷺ يسمع[١].

هٰذا أصل سند القوم.

وإنَّما أمَرَ النبيُّ ﷺ بِغَلْقِ الباب كما تقدَّم وقال: «هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟»؛ إشارة إلىٰ أنَّ طريق القوم مبنيَّة علىٰ السَّتر، وأنَّه لا ينبغي أنْ يذكر كلامهم بحضرة مَنْ ليس مِنْ حِرْفَتِهِم ولا يعتقد فيهم.

ومِنْ هنا أنكر بعض العلماء تلقينَ الحَسَنِ البصْرِيِّ[٢] مِنْ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: لم يَبْلُغْنا أنَّه اجتمع به؛ فضلًا عن الأخذ عنه، انتهىٰ. وهٰذا القول مِنْ هٰذا العالم لا يقدح في طريق العارفين؛ لأنَّ هٰذا القائل لم يَدْخُلْ

---

(١) الحديث أورده كثير من الصوفية في كتبهم، ولم أعثر عليه علىٰ هٰذا النحو في شيء من كتب السنة، إلا أنَّ بعضه صحيح، وسبق تخريجه.

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، مولىٰ زيد بن ثابت، (٢١-١١٠هـ)، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشَبَّ في كنف علي بن أبي طالب، وسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل علىٰ الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة لائم، وله مع الحَجَّاج بن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه، قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء، وأقربهم هديًا من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. انظر: «مرآة الجنان» (١/ ١٨١) وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٦٣) وما بعدها.

طريقَهُم، فلو دَخَلَها.. سَلَّم للأشياخ واعتقد فيهم أنَّهم [٥/ب] صادقون؛ فإنَّ ذٰلك كالمتواتر فيما بينهم(١)، مع أنَّه لا بُدَّ لكلِّ مَنْ حقَّ له قدم الولاية مِنَ الاجتماع

(١) جاء في «الحاوي للفتاوي» (٢/ ٩٦) للحافظ السيوطي: (مسألة: أنكر جماعةٌ مِنَ الحُفَّاظ سماع الحسن البصري مِنْ علي بن أبي طالب ﷺ، وتمسك بهٰذا بعض المتأخرين؛ فخدش به في طريق لبس الخرقة، وأثبته جماعة، وهو الراجح عندي؛ لوجوه، وقد رجَّحه أيضًا الحافظ ضياء الدين المقدسي في «المختارة» فإنَّه قال: الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي، وقيل: لم يسمع منه. وتبعه علىٰ هٰذه العبارة الحافظ ابن حجر في «أطراف المختارة».

الوجه الأول: أنَّ العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أنَّ المُثْبِتَ مُقَدَّمٌ علىٰ النَّافي؛ لأنَّ معه زيادة علم.

الثاني: أنَّ الحسن وُلِدَ لسنتين بقيتا مِنْ خلافة عمر باتِّفاق، وكانت أُمُّه خيرة مولاةَ أمِّ سَلَمة رضي الله عنها، فكانت أمُّ سَلَمة تُخْرِجُهُ إلىٰ الصحابة يباركون عليه، وأخرجته إلىٰ عمر؛ فدعا له: اللّٰهُمَّ فقِّهْهُ في الدين وحَبِّبْهُ إلىٰ الناس. ذكره الحافظ جمال الدين المزي في «التهذيب»، وأخرجه العسكري في كتاب «المواعظ» بسنده، وذكر المزي أنَّه حضر يوم الدَّار وله أربع عشرة سنة، ومِنَ المعلوم أنَّه مِنْ حين بلغ سبع سنين أُمِرَ بالصلاة، فكان يحضر الجماعة، ويصلي خلف عثمان إلىٰ أنْ قُتِلَ عثمان، وعليٌّ إذ ذاك بالمدينة؛ فإنه لم يخرج منها إلىٰ الكوفة إلا بعد قتل عثمان، فكيف يُسْتَنْكَرُ سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرَّات مِنْ حين ميَّز إلىٰ أنْ بلغ أربع عشرة سنة؟! وزيادة علىٰ ذٰلك: إنَّ عليًّا كان يزور أمَّهات المؤمنين ومنهن أم سلمة، والحَسَن في بيتها هو وأمُّه.

الوجه الثالث: أنَّه ورد عن الحسن ما يدلُّ علىٰ سماعه منه، أورد المزي في «التهذيب» مِنْ طريق أبي نعيم قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا، حدثنا أبو حنيفة محمد بن صفية الواسطي، حدثنا محمد بن موسىٰ الجرشي، حدثنا ثمامة بن عبيدة، حدثنا عطية بن محارب عن يونس بن عبيد قال: سألت الحسن؛ قلت: يا أبا سعيد، إنَّك تقول قال: رسول الله ﷺ وإنَّك لم تدركه! قال: يا ابن أخي، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، ولولا منزلتك منِّي.. ما

برسول الله ﷺ يَقَظةً ومُشافَهَةً، فإنْ لم يصِحَّ ما نقلوه فيه مِنْ طريق الوسائط.. صحَّ لهم مِنْ طريق الأخذ عنه بالفهم؛ فالله تعالىٰ لا يؤاخذ هٰذا العالِمَ بما قال.

ثم إنَّ عليَّ بن أبي طالب ﷺ لقَّن الحَسَنَ البصريَّ، والحسنُ لقَّن داودَ الطائِيَّ[1]، وداودُ الطائِيُّ لقَّن معروفًا الكَرْخِيَّ[2]، ومعروفٌ لقَّن سَرِيًّا السَّقَطِيَّ[3]،

أخبرتك، إنِّي في زمان كما ترىٰ - وكان في عمل الحَجَّاج - كُلُّ شيء سمعتني أقول: قال رسول الله ﷺ.. فهو عن علي ابن أبي طالب، غير أنِّي في زمان لا أستطيع أنْ أذكُرَ عليًّا). انتهىٰ كلام السيوطي ﷺ، هٰذا، وسند التلقين وإلباس الخرقة مِنْ طريق الحسن البصري هو المُعَوَّلُ عليه عند أهل الطريق، وأمَّا ما يذكر من طريق أُوَيْسٍ القَرَنِيِّ عن سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهم أجمعين.. فإنَّما يذكر علىٰ سبيل الاستئناس، وسيأتي ما فيه.

(١) هو داود بن نصير الطَّائِي الكوفي، (المتوفىٰ سنة ١٦٢هـ)، الفَقِيه الزَّاهِد أحد الأعلام، كان من كبار أصحاب الرَّأي لكنه آثر الخمول والإخلاص أراد أن يجرِّب نفسه في العُزْلَة فأقامَ في مجلس أبي حنيفة سنة لا ينطق ثمَّ اعتزل النَّاس، وكانت جنازته عظيمة مشهودة. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٥٣) و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٢٢) و«الوافي بالوفيات» (١٣/ ٣١٢).

(٢) هو أبو محفوظ، مَعْرُوفُ بن فَيْرُوزُ الكَرْخِيُّ، (المتوفىٰ سنة ٢٠٠هـ)، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، وُلِدَ في كرخ بغداد، ونشأ وتوفي ببغداد، اشتهر بالصلاح، وكان مجاب الدعوة، وقصده الناس للتبرك به، ذُكِرَ معروفٌ عند الإمام أحمد، فقيل: قصير العلم، فقال: أَمْسِكْ، وهل يُرادُ من العلم إلا ما وصل إليه معروف. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٤٢) و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٣٩) و«طبقات الأولياء» (١/ ٢٨٠).

(٣) هو أبو الحسن سَرِيُّ بن المُغَلِّسِ السَّقَطِيُّ، (مولده بحدود ١٦٠هـ-وتوفي سنة ٢٥٣هـ)، الإمام القدوة شيخ الإسلام، من كبار المتصوفة، بغدادي المولد والوفاة، وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين

والسَّرِيُّ السَّقَطِيُّ لقَّن أبا القاسم الجُنَيْدَ[١]، والجُنَيْدُ لقَّن القاضي رُوَيْم[٢]، ورُوَيْمُ لقَّن محمدَ بن خَفِيفٍ الشِّيرازِيَّ[٣]، ....

وشيخهم في وقته، وكان تلميذ معروف الكَرْخِيِّ، وهو خال الجنيد وأستاذه، كان أوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد، قال فيه الجنيد: ما رأيت أعبد من السَّري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعًا إلا في علة الموت. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٤٥) و«مرآة الجنان» (٢/ ١١٨) و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٨٥).

(١) هو أبو القاسم الجُنَيْدُ بن محمد بن الجُنَيْدِ البغدادي الخَزَّازُ، (مولده سنة نيف وعشرين ومائتين، ووفاته ٢٩٧هـ)، صوفيٌّ من العلماء بالدين، وهو سيد هٰذه الطائفة وإمامهم، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد، أصل أبيه من نهاوند، وأبوه كان يبيع الزجاج فلذٰلك يقال له: القواريري، وكان فقيها علىٰ مذهب أبي ثور، وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة، صحب خاله السَّرِيَّ والحارثَ المحاسبي وغيرهما، وأتقن العلم، ثم أقبل علىٰ شأنه، وجاهد وتعبَّد، ونطق بالحكمة. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٧٨) و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٦٦) و«طبقات الأولياء» (١٢٦).

(٢) هو أبو محمد رُوَيْمُ بن أحمد، (المتوفىٰ سنة ٣٠٣هـ)، بغدادي صوفي شهير، مِنْ أجلَّة المشايخ، وكان مقرئًا فقيهًا علىٰ مذهب داود، قال فيه أبو نعيم الأصبهاني: كان بالقرآن عالمًا وبالمعاني عارفًا وعلىٰ الحقائق عاكفًا، قُلِّدَ بفصل الخطاب، ولم تؤثِّر فيه العلل والأسباب. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٨٥) و«حلية الأولياء» (١٠/ ٢٩٦) و«طبقات الأولياء» (١/ ٢٢٨).

(٣) هو أبو عبد الله مُحَمَّدُ بن خَفِيفِ بن اسفكشَارَ الشِّيرازيُّ، (٢٧٦-٣٧١هـ)، صوفيٌّ شافعيٌّ، كان شيخ إقليم فارس، وهو من أولاد الأمراء، تزهد وسافر في سياحات كثيرة، صحب رويم بن أحمد، وابن عطاء، ولقي الحلاج، وهو من أعلم المشايخ بعلوم الظاهر، متمسك بالكتاب والسنة، وصنف كتبًا، من كلامه: ليس شيءٌ أضرَّ بالمُريد من مسامحة النفس في ركوب الرُّخَصِ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٤٢) و«الوافي بالوفيات» (٣/ ٣٥) و«طبقات الأولياء» (١/ ٢٩٠).

وابنُ خفيفٍ لقَّن أبا العباس النَّهاوَنْدِيَّ(١)، والنهاوَنْدِيُّ لقَّن الشَّيخ فرج الزَّنْجانِيَّ(٢)، والشَّيخ فرج لقَّن القاضي وجيه الديـن(٣)، والقاضي وجيه الدين لقَّن أبا النَّجيب السُّـهْرَوَرْدِيَّ(٤)، ....

---

(١) هو أبو العباس، أحمد بن محمد بن الفضل النهاوندي، (المتوفى قبل سـنة ٥٠٠هـ)، أحد تلامذة جعفر الخلدي، وشـيخ فرج الزنجانـي، وكان له خانقاه يقيم فيه تلامذته، وله حكايات وحكم بليغة. انظر: «نفحات الأنس» (١/ ٢٢٠) وما بعدها.

(٢) هـو فَرَجُ الزَّنْجاني، (المتوفى سـنة ٤٥٧هـ)، نسبته إلى زَنْجان من بـلاد أذربيجان، ويطلق عليه: أخو فرج الزنجاني؛ ولفظة (أخو) تدل على لقب عندهم، وهو أحد أبرز مريدي أبـي العباس النهاوندي، ووفاته بزَنْجان. انظـر: «نفحات الأنس» (٢٢٢) وما بعدها.

(٣) هو أبو حفص، عمر بن محمد بن عَمُّويَه السُّـهْرَوَرْدي، (المتوفى سـنة ٥٣٢هـ)، عمُّ أبي النجيب، قدم بغداد واستوطنها، وتفقَّه على أبي القاسم الدوسي وعلى أبي حامد الغزالـي، وسـمع طـرادًا والتميمـي وعاصمًا وغيرهـم، وحدث ببغـداد، وكان متقدم الصوفيـة في الرباط المعروف بسـعادة الخادم، وبها توفي، ودفن بالشـونيزية عند قبر رُوَيْـمٍ. انظـر: «المنتظم في تاريـخ الملوك والأمم» (١٠/ ٧٥)، و«ذيـل تاريخ بغداد» (٥/ ١١٦).

(٤) هـو أبو النجيب عبـد القاهر بن عبد الله بـن محمد البكـري الصِدِّيقي السُّـهْرَوَرْدِيُّ، (٤٩٠-٥٦٣هــ)، فقيه شـافعي واعـظ، من أئمـة المتصوفين، ولد بسُـهْرَوَرْد -بضمِّ السِّين، وسكون الهاءِ، وفتح الرَّاءِ: مدينة بين زِنْجَانَ وهَمَذانَ-، وقدم بغداد في صباه وسـكنها، فبنيـت له فيهـا رباطات للصوفيـة من أصحابـه، وولي المدرسـة النظامية، وكان يلقـب: مفتـي العراقين وقدوة الفريقيـن، انعقد عليه إجماع المشـايخ والعلماء بالاحتـرام، وتوفـي ببغـداد. انظـر: «الوافـي بالوفيـات» (١٩/ ٣٣) و«مـرآة الجنان» (٣/ ٢٨٠) و«طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة» (٢/ ١١).

والشَّيخ أبو [١/٦] النَّجيب لقَّن الشَّيخ شهاب الدين(١)، والشَّيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِيُّ لقَّن الشَّيخ نجيب الدين بن برغوش الشِّيرازي(٢)، والشَّيخ نجيب الدين لقَّن الشَّيخ عبد الصَّمد النَّطَنْزِي(٣)، والشَّيخ عبد الصَّمد لقَّن الشَّيخ حسن الشمشيري(٤)، ....

---

(١) هو شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمُّويه، القرشي التيمي البكري السُّهْرَوَرْدِيُّ، (٥٣٩-٦٣٢هـ)، الشيخ الامام العالم القدوة الزاهد العارف، المحدث، فقيه شافعي، مفسِّرٌ، واعظ، من كبار الصوفية، مولده في سُهْرَوَرْدَ ووفاته ببغداد، صحب عمه الشيخ أبا النجيب ولازمه، وأخذ عنه الفقه والوعظ والتصوف، وصار شيخ الشيوخ ببغداد، وأوفده الخليفة إلىٰ عدة جهات رسولًا، له كتب من أشهرها عوارف المعارف. انظر: «مرآة الجنان» (٤/ ٦٣) و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٧٣) و«طبقات الأولياء» (١/ ٢٦٢).

(٢) هو نجيب الدين علي بن برغش الشيرازي، (المتوفىٰ سنة ٦٧٨هـ)، من أكابر الشيوخ ممَّن جمع بين عِلْمَي الظاهر والباطن، أصله من شيراز، وبها ولادته، نشأ علىٰ حبِّ الفقراء والتخلُّق بأخلاقهم، وارتاض برياضاتهم، صحب الشيخ إبراهيم المجذوب، ثم اتصلت خدمته بالشُّهاب السُّهْرَوَرْدِيِّ ببغداد، وأخذ عنه الذِّكر والتَّلقين، وقرأ مصنفاته، ثم عاد إلىٰ شيراز وبنىٰ بها خانقاه، واشتغل بإرشاد الطلاب إلىٰ أنْ توفي. انظر: «كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار» (٢/ ١٨٧).

(٣) في (ظ١) و(ن): النطري، وهو ما في «كتائب أعلام الأخيار»، والمثبت ما في بقية النسخ و«نفحات الأنس»، هذا، والمترجم له هو نور الدين عبد الصمد النَّطَنْزِي، كان مِنْ مريدي الشيخ نجيب الدين علي بن برغش الشيرازي، أخذ عنه الذِّكر والتلقين، وبلغ علىٰ يديه رتبة عالية، حتىٰ تصدَّر لمقام الإرشاد والتربية، وكان عالمًا بالظاهر والباطن، وعنه أخذ كمال الدين الكاشي، وعز الدين الكاشي، وغيرهما. انظر: «نفحات الأنس» (٢/ ٦٤٨)، و«كتائب أعلام الأخيار» (٢/ ٢٥٤).

(٤) لم أعثر علىٰ ترجمة له، لكن اتفقت المصادر علىٰ ذكره في سند الخرقة وتلقين الذكر،

والشَّيخ حسن لقَّن الشَّيخ نجم الدين محمود الأصفهاني[1]، والشَّيخ محمود لقَّن الشَّيخ يوسف العجمي الكوراني، والشَّيخ يوسف لقَّن الشَّيخ حسن التُّسْتَرِيَّ[2]، والشَّيخ حسن لقَّن سيِّدي الشَّيخ شهاب الدين أحمد الزَّاهد[3]، وسيِّدي أحمد الزَّاهد لقَّن سيِّدي الشَّيخ العارف بالله سيِّدي مَدْيَنَ[4]،

انظر: «طبقات الأولياء» (٤٩٢)، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٥٩)، و«كتائب أعلام الأخيار» (٢/ ٣٧٩)، و«الأنوار القدسية» (١/ ٣١).

(١) شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني، (٦٧٤-٧٤٩هـ)، كان إمامًا بارعًا في العقليات، عارفًا بالأصلين، فقيهًا، اشتغل بتبريز، وقدم الديار المصرية فولي تدريس المعزية بمصر، ومشيخة خانقاه قوصون بالقرافة، وصنف الكتب المحرَّرة النافعة، وانتشرت تلاميذه، مات شهيدًا بالطاعون. انظر: «حسن المحاضرة» (١/ ٥٤٥)، و«الدرر الكامنة» (٦/ ٨٥).

(٢) هو حسن التُسْتَرِيُّ، (المتوفىٰ سنة ٧٩٧هـ)، تلميذ الشيخ يوسف العجمي وأخوه في الطريق، جلس للمشيخة بعده في مصر وقراها، وقصدته الناس من سائر الأقطار، وكان ذا سَمْتٍ بهيٍّ، وكمال في العلم والعمل، وانتهت إليه الرياسة في الطريق، وله كرامات ظاهرة، توفي ودفن في زاويته في قنطرة الموسكي علىٰ الخليج الحاكمي بمصر. انظر: «الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٦١-٦٢).

(٣) هو أحمد بن سليمان الزاهد، (المتوفىٰ بعد ٨٢٠هـ)، الشيخ الإمام، العالم العامل الرباني، شيخ الطريق، وفقيه أهلها، ربَّىٰ الرجال، وأحيا طريق القوم بعد اندراسها، وكان يقال: هو جنيد القوم، كان يتستر بالفقه؛ لا يكاد يسمع منه كلمة واحدة من دقائق القوم، وصنَّف عدة رسائل في أمور الدين، وانتفع به خلق كثيرون، ومن أبرز تلامذته: محمد الغَمْري، وعبد الرحمن بن بكتمر، ومدين الأشموني، بنىٰ مسجدًا بخط المقسم، أقام فيه مجالس وعظه وتربيته، ودفن فيه بعد وفاته. انظر: «الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٧٥-٧٦) وما بعدها.

(٤) هو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن يونس الحميري المغربي ثم

وسيِّدي مَدْيَنُ لقَّن سيِّدي الشَّيخ محمد[1] ولد أخته، وسيِّدي الشَّيخ محمد لقَّن سيِّدي الشَّيخ محمد أبا الحَمائل السَّرْوِيَّ[2]، وسيِّدي محمد السَّرْوِيُّ لقَّن شيخنا

الأشموني القاهري، (٧٨١-٨٦٢هـ)، من ذرية أبي مدين المغربي، ولد ونشأ في أشمون فحفظ القرآن ومختصر خليل في الفقه، ثم انتقل إلى القاهرة فصحب الشيخ أحمد الزاهد؛ فتفقه وتربى على يديه، وبعد وفاته صحب الشيخ محمد الحنفي، ثم ساح في البلاد فقصد الشام، ثم رجع إلى مصر، فكان من أكابر العارفين، وانتهت إليه تربية المُريدين في مصر وقراها، وكثر أصحابه في إقليم مصر، وغيرها. انظر: «الضوء اللامع» (١٠/ ١٥٠) وما بعدها، و«الطبقات الكبرى للشعراني» (٢/ ٩٢) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (٩/ ٥٢٩) وما بعدها.

(١) محمد بن أحمد بن عبد الدائم الشمس الأشموني ثم القاهري المالكي، (٨١٤-٨٨١هـ)، ابن أخت الشيخ مدين، ولد بأشمون، ونشأ بها، فحفظ القرآن، وحفظ الرسالة وغيرها من المتون، وقرأ في شتى الفنون، ثم صحب خاله مدين، فألبسه الخرقة، وأذن له في ذلك وتصدى له بعده، كان من أصحاب المجاهدات، فظهر صدقه في تلامذته، فتخرج على يديه الشيخ محمد أبو الحمائل السَّرْوي، والشيخ نور الدين الحسني ابن عين الغزال، والشيخ نور الدين علي المرصفي، وغيرهم، توفي بالقاهرة، ودفن في تربة فقراء خاله مدين. انظر: «الضوء اللامع» (٦/ ٣١٣)، و«الطبقات الكبرى للشعراني» (٢/ ٩٨-٩٩).

(٢) هو شمس الدين، محمد بن أبي الحمائل السَّرْوي المصري، (المتوفى سنة ٩٣٢هـ)، أحد الرجال المشهورة في الهمة والعبادة، له أحوال وكرامات، ولمَّا دخل مصر سكن بنواحي جامع الغَمْري، وأخذ عنه الكثيرون، ومنهم أبو بكر الحديدي، ومحمد العدل، والشيخ محمد الشناوي شيخ الشعراني، كما اجتمع به الشعراني ولقَّنه الذِّكر، ومات ﷺ بمصر، وصُلِّي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بزاويته بخط بين السورين. انظر: «الطبقات الكبرى للشعراني» (٢/ ١١٥)، و«الكواكب السائرة» (١/ ٢٩)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٢٥٩) وما بعدها.

وقدوتنا إلى الله تعالى سيِّدي الشَّيخ محمد الشِّنَّاوي[١] الأحمدي، أعاد الله علينا وعلى المسلمين مِنْ بركاته في الدنيا [٦/ب] والآخرة، وسيِّدي الشَّيخ محمد الشِّنَّاوي لقَّن العبد الفقير إلى الله تعالى مؤلف هذه الرسالة عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشَّعْراني الأنصاري، عفا الله عنه وعنهم أجمعين[٢].

وأخبرني شيخنا[٣] ﷺ أنَّ سند تلقين الذِّكر للمُريد يُذْكَرُ بعد تلقينه، وسند لبس الخرقة يذكر قبل[٤] إلباسِها، وقال لي: هذا ما درج عليه السَّلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

[سند لبس الخرقة]

وأمَّا سَنَدُ لُبْسِنا الخِرْقَةَ المباركة: فاعلم يا أخي أنَّني لبست الخرقة المباركة مِنْ جماعات بأسانيد مختلفة، ولكن نذكر لك سندنا مِنْ طريق واحد؛ اختصارًا،

---

(١) هو محمد الشِّنَّاوي، (المتوفى سنة ٩٣٢هـ)، أحد الأولياء الراسخين في العلم من أهل الإنصاف والأدب، أخذ عن ابن أبي الحمائل، وأقامه الله في قضاء حوائج الناس ليلًا ونهارًا، وكان لا يقبل هدايا العمال وأرباب الدولة، أذن لجماعة بتلقين الذكر بعده؛ منهم: شهاب الدين السبكي، وعبد الرحيم المناوي، وأبو العباس الحريثي، والشعراني، ولما توفي دفن بزاويته بمحلة روح، وقبره بها ظاهر يزار. انظر: «الكواكب السائرة» (١/ ٩٧)، و«الطبقات الكبرى للشعراني» (٢/ ١٢٠-١٢١).

(٢) في (ظ٢) و(ط): (رضي الله عنهم أجمعين).

(٣) يريد به الشيخ محمد الشناوي، انظر: «الأنوار القدسية» للشعراني (١/ ٣٢).

(٤) في (ظ١) و(ظ٢): (بعد)، وهو سهو، والمثبت ما في بقية النسخ، وهو الموافق للسياق ولما في «الأنوار القدسية» للشعراني (١/ ٣٢).

وذلك أنني لبست الخرقة مِنْ سيدنا ومولانا شيخ الإسلام أبي يحيىٰ زكريا الأنصاري(١)، المدفون بجوار سيدنا الإمام الشافعي ﷺ، وهو لبسها مِنْ يد الشَّيخ محمد الغَمْرِيِّ الواسِطِيِّ(٢) ﷺ، وهو لبسها [١/٧] مِنْ يد سيِّدي الشَّيخ أحمد

(١) هو شيخ الاسلام أبو يحيىٰ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، (٨٢٣-٩٢٦هـ)، قاض فقيه مفسر، من حفاظ الحديث، ولد في سنيكة بمصر، وتعلم في القاهرة، وأخذ عن أكابر أهل عصره؛ كابن حجر العسقلاني وطبقته، وكُفَّ بصره (سنة ٩٠٦هـ)، نشأ فقيرًا معدمًا، ولما ظهر فضله تتابعت إليه العطايا، فجمع نفائس الكتب، وأفاد القارئين عليه علمًا ومالًا، وولاه السلطان قايتباي قضاء القضاة، فلم يقبله إلا بعد مراجعة وإلحاح، ولما ولي.. رأىٰ من السلطان عدولًا عن الحق في بعض أعماله، فكتب إليه يزجره عن الظلم، فعزله السلطان، فعاد إلىٰ اشتغاله بالعلم إلىٰ أن توفي، له تصانيف كثيرة في شتىٰ الفنون، منها: فتح الرحمن، وتحفة الباري علىٰ صحيح البخاري، وحاشية علىٰ البيضاوي، وشرح إيساغوجي، وشرح ألفية العراقي، وفتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام، وتنقيح تحرير اللباب، وغاية الوصول شرح لب الأصول، وأسنىٰ المطالب في شرح روض الطالب، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، وفتح الوهاب شرح منهج الطلاب، وغيرها كثير. انظر: «الكواكب السائرة» (١/ ١٩٨) وما بعدها، و«النور السافر» (١١١) وما بعدها، و «شذرات الذهب» (١٠/ ١٨٦) وما بعدها، و «البدر الطالع» (١/ ٢٥٢)، و «هدية العارفين» (١/ ٣٧٤).

(٢) هو أبو الحسن، محمد بن أحمد الغَمْري المصري، (المتوفىٰ سنة ٩٣٩هـ)، الشيخ الصالح الورع، ابن الشيخ أبي العباس الغَمْري، وأحد أعيان أصحاب الشيخ أحمد الزاهد، كان من أهل التواضع والكرم والحياء ولين الجانب، قال الشعراني: جاورت عنده ثلاثين سنة ما رأيت أحدًا من أهل العصر علىٰ طريقته في التواضع والزهد وخفض الجناح. ولما توفي دفن عند والده في المقصورة أخريات الجامع التي من

الزَّاهد، وهو لبسها مِنْ يد سيِّدي حسن التُّسْتَرِي المدفون بقنطرة الموسكي[(١)] بمصر المحروسة، وهو لبسها مِنْ يد سيِّدي يوسف العجمي الكوراني[(٢)]، وهو لبسها مِنْ يد الشَّيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، وهو لبسها مِنْ يد الشَّيخ عبد الصَّمد النَّطَنْزِيِّ، وهو لبسها مِنْ يد الشَّيخ نجيب الدين علي بن برغوش، وهو لبسها مِنْ يد الشَّيخ شهاب الدين عمر السُّهْرَوَرْدِيِّ صاحب «عوارف المعارف»، وهو لبسها مِنْ يد عمه أبي النجيب السُّهْرَوَرْدي[(٣)]، وهو لبسها مِنْ يد عمِّه القاضي وجيه الدين، وهو لبسها مِنْ يد أبيه محمد السُّهْرَوَرْدي الشهير بعمُّويه، وهو لبسها مِنْ يد الشَّيخ أحمد الدِّينوري[(٤)]، وهو لبسها مِنْ يد أبي القاسم الجُنَيْد، وهو

إنشاء أبيه أبي العباس الغَمْري. انظر: «الكواكب السائرة» (٢/ ٢٤)، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٨٠-٨١)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٣٢٨-٣٢٩).

(١) أنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة الموسكي الأمير عز الدين موسك؛ قريب السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد توفي هٰذا الأمير بدمشق (سنة ٥٨٤هـ)، وكان من أهل العلم والخير. انظر: «موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام» (٢٢١)، و«متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني» (٢٠٤-٢٠٥).

(٢) قوله: (وهو لبسها مِنْ يد سيِّدي يوسف العجمي الكوراني) ساقط من (ظ١).

(٣) في (ظ٢) أسقط أبا النجيب السهروردي من السند، وهو سهو من الناسخ، وانظر: «الأنوار القدسية» (١/ ٥٠).

(٤) هو أبو العباس، أحمد بن محمد الدينوري، (المتوفىٰ بعد ٣٤٠هـ)، صحب يوسف بن الحسين، وعبد الله الخراز، وأبا محمد الجريري، وأبا العباس بن عطاء، ولقي رُوَيْمًا، وهو من أفتىٰ المشايخ وأحسنهم طريقة واستقامة، ورد نيسابور وأقام بها مدة، وكان يعظ الناس ويتكلم علىٰ لسان المعرفة بأحسن كلام، ثم رحل من نيسابور

لبسها مِنْ يد أبي جعفر الحداد[(١)]، وهو لبسها مِنْ أبي عمر الإصْطَخري[(٢)]، وهو لبسها مِنْ يد شقيق البَلْخِي[(٣)]، وهو لبسها مِنْ يد إبراهيم بن أدهم[(٤)]، وهو لبسها

إلىٰ سمرقند، ومات بها. انظر: «طبقات الصوفية» (٣٥٥) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ١٤٣).

(١) كذا في كل النسخ، وهو ما في «الأنوار القدسية» (٥٠) أيضًا، ولم يظهر لي من المراد به؛ إذ في كتب التراجم عدد ممَّن يحمل نفس الكنية واللَّقب، لكن لفت نظري أنَّ في سند ابن الملقن في «طبقات الأولياء» (٤٩٤): (الجنيد، عن جعفر الحذاء، عن أبي عمر الأصطخري، عن شقيق البَلْخِي... إلخ)، كما ذكره في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٣٨)، ونص علىٰ أنه أبو محمد جعفر الحذاء عن أبي عمر الإصطخري، فلعل فيه تصحيفًا، والله أعلم.

(٢) في (ظ١) و(ط): (أبي عمرو الإصطخري)، والمثبت ما في باقي النسخ، وهو ما في «الأنوار القدسية» (٥٠)، و«الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٣٨)، ولم أقف علىٰ ترجمة وافية له.

(٣) هو أبو علي، شَقِيْقُ بن إبراهيم بن علي الأزدي البَلْخِي، (المتوفىٰ سنة ١٩٤هـ)، زاهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خراسان، من أوائل من تكلم في علوم الأحوال بكور خراسان، أخذ عن إبراهيم بن أدهم، وأخذ عنه حاتم الأصم، وكان من كبار المجاهدين، استشهد في غزوة كولان بما وراء النهر. انظر: «طبقات الصوفية» (٦٣)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣١٣) وما بعدها.

(٤) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البَلْخِيُّ (ولد في حدود ١٠٠هـ-توفي ١٦١هـ)، زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنىٰ في بلخ، فتفقه ورحل إلىٰ بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة، صحب الثوري، والفضيل بن عياض، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، توفي بالشام وقبره فيها ظاهر يزار. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٣٥) و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٨٩) و«طبقات الأولياء» (١/ ٥).

مِنْ يد موسىٰ بن زيد الراعي(١)، وهو لبسها مِنْ يد أُوَيْسٍ القَرَنِيِّ(٢)، وهو لبسها مِنْ يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهما بأمر النبي ﷺ [٧/ب] لهما بذلك، وعمرٌ وعليٌّ لبساها مِنْ يد رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ لبسها مِنْ يد جبريل عليه السلام في بعض الإسراءات السَّماويَّة، وجبريل لبسها مِنَ الحقِّ عَزَّ وجَلَّ، وهٰذا مجمَعٌ عليه مِنْ أهل الطريق، والحمد لله رب العالمين.

[آداب الذِّكر]

وأمَّا بيان آداب الذِّكر المشار إليه عند القوم.. فكثيرة، ولٰكن يجمعها كلها

---

(١) لم أقف علىٰ ترجمة وافية له، لكن قال الحافظ بن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ١١٧): (موسىٰ بن زيد الراعي أبو عمران الديلمي، نزيل بلخ، لم أجد له ذكرًا، وأظنُّ أنَّ بعض مَنْ في إسناد خَبَرِهِ اختَلَقَهُ؛ فإنَّه أُسنِدَتْ عنه خرقة التصوف، فزعم -أو مَنِ اختلقَهُ- أنَّ أُوَيْسًا القَرَنِيَّ ألبسه الخرقة لمَّا قدم بلاد الديلم، ومات بها... إلىٰ أنْ قال: وهٰذا خبر باطل بيقين، وأُوَيْسٌ قُتِلَ بصِفِّين؛ كما ذكرته في ترجمته، وقيل: مات قبل ذٰلك، فالله أعلم. انتهىٰ.

(٢) قوله: (وهو لبسها مِنْ يد موسىٰ بن زيد الراعي، وهو لبسها مِنْ يد أُوَيْسٍ القَرَنِي) ساقط من (ظ١)، وهو سقط من الناسخ، هٰذا، والمترجم له هو أُوَيْسُ بن عامِر بن جَزْءِ بن مالك القَرَنِي، (المتوفىٰ سنة ٣٧هـ)، من بني قَرَن بن ردمان بن ناجية بن مراد؛ من سادات التابعين، وأحد النساك العباد المقدمين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، فوفد علىٰ عمر بن الخطاب ﷺ في خلافته، ثم سكن الكوفة، وشهد وقعة صِفِّين مع علي ﷺ، ورجَّح بعضهم أنَّه قُتِلَ فيها، وقيل غير ذٰلك. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٩) وما بعدها، و«مرآة الجنان» (١/ ٨٥)، و«الوافي بالوفيات» (٩/ ٢٥٧).

عشرون أدبًا: خمسة سابقة على التَّلفظ بالذِّكر، واثني عشر في حال الذِّكر، وثلاثة بعد الفراغ مِنَ الذِّكر.

فأما الخمسة السابقة:

فأوَّلها: التوبة، وحقيقتها عند القوم: ترك العبد ما لا يعنيه[1] قولاً وفعلاً وإرادةً.

ثانيها: الغسل أو الوضوء.

ثالثها: السكوت والسكون؛ ليحصل بذلك الصِّدق بأنْ يشغل قلبه بـ(الله الله) بالفكر دون اللفظ، حتى لا يبقى خاطر مع (الله الله)[2]، ثم يوافق اللسانُ [٨/أ] القلبَ بقول: (لا إله إلا الله).

رابعها: أنْ يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذِّكر بهمَّة شيخه.

خامسها: أنْ يرى استمداده مِنْ شيخه هو استمداده مِنَ النبي ﷺ؛ لأنَّه نائبه.

وأمَّا الاثني عشر التي هي في حال الذِّكر:

فالأول: الجلوس على مكان طاهر؛ كجلوسه في الصلاة.

الثاني: أنْ يضع راحتيه على فخذيه.

الثالث: تطييبه مجلس الذِّكر بالرائحة الطيِّبة، وكذا ثياب بدنه.

الرابع: لبس اللباس الطيِّب الحلال.

---

(١) في (ظ١): (حقيقتها عند القوم أهل التوحيد سكوت فيما لا يعنيه).

(٢) قوله: (بالفكر دون اللفظ، حتى لا يبقى خاطر مع (الله الله)) ساقط من (ن).

الخامس: اختيار الموضع المظلم إنْ أمكن.

السادس: تغميض العينين؛ لأنَّه بتغميض عينيه تنسدُّ عليه طرق الحواسِّ الظاهرة، وسدُّها يكون سببًا لفتح حواسِّ القلب.

السابع: أنْ يخيِّلَ خيالَ شيخه بين عينيه، وهٰذا عندهم آكد[1] الآداب.

الثامن: الصِّدق في الذِّكر؛ بأنْ يستوي عنده السِّرُّ والعلانية.

التاسع: [٨/ب] الإخلاص، وهو تصفية العمل مِنْ كلِّ شَوْبٍ، وبالذِّكر والإخلاص يصل الذَّاكر إلىٰ درجة الصِّدِّيقيَّة، بشرط أنْ يُظْهِرَ جميعَ ما يخطر بقلبه مِنْ حسن وقبيح لشيخه، وإنْ لم يُظْهِرْ ذٰلك لشيخه.. كان خائنًا، وحُرِمَ الفتحَ و﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨][2].

العاشر: أنْ يختار مِنْ صِيَغِ الذِّكر لفظة: (لا إله إلا الله)؛ فإنَّ لها أثرًا عند القوم لا يوجد في غيرها مِنَ الأذكار الشرعيَّة، فيذكر بها جهرًا بقوَّةٍ تامَّةٍ، بحيث لا يبقىٰ فيه متَّسع، ويصعد: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله[3]، (لا إله) مِنْ فوق السُّرَّة مِنَ النَّفس التي بين الجنبين، ويوصل (إلا الله) بالقلب اللَّحميِّ الكائن بين عظم الصدر والمعدة، ويُمِيلُ رأسه إلىٰ الجانب الأيسر مع حضور القلب المعنويِّ فيه.

---

(١) في (ن): (أكبر).

(٢) في (ظ٢): (و﴿ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢]).

(٣) قوله: (لا إله إلا الله) ثلاثًا مثبت من (ظ١)، وساقط من باقي النسخ.

الحادي عشر: إحضار معنى الذِّكر بقلبه على اختلاف درجاته في الترقِّي، ويَعْرِضُ كلَّ ما ترقَّى فيه مِنَ الأذواق على شيخه [٩/أ]؛ ليعلمه طريق الأدب فيه.

الثاني عشر: نفي كل موجود مِنَ القلب سوى الله تعالى، بـ(لا إله)[١]؛ ليتمكَّن تأثير (إلا الله) بالقلب ويسري إلى الأعضاء؛ كما قالوا: ينبغي للرَّجل إذا قال: الله.. يهتز مِنْ فرق رأسه إلى إصبع قدميه، وهذه حالة يُستَدَلُّ بها على أنَّه سالك؛ فيُرجى له التقدُّم إلى أعلى منها إنْ شاء الله تعالى.

وأمَّا الثلاثة التي بعد الفراغ مِنَ الذِّكر:

فأوَّلها: أنْ يسكن إذا سكت، ويخشع ويحضر مع قلبه مترقِّبًا لوارد الذِّكر؛ لعلَّه يَرِدُ عليه واردٌ، فيعمر وجوده في لحظة ما لا تعمره الرياضة والمجاهدة في ثلاثين سنة وأكثر.

الثاني: أنْ يَزُمَّ[٢] نَفْسَه ونَفَسَه[٣] مرارًا، وهذا كالمجمَع على وجوبه عندهم؛ لأنَّه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجاب وقطع خواطر النَّفس والشيطان.

---

(١) كذا في (ظ٢)، وهو الموافق للسياق، لكن في بقية النسخ (بلا إله إلا الله).

(٢) كذا في الأصول؛ بالزاي، هذا، ويقال: زَمَّه يزُمُّه زَمًّا فانزَمَّ؛ أي: شَدَّه، والزِّمام - كَكِتاب -: ما يُزَمُّ به. «تاج العروس» مادة (ز م م). هذا، وفي «الأنوار القدسية» (١/ ٤٠): (الثاني: أنْ يزُمَّ نفَسَهُ مرارًا بقدر ثلاثة أنفاس إلى سبعة أنفاس وأكثر؛ حتى يدور الوارد في جميع عوالمه؛ فتنور بصيرته، وتقطع عنه خواطر النفس والشيطان، وتكشف عنه الحجب، وهذا كالمجمع على وجوبه عندهم). لكنها في «الأنوار القدسية»: (يذم)، وسياق الكلام يدل على أنَّه تصحيف.

(٣) قوله: (ونَفَسَه) ساقط من (ط) و(ن).

الثالث: منع شرب الماء عقبه؛ لأنَّ الذِّكر يورث حُرْقَةً وشوقًا وتهييجًا [٩/ب] إلىٰ المذكور، وهو المطلوب الأعظم مِنَ الذِّكر؛ وشُرْبُ الماء عقيب الذِّكر يطفئ ذٰلك.

قال الأشياخ: فليحرص الذاكر علىٰ هٰذه الآداب الثلاثة؛ فإنَّ نتيجة الذِّكر إنَّما تظهر بها، وكان أبو علي الدَّقَّاق[١] ﷺ يقول: الذِّكر منشور الولاية، فمَنْ وُفِّقَ للذِّكر فقد أُعْطِيَ ذٰلك المنشور، ومَنْ طُرِدَ عن الذِّكر فقد عُزِلَ عن تلك الولاية. والله تعالىٰ أعلم.



(١) هو أبو علي، الحسن بن علي بن محمد الدقاق، (المتوفىٰ سنة ٤٠٦هـ)، الأستاذ الزاهد النيسابوري، شيخ الصوفية، تفقه علىٰ الخضري والقفال، وَصَحب في التصوف أبا القاسم النصراباذي، وتتلمذ علىٰ يديه أبو القاسم القشيري وغيره، له كلمات سائرة، ومواعظ باهرة، نقل القشيري عنه الكثير في رسالته. انظر: «مرآة الجنان» (٣/ ١٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٢/ ١٠٣)، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٤/ ٣٢٩).



الباب الثاني

في آداب المُريد في نفسه

واستقصاء جميع ذلك يَعْسُرُ ضبطُهُ، ولكن نذكر منها جُملًا صالحة...

[غلبة الصمت]

ومنها: أنْ يكون الغالب عليه الصَّمتَ وقِلَّةَ الكلام؛ فلا يتكلم إلَّا عن ضرورة، مثل أنْ يسألَهُ رفيقُهُ عن حاجة، أو يَرِدَ عليه غريبٌ لا يعرف أحدًا؛ فيكلمه على وجه الملاطفة، ويقبل عليه بكلِّيَّته قيامًا بحق الضيف، وقد كان سيِّدي يوسف العجمي [١٠/أ] يأمر تلامذته بقول: (لا إله إلا أنت يا حيُّ يا قيُّوم) كل يوم أربعين مرَّة صباحًا ومساءً؛ جبرًا لِمَا لعلَّه يحصل مِنْ موت القلب باللَّغو والمكروهات.

[دوام الذكر إلى حصول الغيبة]

ومنها[١]: ألاَّ يقطع الذِّكر إذا افتتحه حتى يحصل له الغَيْبَةُ عن الحاضرين

(١) حشَّى الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (مطلب: الفتح الإلهيُّ لا يكون إلاَّ لمَن غاب عن إحساسه، وهو نفيس جدًّا، منَّ الله تعالى علينا به بجاه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسَّلام مِنَ العليم العلَّام، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وأصحابهم أجمعين).

وجميع الأكوان، ويحضر مع الحق تعالىٰ؛ وذٰلك لأنَّ الفتح الإلهي لا يكون قطُّ إلَّا لمَنْ غاب عن إحساسه؛ لأنَّه حينئذٍ استحقَّ دخول الحضرة الإلهية، وأمَّا مَنْ لم يحصل له الغيبة.. فذكره حسنات لا درجات، كذكر العجائز اللاتي قَطَعْنَ الولادَةَ وصِرْنَ يسعلن فوق قبَّة الفُرن[١]، فما دام يشهد الكائنات.. فهو محجوب، وهي كلُّها فقيرة؛ تسأل الله كما يسأل هو، وليس عندها شيء مِنَ الخِلَعِ تخلعه عليه؛ فافهم[٢][١٠/ب].

وقد رأىٰ سيِّدي إبراهيم المَتْبُولِيُّ[٣] ﷺ شابًّا كثير العبادة والاجتهاد، وهو مع ذٰلك ناقص الدَّرجات، فقال له سيِّدي إبراهيم: يا ولدي؛ ما لي أراك كثير الأعمال ناقص الدرجات؟ فقال: يا سيِّدي؛ لا أدري، فقال له سيِّدي إبراهيم: إنَّما جاءك النَّقص لعدم مراعاتك لآداب الأعمال الباطنة، فقال: يا سيِّدي، صدقت.

قلت: ولذٰلك عدم أهل الجدال مِنَ الفقهاء والعُبَّاد الترقِّي في درجات الولاية، وجمدوا علىٰ ما فهموا مِنْ ظواهر النُّقول، ولم يتعدَّوا إلىٰ ما وضعه الشارع في طيِّها مِنَ الزَّواجر والقوارع، فلم يزدادوا بكثرة العلم وتلاوة القرآن زهدًا في الدنيا، ولا إقبالًا علىٰ ربهم، وماتوا وأحدهم يودُّ أنْ لو كان عنده واديان

---

(١) كذا في كل الأصول، ولم يتبيَّن لي مراده به.

(٢) من قوله: (فما دام يشهد..) إلىٰ هنا ساقط من (ظ٢).

(٣) هو برهان الدين، إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي، (المتوفىٰ سنة ٨٧٧هـ)، كان نادرة عصره وصوفِيَّ وقته، وكان للعامة فيه اعتقاد حسن، كانت شفاعته عند السلطان والأمراء لا تردُّ، وله برٌّ ومعروف، ولد في متبول، ونشأ وأقام في القاهرة، وتوفي وهو قاصد بيت المقدس للزيارة عن نحو ثمانين سنة، ودفن قرب غزة. انظر: «الضوء اللامع» (١/ ٨٥)، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٧٧-٧٨).

مِنْ ذهب، بل يودُّ أنْ لو زاد له رغيفٌ آخرُ زائدًا علىٰ خبزه، فافهم يا ولدي؛ فإنَّ السَّالك علىٰ يد الفقراء كالطائر إلىٰ حضرات [١١/أ] القرب، والسَّالك مِنْ غير طريقهم كالمُقْعَدِ الذي يَزْحَفُ(١) تارة ويسكن أخرىٰ، مع بعد الطريق، والله أعلم.

[بَساطَةُ المَلْبَس]

ومنها: أنْ يكون قميصه قصيرًا نظيفًا واسع الأكمام، وأنْ يكون طرحًا أو مصبوغًا كلُّه، ولا يلبس الأبيض إلَّا يوم الجمعة فقط؛ لأنَّ المُريد واجبٌ عليه التجريد وترك الدنيا بحذافيرها؛ والأبيض يحتاج إلىٰ غسله بالصابون ونحوه؛ فيحوجه إلىٰ ثمنه، فيحتاج إلىٰ الكَسْبِ والحِرْفَةِ أو سؤال الناس، فينقطع توجُّهه إلىٰ الله تعالىٰ، ويتوجَّه إلىٰ الدنيا، وكُلُّ شيء يهواه المُريد.. يقطعه عن الله عَزَّ وجَلَّ، فليصبر علىٰ وسخ الثياب حتىٰ يزول وسخ قلبه، فإذا زال وسخ قلبه وكمل حاله.. طولب بنظافة الثياب الظاهرة؛ ليشاكل بذٰلك باطنه ويعمل بالعدل في ذٰلك، ومتىٰ اشتغل المُريد بنظافة ظاهره ولبس الأصواف والجوخ والمطرَّزات.. لا يفلح ولو كان شيخُهُ مِنْ أكبر المُسَلِّكين، [١١/ب] فاعلم ذٰلك(٢).

فينبغي للمُريد أنْ يجمع أهوية الدنيا بحذافيرها؛ فيجعلها عقدة واحدة ويطرحها في بحر الإياس، فإنْ كان ولا بُدَّ له مِنْ ملابس الدنيا.. فليَلْبَسِ الوَسَطَ؛ لا رقيقًا يصف البشرة، ولا غليظًا كالخيش، وكذٰلك لا ينبغي للمُريد أنْ يلبس

---

(١) في (ط) و(ظ١) (يسحف).

(٢) حشَّىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (مطلب: اعلم أنَّ الواجب علىٰ المُريد ترك الدنيا بحذافيرها، فالذي يدعي الإرادة مع حبِّ الدنيا كذَّاب خائن، تاب الله علينا بجاه سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ).

الثياب التي فيها خطوط حمر وخضر، كالتي يلبسها أهل الرُّعونة والفسق؛ عملًا بعرف الفقراء في ذٰلك؛ فإنَّ المُريد كلَّما تلبَّس بصفات القوم.. كلَّما قرب مِنْ أحوالهم، حتىٰ أنَّ المُريد الصَّادق يسرق جميع أحوالهم في مدَّة يسيرة، وكان السَّلف يستحبُّون أنَّ قميص أحدهم ذا جيب، ويكرهون السراويل الواسعة القُنان(1)، وأنْ يجعل علمًا علىٰ ثوبه مِنْ غير تخرق، إلاَّ أن يكون علىٰ سبيل التَّبرُّك بصاحب ذٰلك اللَّون؛ كالأحمديَّة والرِّفاعيَّة والقادِريَّة، وقد رأيت في بعض الكتب أنَّ أصل هٰذه الخِرَقِ أنَّ رسول الله صلىٰ الله [١٢/أ] عليه وسلم أخرج له جبريل صندوقًا، ففتحه، فإذا فيه خرق حمر وخضر وسود، فقال: «مَا هَذَا يا جِبْرِيْلُ؟» فقال: هٰذه خرق ستكون لخواصِّ أمَّتك(2). ورأيت هٰذا الحديث متَّصِلَ السَّند مِنْ صاحب الكتاب إلىٰ رسول الله ﷺ، ثم قال: ورواه البزَّار أيضًا بإسناد لا بأس به(3)، والله أعلم.

[دوام النشاط]

ومنها: أنْ يكون مِنْ شأنه دائمًا النَّشاط والنَّهضة، وألَّا يرمي بنفسه إلىٰ العجز والكسل، ومتىٰ تناول شيئًا وهو قاعد.. فهو عاجز؛ لا يجيء منه شيء.

[ترك المباحات إلا لضرورة]

ومنها: ألَّا يأكل ولا يشرب ولا يلبس ولا يركب ولا ينكح ولا ينام إلَّا عن

(١) القُنَانُ: كُمُّ القَميصِ. «تاج العروس» مادة (ق ن ن).
(٢) لم أعثر عليه في شيء من كتب السنة.
(٣) لم أعثر عليه في «مسند البزار».

ضـرورة يـؤدِّي ترك هٰذه الأمور إلىٰ أعظم مِنْ فعلها في المفسـدة، وهٰذا وإنْ كان مَنْ فعل هٰذه الأمور.. فقد أتىٰ مباحًا، لكن فعل المباح ليس مِنْ شأن المُريدين.

[استصغار النفس]

ومنهـا: أنْ يـرىٰ دائمًـا [١٢/ب] حقارة نفسـه؛ ليكـون خدومًـا لإخوانه، ولا يخدمه أحد منهم.

[الفطنة واليقظة]

ومنها: أن يكون يَقِظًا فَطِنًا لِما يأمره به شيخه، ولا يُحْوِجَ شيخَهُ إلىٰ تصريح بأمر أو نهي، بل يفهم بالإشارة والرَّمز.

[ترك فضول النظر]

ومنها: أنْ يكون مِنْ شـأنه دائمًا الإطراق وعدم الالتفات وفضول النظر(١)، حتىٰ كان أحدهم إذا سئل عن صفة جليسه.. لا يعرفها، فكيف بشيخه؟!، وما قام أحـد بهٰذا الأدب مثل ما قام به النقشـبندية(٢) ببلاد السـند؛ فـإنَّ أحدَهُم بمجرَّد ما يأخذ شيخه عليه العهود لا يعود ينظر إليه حتىٰ يموت.

---

(١) في (ظ١): (وقصور النظر)، وعليه فهو معطوف علىٰ (الإطراق).

(٢) في (ن) و(ظ١): (النخشبندية).

[دوام الاشتغال بالذكر]

ومنها: أَلَّا يَلْهَجَ بغير ذكر الله عَزَّ وجَلَّ[١]، ولا يجيب قطُّ مَنْ عَدَلَهُ إلىٰ غيره مِنْ زوائد العلوم، ونوافل العبادات؛ فإنَّ الذِّكر لله لا يقبل الشركة[٢]، فكل شيء أشركه المُريد معه.. تَخَلَّفَ عن الفتح بقَدْرِهِ كثْرَةً وقِلَّةً.

[القيام بخدمة الإخوان]

ومنها: القيام بالإمامة والأذان وغسل [١٣/أ] الثياب لإخوانه إذا اتَّسخت وأن يستأذن في ذٰلك شيخه، وكذٰلك مِنْ آدابه إصلاح السِّراج، وتنظيف المُسْتَراح، وتهيئة أحجار الاستنجاء وماء الوضوء، واتِّخاذ السَّجَّادة والقَطِيفة[٣] لمسح الأعضاء، والسِّواك والمشط والمقص والخِلال[٤] والإبرة ومحكِّ الرَّأس.

---

(١) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (اعلم يا أخي أنَّ الذِّكر هو الرُّكن الأعظم للطريق، وهو بمثابة ترك الأكل لوظيفة الصيام؛ أدنىٰ شيء مِنَ المأكل يفسده، فإذا فسد.. يحتاج إلىٰ استئنافه ثاني يوم، فإذا أفسده ثاني يوم.. يحتاج إلىٰ الاستئناف... وهَلُمَّ جرًّا، والذي يصبر إلىٰ الغروب هو الذي يسمىٰ صائمًا، أسأل الله العظيم بجاه سيد الأولين والآخرين ﷺ أنْ يقطع عنَّا كلَّ قاطع يقطع عنه مِنْ غير محنة ولا بلاء، بل مِنْ خالص فضله تعالىٰ ومِنَّتِهِ التي لا يشوبها كَدَرٌ).

(٢) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (قوله: (فإن الذِّكر لله لا يقبل الشركة) قال الشيخ البوني ﷺ ورضي عنا به: الذِّكر مع علاقة الباطن واشتغال المحل لا ينتج إلا ما كان مناسبًا له في النقص).

(٣) القَطِيفَةُ: دِثارٌ مُخَمَّلٌ، الجمع: قَطائِفُ وقُطُفٌ بضَمَّتَيْنِ. «القاموس المحيط» مادة (ق ط ف).

(٤) الخِلَالُ: العود الذي يُتَخَلَّلُ به. «مختار الصحاح» مادة (خ ل ل).

[التزام آداب الطعام]

ومنها: استعماله الحَنَكَ اليمين في مضغ الطعام، واستعمال الطِّيبِ في الإِبِطِ، ووضعُ الطَّعام على السُّفرة دون الأرض كلَّما أكل؛ تعظيمًا لنعمة الله عَزَّ وجَلَّ.

[التزام آداب قضاء الحاجة]

ومنها: تخفيف الثِّياب لدخول الخلاء، والبداءة في التَّشـمير بالكُمِّ الأيسر، وفـي التَّشـمير لأمرٍ آخر - كوضع السـفرة أو رفعها، أو اسـتعمال شـيء طاهر - بالكُمِّ الأيمن، ويخلع سـراويله بحيـث يتمكَّن مِنَ الجلوس، ويكون ذٰلك بحيث لا يـراه أحـد، ويجعلهـا تحت القميـص تحت إبطـه الأيسـر، وإذا أراد أنْ يدخل بيت الطهـارة.. يضرب برجله الأرض ثلاث مرات علىٰ بـاب [١٣/ب] الخلاء، ثمَّ يتنحنـح؛ يعني بذٰلك: هل هنا أحد؟ فيجيبه الآخر مِنْ داخل بالتَّنَحْنُحِ، ولا يطرق الباب؛ فربَّما انفتح فكشف عورة مَنْ هناك.

وبالجملة فالآداب كثيرة، ولكنها اندرست؛ لِقِلَّة أهلها ومَنْ يستعملها، وقد كان للُّصوص في الزمن الماضي شروط، ما أظن أنَّ أحدًا مِنَ المُريدين الآن يقدر علىٰ العمل بها، مـع ادِّعائهم الإقبال علـىٰ الله تعالىٰ وأنَّهم صادقـون في ذٰلك، ولنذكر لك منها بعض شروط لتعرف حال أهل زمانك اليوم:

[نبذة في شروط كان اللصوص يتحققون بها في الزمن الماضي]

منهـا: أنَّ أحَدَهُم كان إذا خرج للسَّـرقة.. يتطهَّر ويصلِّي ركعتين بحضور تامٍّ، ثم قال: (يا سَتَّار، يا سَتَّار، استرني) سبعين مرَّة، ثم يخرج مراقبًا لله عَزَّ وجَلَّ، لا يفتر عن مشاهدته بقلبه حتىٰ يرجع، ويقول في ابتداء خروجه: (اللَّهم أغنني بحلالك عن

الحرام، وإنْ قسمت [١٤/أ] لي حرامًا فأسألك ألَّا تؤاخذني به، وأنْ تخلف على صاحبه بأضعافه عاجلًا غير آجل(١)، ناويًا أنْ يرزقه الله تعالىٰ ما جعله حرامًا؛ ليقوم هو بوزره دون إخوانه المسلمين؛ لِمَا هو عليه مِنَ الفتوَّة، ولِما جعله الله تعالىٰ في قلبه مِنَ الرَّحمة والشَّفقة على عباد الله تعالىٰ، ثم يقول: (اللَّهم اخلُف علىٰ مَنْ قَسَمْتَ لي أنْ أسرُقَ مِنْ ماله بأضعاف ما أسرقه، وأَنْزِلْ له البركة في رزقه).

وقد قلت مرَّة لشخص مِنَ الأولياء - وكان لِصًّا -: ما دليلك في السرقة المنافية لأحوال الصالحين؟ فقال لي: دليلي قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ [الأحزاب:٦]، فأنا أفدي إخواني مِنْ أكل الحرام؛ لأتحمَّل عنهم العقاب في الدنيا والآخرة، وذٰلك لي بحكم الإرث مِنْ رسول الله ﷺ، فأنا أولىٰ مِنْ إخواني بأنفسهم، وأَشْفَقُ [١٤/ب] عليهم منهم علىٰ أنفسهم.

ومِنْ شروطهم: أنَّهم كانوا لا يسرقون مِنْ بيت شخص أكلوا عنده، أو أكلوا عند أحد مِنْ إخوانه لقمة واحدة في الدهر، وقد حكىٰ لي شيخنا رضي الله عنه عن حمُّور(٢) كبير اللُّصوص رحمه الله أنَّه دخل بيت تاجر مرَّة في اللَّيل، ففتح التاجر عينه مِنَ النَّوم فوجده واقفًا علىٰ رأسه، فقال: لا تخف يا خواجا؛ نحن ضيوفك الليلة، فقال: الضيافة وكل خير، ثمَّ أخرج لهم ألف دينار ذهبًا، وكانوا عشرة، لكل رجل منهم مائة دينار، فقال له حمَّور: عدَّاك العيب يا خواجا، فلمَّا أرادوا الخروج.. نظر

---

(١) قوله: (غير آجل) مثبت من (ظ٢).

(٢) هو حمور كبير اللصوص زمن السلطان قايتباي، طلبه السلطان سنين حتىٰ أمسكه، وجرسه هو وأصحابه على الجمال في مصر، وقتله، والتاجر هو: المرجوشي، وأراد الشعراني بقوله: (شيخنا) الشيخ عليًّا الخواص. انظر له: «المنن الوسطىٰ» (٤٠٦)، و«الأخلاق المتبولية» (٤٧٤)، و«بهجة النفوس» (١/ ١٦٨-١٦٩).

بعض اللصوص إلى حُقٍّ يضيء على الرَّفِّ مِنْ فضَّة، فأخذه ففتحه، فإذا فيه شيء أبيض، فلحس منه فإذا هو ملح، فقال: آه هٰذا ملح، فسمع بذٰلك حمَّور، فقال لأصحابه: رُدُّوا ما معكم [١/١٥]، والله لا يصحبنا مِنْ ذٰلك دينار واحد بعد أنْ ذاق صاحبنا مِنْ ملحِهِ، ثمَّ خرج وهو يضحك.

فانظر حالَكَ أيُّها المُريد مع إخوانك وأكلك مِنْ خبزهم وطعامهم ليلًا ونهارًا، ثم لا تحفظ لهم شيئًا مِنْ ذٰلك، وتخونهم وتذكرهم بالنَّقص مِنْ ورائهم، ومِنْ قُدَّامهم، و﴿ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤].

ومنها: أنَّهم كانوا لا يأخذون مِنَ النَّقْدِ - إذا وجدوه - سوى العُشْرِ.

ومنها: أنَّهم كانوا لا يسرقون مِنْ بيت فيه فَرَحُ طُهُورٍ(١) أو عرس أو مولود.

ومنها: أنهم كانوا لا يسرقون مِنْ بيت أمين حُكْمٍ عنده مالٌ لأيتام، ولا مِنْ بيت شخص مشهور بودائع الناس.

ومنها: أنهم كانوا لا يسرقون مِنْ حارة وليٍّ لله عَزَّ وجَلَّ، حَيٍّ أو ميِّت؛ أدبًا مع ذٰلك الولي.

ومنها: أنَّهم كانوا لا يسرقون قَطُّ حوائج امرأة، ولا مِنْ ثيابها [١٥/ب] أو ثياب أطفالها، عفا الله عنهم أجمعين، فتأمَّل هٰذه الآداب، والله يتولَّى هداك، والحمد لله رب العالمين.



(١) طَهَّرَ فُلانٌ وَلَدَه: إذا أقامَ سُنَّةَ خِتَانِه، والخِتَانُ: هو التَّطْهِيرُ. «تاج العروس» مادة (ط هـ ر).



الباب الثالث
في آداب المُريد مع شيخه(١)

اعلم - رحمك الله تعالىٰ - أنَّ أحدًا لم يبلغ قطُّ إلىٰ حالة شريفة إلَّا بملاقاة المشايخ، ومعانقة الأدب معهم، وملازمة خدمتهم، ومَنْ صحب الأكابر علىٰ غير طريق الاحترام.. حُرِمَ فوائدهم وبركات نظرهم، ولا يظهر عليه مِنْ آثارهم شيء ولو تكلَّف ذٰلك، وكان الجُنَيْدُ ﷺ يقول: مَنْ حُرِمَ احترام الأولياء.. ابتلاه الله بالمَقْتِ بين العباد. نسأل الله العافية، وفي رواية عنه: مَنْ جالس هٰذه الطائفة ثمَّ لم يتأدب معهم.. سَلَبَ الله منه نور الإيمان. وفي رواية: مَنْ جلس معهم ونازعهم في شيء يتحقَّقون به [١٦/أ] في أنفسهم.. يُخافُ عليه مِنْ سوء الخاتمة؛ لأنَّ الله تعالىٰ يغضب لغضبهم. وكان ﷺ يقول: إنَّما حُرِمُوا الوصول.. بتركهم الاقتداء وسلوكهم بالهوىٰ، فطالت عليهم الطريق، وربما مات أحدهم في أثناء الطريق ولم يحصل علىٰ حاصل.

---

(١) حشىٰ الناسخ في هامش (ط) بقوله: (قال الشيخ أبو القاسم القشيري قُدِّسَ سِرُّهُ: لا يصح للشيوخ التجاوز عن زلَّات المُريدين؛ لأنَّ ذٰلك تضييعٌ لحقوق الله، وما لم يتجرَّد المُريد عن كل علاقة.. لا يجوز لشيخه أنْ يُلَقِّنَهُ شيئًا مِنَ الأذكار. انتهىٰ، وقال النَّوويُّ في «تهذيب الأسماء واللُّغات»: عقوق الوالدين له توبة، وعقوق الأستاذ لا توبة له. انتهىٰ).

إذا علمت ذٰلك.. فمن شروط المُريد:

[تعظيم الشَّيخ واحترامه]

أَلَّا يدخل في صحبة أحد مِنَ الشيوخ حتىٰ يقع له في قلبه الحرمة؛ لأنَّ ذٰلك أسرع لنتاجه وإدراكه، فبقدر ما يسقط عنده حرمة شيخه.. بقدر ما تطول عليه الطريق، ويعدم النفع، وبقدر ما يعظم في عينه.. بقدر ما يقرب فتحه، وقد كان الجُنَيْدُ ﷺ إذا جاءه مريد يريد الطريق إلىٰ الله تعالىٰ.. يقول له: اذهب فاخدم السلطان وأهل حضرته، واعرف مراسمهم، ثم تعال. وكان سيِّدي إبراهيم [١٦/ب] الدَّسُوقِيُّ[1] ﷺ يقول: الفقراء كالملوك، فمَنْ لم يعرف أدب الملوك.. لا ينبغي له مجالستهم؛ لأنَّه ربما جرَّهُ عدم احترامهم إلىٰ العطب. بل أقول أنا: إنَّه ينبغي أنْ يتأدَّب مع الفقراء أعظم مِنَ الملوك؛ لأنَّ أدنىٰ الفقراء قد زهد فيما رغب فيه أعلىٰ ملوك الدنيا، فهم أعلىٰ مرتبةً مِنَ الملوك، وأعظمُ مروءة، فافهم.

وكان إبراهيم بن أدهم يقول: لو يعلم الملوك ما الفقراء فيه.. لقاتلوهم عليه بالسيوف. وكان شيخنا ﷺ يقول: إذا ضحك الفقير في وجه أحدكم وانبسط.. فاحذروه، ولا تجالسوه إلا بالأدب؛ فربَّما كان ذٰلك مكرًا بكم وطردًا لكم عن صحبته حين لم يتفرس فيكم خيرًا. فاعلم ذٰلك.

---

(١) هو إبراهيم بن أبي المجد الدَّسُوقِي الهاشمي الشافعي القرشي، (المتوفىٰ سنة ٦٧٦هـ)، أحد أئمة الصوفية، وشيخ الخرقة البرهامية، من أهل دَسُوق بمصر، له أخبار كثيرة، وشعر حسن، وكلمات سائرة، من كلامه ﷺ: عليك بالعمل بالشرع وإيَّاك وشقشقة اللِّسان بالكلام في الطريق دون التَّخلُّق بأخلاق أهلها. انظر: «شذرات الذهب» (٧/ ٦١١)، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (١/ ١٤٣) وما بعدها.

[مجانبة أدعياء الطريق]

ومنها(١): أنْ يجانب الفقراء الجاهلين [١٧/أ] بآداب الشرائع؛ كالمطاوعة ومَنْ ينتسب إلىٰ الأحمديَّة والبرهانيَّة ونحو ذٰلك مِنَ الخِرَقِ، الذين يكتفون بتلك النِّسبة ولا يطلبون أدبًا فوق ذٰلك؛ فإنَّ هٰؤلاء مشايخهم مُتبرِّئون منهم ولو حضروا موالدهم وهاموا عند ذكرهم؛ لأنَّ نَسَبَ الفقراء والقُرْبَ منهم إنَّما هو بسلوك آداب الشريعة، فكلُّ مَنْ كان أكثر أدبًا في الشريعة.. كان أقرب إلىٰ حضرة شيخه الذي انتسب إليه؛ لأنَّ هٰؤلاء المشايخ وأصحاب الخِرَقِ هم صدور مجالس الحضرة المحمَّديَّة، وتلك مائدة لا يقعد عليها طُفَيْلِيٌّ، ولا يقدر شيخُهُ أنْ يُقرِّبَهُ إليه في تلك الحضرة ويرفعه إلىٰ مرتبة غيره مِنْ أهل الأدب، وقد كان سيِّدي إبراهيم الدَّسُوقِيُّ ﵁ يقول: إيَّاكم والقول بالمشاهدات والدَّعاوي التي لا يشهد لها كتاب ولا [١٧/ب] سُنَّةٌ؛ فإنَّها سببُ طردكم عن حضرة ربكم. وكان يقول: طريقنا هٰذه مضبوطة بالكتاب والسنة، فمَنْ أحدث فيها ما ليس في الكتاب ولا في السنة.. فليس هو مِنَّا، ولا مِنْ إخواننا، ونحن بريئون منه في الدنيا والآخرة، ولو انتسب هو إلينا بدعواه.

---

(١) حشَّىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (مطلب: معرفة القول بالمشاهدات والدعاوي التي لا يشهد لها كتاب ولا سنَّة؛ فإنَّها سبب الطرد عن حضرة الرب تعالىٰ، نعوذ بالله مِنْ ذٰلك، اللّٰهُمَّ إنِّي أسألك بجاه سيدنا محمد ﷺ، وبجاه صاحبه الصِّدِّيق وصاحبه الفاروق رضوان الله عليهما أنْ تجعلنا مِنَ الفرقة النَّاجية المفلحين، يا أرحم الراحمين).

والسِّرُّ(١) فيما ذكرناه مِنَ النَّهي عن مخالطة أهل البِدَعِ أنَّ مُعاشَرتَهُم تُميتُ قلب الفقير، حتىٰ يصير كالثوب الخَلِقِ، وما جعل الله حياة القلوب إلا بالأعمال التي جاءت بها الشريعة، فلا يزال الفقير يخالط أهل البدع حتىٰ يُطْرَدَ إلىٰ حضرتهم، ويقع فيما وقعوا فيه.

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنَّه قال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»(٢)، فاعلم يا أخي رحمك الله إذا كان لك أحد مِنَ الأقارب.. فانصحهم وقل لهم: هٰذا جائز، وهٰذا حرام؛ كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ [الأعلى:٩-١١]، فمَنْ أطاع.. نجا، ومَنْ خالف.. عصىٰ، والله أعلم.

[مجانبة طلاب العلم غير الصادقين]

قال الأشياخ: ومِنْ أعظم القواطع للمُريد.. معاشرة الذين يطلبون العلم لغير العمل، ويشتغلون بالفروع العاطلة(٣) ممَّا لا يحتاج إليه أحد مِنَ الناس؛ طلبًا للرِّياسة علىٰ أقرانهم؛ [١/١٨] فإنَّهم ربَّما زيَّنوا للمُريد أنَّ الاشتغالَ بما اشتغلوا به أفضلُ مِنَ الاشتغال بذكر الله عَزَّ وجَلَّ، فيتبدَّد عزمُهُ، وينحَلُّ عمَّا كان عقد مع شيخه، فيُمْقَتُ؛ فلا يصير يفلح بعد ذٰلك أبدًا، وقد وقع للجنيد ﵁ أنَّ جماعة

---

(١) حشَّىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (اعلم أنَّ مخالَطَةَ أهل البدع تميت القلب).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» رقم (٤٢)، وأحمد في «مسنده» رقم (١٧١٤٥)، كلاهما بنحوه من حديث العِرْباضِ بن سَارِيَةَ ﵁.

(٣) في (ظ١) و(ط): (الطالعة)، وفي (ظ٢): (العلوم العاطلة)، والمثبت ما في (ن).

مِنْ طلبة العلم ببغداد تركوا مجلس شيخهم في الفقه، وجلسوا في حلقة الجُنَيْد، فتكدَّرَ شيخهم مِنْ ذٰلك، وبسط لسانه في الصوفيَّة، فأرسل إليه الجُنَيْد، وقال له: يا أخي؛ العبد إذا كان قصدُهُ لقاءَ محبوبه وهناك طريقان: أحدهما: لا يصل إليه منها إلا في نحو ثلاثين سنة، والأخرىٰ: يصل إلىٰ محبوبه منها في دون سنة.. أيهما ينبغي أنْ يسلك؟ فقال الفقيه: يسلك أقربَهُما وأقصرَهما زمنًا، فقال الشَّيخ: صدقت، فقال [١٨/ب] الفقيه: طريقنا هي الأقرب إلىٰ حضرة الحَقِّ تعالىٰ مِنْ طريقكم، فقال الجُنَيْدُ له: بل طريق ذكر الله تعالىٰ أقرب إلىٰ الله مِنْ طريق معرفة أحكامه؛ لأنَّها متعلِّقة بالخلق، وطريق الذِّكر متعلقة بالحقِّ تعالىٰ، فقال له الفقيه: أظهر لي علامة علىٰ ذٰلك، فقال الجُنَيْدُ ﷺ لشخص: خذ هٰذا الحجر وارمه وسط حلقة هٰؤلاء الفقراء، فجاء بالحجر ورماه، فصعقوا كلهم بقول: لا إله إلا الله، الله[١]، ثم أمره بحجر آخر وأنْ يرميه في وسط حلقة جماعة مِنَ الفقهاء، فلمَّا رماه.. نظروا كلُّهم إليه شَزَرًا، وقالوا له: ما يجوز لك أنْ تضربنا، وهٰذا حرام عليك، فقال الفقيه للجنيد: أنا أستغفر الله، ثم صَحِبَهُ وصار مِنْ أخصِّ أصحابه.

وقد حكىٰ اليَافِعِيُّ[٢] شيخ اليمن ﷺ [١٩/أ] قال: مكثْتُ خمسة عشر سنة

---

(١) في (ط): (الله، الله).

(٢) هو عفيف الدين، عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، (٦٩٨-٧٦٨هـ)، مؤرخ، باحث، متصوف، من شافعية اليمن، نسبته إلىٰ يافع من حِمْيَر، ومولده ومنشأه في عدن، نشأ علىٰ خير وصلاح وانقطاع، حج (سنة ٧١٢هـ)، وعاد إلىٰ اليمن، ثم رجع إلىٰ مكة سنة ٧١٨ فأقام بها، وتوفي فيها، له مصنفات في فنون شتىٰ، منها: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ونشر المحاسن الغالية، والرسالة المكية في طريق السادة الصوفية، الدر النظيم في خواص القرآن العظيم، وروض الرياحين في حكايا الصالحين، وغيرها.

وأنا متردِّد بين طريق الفقهاء وبين طريق الصوفيَّة؛ أيهما أفضل وأقرب إلى الله تعالى؟ فاجتمعت بشخص مِنْ أولياء الله تعالى، فقال: طريق الصوفيَّة هي طريق الشريعة بعينها، ولكنَّ الصوفية راعوا الآداب الباطنة.. فأفلحوا وقربوا مِنْ حضرات القرب، والفقهاء لم يراعوا غير الظواهر.. فعدموا الترقِّي، وحُجِبوا عن أسرار الشريعة، فكلُّ صوفِيٍّ فقيهٌ، ولا عكس، ثم قال لي: أريد أريك شيئًا تعرف به ثمرة الطريقين وما يثمره كل واحد، فقلت له: افعل ما بدا لك، فقال ﷺ: يا فلان؛ قم فادع لنا فلانًا العالم - وكان مفتيًا في زَبِيد -، ثمَّ قال للفقراء: إذا جاء.. لا أحد يتحرك له، ولا يرد عليه السلام، فلمَّا جاء فقال: السلام [١٩/ب] عليكم.. فلم يردَّ عليه أحد، فقال: حرام عليكم، رَدُّ السلام أمرٌ واجب، فقال له الشَّيخ: الفقراء في نفسهم منك شيء، فقال على الفور: وأنا في نفسي منكم أشياء، وأشار بكفِّه كلِّها، فقال لي الشَّيخ: رأيت نفْسَهُ؟ قلت: نعم، فقال: أين تهذيبُهُ الذي حصل له مِنْ علمه؟ فقلت: ما تهذَّب شيئًا، ثم قال الشَّيخ: يا فلان؛ قم فادع لنا فلانًا الفقير، وأمر الفقراء إذا جاء.. ألَّا يقوموا له، ولا يردُّوا عليه السَّلام؛ كما فعلوا بالعالِم، فلمَّا جاء قال: السلام عليكم.. فلم يردَّ عليه أحد، فضحك وقال: السلام عليكم -ثانيًا-، فلم يردَّ عليه أحد، فضحك وقال: السلام عليكم - ثالثًا -، فقال: الشَّيخ: الفقراء في أنفسهم منك شيء، فقال: أنا أقول: أستغفر الله، ثم أخذ النعال فوضعهم [٢٠/أ] على رأسه مكشوفة، وأطرق، فقال الشَّيخ: انظر ثمرة طريق الفقراء. قال اليافعيُّ ﷺ: فمِنْ ذلك اليوم أقبلت بكُلِّيَّتي على طريق الصوفيَّة.

انظر: «البدر الطالع» (١/ ٣٧٨)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ١٩)، و«المنهل الصافي» (٧/ ٧٤).

ولمَّـا صحب الشَّـيخ عِـزُّ الدِّين بن عبد السَّـلام[1] أبا الحسـن الشَّـاذِلِيَّ[2] رضـي الله عنهمـا.. صار يقول: قعـد الصوفيَّة على الأسـاس، وقعد غيرهم على الرُّسـوم. وكان يقـول: مِـنْ أعظم الدليل علـى صحة طريق الصوفيَّـة ما يقع على يـد أحدهـم مِـنَ الكرامات والخـوارق، ولا على يـد فقيه قَطُّ كرامة إلا إنْ سـلك طريقهم.

ولمَّـا جـاء سـيِّدي مَدْيَن إلى سـيِّدي أحمد الزاهـد يطلب الطريـق.. وجد الجامـع مقفولًا، وكان ذٰلك بعد العشـاء، فقال للبوَّاب: افتح لي، فقال له سـيِّدي أحمد: قل له: لا نفتح [٢٠/ب] لأحد بعد العشاء، فقال له ذٰلك، فقال: حرام عليكم

---

(١) هو سـلطان العلماء، عزُّ الدين أبو محمد، عبد العزيز بن عبد السـلام بن أبي القاسـم السـلمي الدمشقي، (٥٧٧-٦٦٠هـ)، فقيه شافعي مجتهد، ولد ونشأ وخطب ودرَّس في دمشق، وأخذ عن ابن عساكر والآمدي وطبقتهما، وخرَّج الأئمَّة كابن دقيق العيد، ثـم غادر إلـى مصر، فتولى فيها القضـاء والخطابة، ثم اعتزل ولـزم بيته، له مصنفات، منها: قواعد الأحكام، وبداية السول في تفضيل الرسول، والفتاوى، وغير ذٰلك. انظر: «طبقات الشـافعية للسـبكي» (٨/ ٢٠٩) وما بعدها، و «طبقات الشـافعية لابن قاضي شهبة» (٢/ ١٩) وما بعدها، و «شذرات الذهب» (٧/ ٥٢٢) وما بعدها.

(٢) هو أبو الحسن، علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي، (٥٩١-٦٥٦هـ)، رأس الطائفة الشاذلية من المتصوفة، وصاحب الأوراد المشهورة، ولـد في بـلاد غمارة بريف المغرب، ونشـأ في بنـي زرويل، وتفقـه وتصوف بتونس، وسـكن شـاذلة قـرب تونس، فنسـب إليهـا، ورحل إلى بـلاد المشـرق؛ فحج ودخل العراق، ثم سـكن الاسـكندرية، وتوفي بصحراء عيذاب في طريقـه إلى الحج. انظر: «الوافـي بالوفيات» (٢١/ ١٤١)، و«مرآة الجنان» (٤/ ١٠٧)، و«حسـن المحاضرة» (١/ ٥٢٠).

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن١٨]، فقال سيِّدي أحمد: نفس فقيه، يا فلان؛ افتح له؛ وإلا استفتى علينا غدًا، ففتح له.

فأَقْبِل يا أخي على طريق الفقراء واهجم، ولا تشاور أحدًا في ذلك، وقد نصحتك والسلام.

وأنشد سيِّدي علي بن وفا[1] ﷺ في ذلك شعرًا على لسان الحال:

يا طالبي لا يَغُرَّكَ أنك مِنَ الأبرار … فحضرتي ما يدخل فيها سوى الأحرار

إنْ رُمْتَ[2] تسمع قولي.. فَرِّغْ لقولي سمعك … مِنْ كل ما قال غيري في سائر الأدوار

واعزم على تجريدك ودَكِّ[3] وَهْمِكَ يا فلان … فإنَّ أنوار نطقي على التَّوَهُّم نار

اقضِ أجل أوطارك ولا ترى أهليتك … واخلع نعل معقولك وألق عصا الأخيار

واضرم جميع أوطارك بنار صدق محبتي … وأْنَسْ إلى نور كشفي إنْ أحرق الأغيار[٢١/أ]

واسع مُجَرَّد مُفَارِق عن كل شيء تألفه … مِنْ باطن او ظاهر مقبل بلا إدبار

---

(١) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن وفا القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي، (٧٥٩-٨٠٧هـ)، متصوف صالح، إسكندري الأصل، مولده ووفاته بالقاهرة، مات أبوه وتركه صغيرًا، ونشأ هو وأخوه أحمد تحت كنف وصيِّهما شمس الدّين محمد الزَّيلعي؛ فأدَّبهما وفقَّهَهُما، ولما صار عمره سبع عشرة سنة جلس موضع أبيه، وكثر أتباعهما ومعتقدوهما، وله شعر حسن، كما له مؤلفات، منها: الوصايا، والباعث على الخلاص في أحوال الخواص، وديوان شعر وموشحات. انظر: «الطبقات الكبرى للشعراني» (٢/ ٢٠) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (٩/ ١٠٦-١٠٧).

(٢) في (ط): (رت)، و(ن): (أردت)، و(ظ١): (ردت)، والمثبت ما في (ظ٢).

(٣) قوله: (ودك) ساقط من (ن)، وهو في (ط): (وأزل)، وهما بمعنى.

تسمع إذا أسمعتك كلامًا ما فيه واسطة ... سمع شهود وما فيه لبس على النُّظَّار

وإنْ بقي فيك بقيَّة.. وقفت مع لذَّاتها ... وإنْ فنيت جميعك.. رأيته إجهار

إنْ كنت خاطب راغب ادخل على شرط الوفا ... واعمل فُحُولَه ورِجْلَه[1] واهجم على الأخطار

ولا يـردَّك مانع عن أن تجد هٰذا المنا ... ولا تَهَبْ شيء دونه وإنْ هابَهُ الشُّطَّار

وإنْ وجَدْت محبَّة وصدق قَصْد يجذبك[2] ... فـذاك إذن بأنَّك تبـقى مع الحُضَّـار

فادخل محاضر ذكري فإنَّها سوق الجنان ... مهما أعجبك قم وسبح واذهب به للدَّار

وحين تجلس.. تأدَّب آداب أهل المعرفة ... واعلم بأنَّك مُجالِس للواحد القهَّار

إلى آخر ما قال ﵁.

[مصارحة المُريد شيخه بخواطره]

ومنها: ألَّا يكتم عن شيخه شيئًا ممَّا خطر له مِن محمود أو مذموم، لكن لا يذكر مِنَ الخواطر إلا ما دام وتكرَّر؛ فإنَّ إعلام شيخه بجميع الخواطر يستغرق الزمن كلَّه؛ لكثرتها؛ إذ هي سبعون ألف خاطر في الليل والنهار، ثم إذا ذكر المذمومَ لشيخه.. فليكن ذٰلك سِرًّا، لا على رؤوس الأشهاد كما يفعله بعض فقراء الشام والغرب؛ فإنَّ ذٰلك خروج عن سياج[3] أهل الطريق وفتح لباب التجريح لهم، وأمَّا ما وقع للصحابة مِنَ الإقرار بالزِّنا بحضرة أصحاب رسول الله ﷺ..

---

(١) حشى الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (قوله: (رِجْلَهْ) يعني: مَرْجَلَة).

(٢) في (ن): (يخدمك)، وفي (ظ١): (يجدُّ بك)، والمثبت ما في (ط) و(ظ٢).

(٣) في (ظ١): (أشياخ)، ولعله تصحيف.

فذٰلك في حدود الله عَزَّ وجَلَّ، فأخْبَرُوا عن أنفسهم إيثارًا لحقِّ الله علىٰ أنفسهم، ولعِلْمِهِم بأنَّ عذاب الدنيا أهونُ مِنْ عذاب الآخرة، وكان ذٰلك أيضًا [١/٢٢] أيام تَنَزُّلِ الأحكام وإظهارها في الوجود، وأمَّا طريق المحقِّقين مِنَ الصوفيَّة.. فإنَّما هو ذكر الخواطر التي عفا الشارع عنها، وتجاوز عن عوامِّ أُمَّته فيها، بخلاف الحدود الشرعية؛ فإنَّ الشارع أمرنا بسترها عن العوام، وقال: «مَنِ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ.. فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ الله عَزَّ وجَلَّ»[1]؛ وذٰلك لأن عوام الناس لم يدخلوا طريق التربية[2]، وليس لهم داعية إلىٰ التَّرَقِّي، وذِكْرُ الكلام بين غير أهله عورة، بخلاف ذِكْرِ ذٰلك للشيخ، والله أعلم.

[التسليم للشيخ، وترك الاعتراض]

ومنها: أنْ يُسَلِّمَ لشيخه في كل ما يقوله له، ولا يجوز أنْ يعترض علىٰ شيخه فيما يكون منه قطعًا، ولو بالقلب؛ فإنَّ الشَّيخ ربَّما أرىٰ المُريد شيئًا لا حقيقة له؛ مكرًا به؛ لسوء أدب وقع منه، وقد وقع لسيِّدي يوسف العجمي رضي الله عنه أنَّه امتحن مريدًا تفرَّس فيه الخير، فلم ينفر عنه، وكان الفقراء عندهم منه غيرة شديدة؛ لِما يرون مِنْ تقريب الشَّيخ [٢٢/ب] له، فأراد الشَّيخ أنْ يُعْلِمَهُم بمرتبته، وأنَّه يستحقُّ ذٰلك دونهم، فأمره بأنْ يذهب إلىٰ المكان الفلاني فيأتي بالمرأة التي فيه، ويأتي صحبتها بجَرَّةِ خمر، فذهب المُريد إلىٰ ذٰلك المكان فوجد المرأة والجرَّةَ، فأتىٰ

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ رقم (٣٠٤٨) مطولاً من حديث زيد بن أسلم رضي الله عنه. والحديث مثبت من (ن) وساقط من بقية النسخ.

(٢) في (ن): (التنزيه)، ولعله تصحيف.

بهما، فدخل الشَّيخ بالمرأة البيت وغلق بابه ساعة، فتغيَّر الفقراء كلُّهم لذٰلك، إلَّا ذٰلك الشاب، وكانت المرأة ابنة الشَّيخ والجَرَّةُ خلًّا، فقال: لِمَ لا نَفَرْتَ مني لِمَا وقع؟ فقال: يا سيِّدي؛ أنا ما صحبتك علىٰ أنَّك معصوم مِنَ الوقوع في مجاري أقدار الله(١)، وإنَّما صحبتك علىٰ أنَّك أعرف مني بطريق الله عَزَّ وجَلَّ، فقال: بارك الله تعالىٰ فيك.

واعلم أنَّ بعض الفقراء يعطيه الله تعالىٰ قَلْبَ الأعيان، فيأخذ الكأس مِنَ الخمر فلا يصل إلىٰ فمه إلا عسلًا أو ماءً وسُكَّرًا، فيظنُّ مَنْ لا عِلْمَ له بذٰلك أنَّ الشَّيخ شرب خمرًا؛ استصحابًا لحالة الخمر وهو في إنائه قبل [٢٣/أ] أنْ يأخذه الشَّيخ، وهو معذور فيما ظنَّ، ولٰكن التسليم لمثل هٰؤلاء أسلم، ومِنْ علامة ذٰلك عدم السُّكْرِ وغَيْبَةِ العقل، خلاف ما يقع للشَّاربين مِنَ الفَسَقَةِ، فإنِ ادَّعىٰ الفقير أنَّه ممَّن يقلب الأعيان ثم حصل له غَيْبَةٌ.. فهو كاذب، يقام عليه الحَدُّ، فاعلم ذٰلك، ولا تجْتَمِعْ إنْ أردتَ السلامة إلَّا علىٰ أهل العلم المُتقيِّدين(٢) بظاهر الكتاب والسنة؛ فإنَّه هو الشرع المعصوم، والله يتولىٰ هداك.

[عدم تأويل كلام الشيخ]

ومنها: أنه لا ينبغي له أن يتأوَّل(٣) كلام شيخه في أمره ونهيه وحكاية مواجيده، بل يحمل كلامه علىٰ ظاهره، ويسعىٰ فيما ندبه إليه وإنْ كان ظاهره

---

(١) قوله: (أنا ما صحبتك علىٰ أنَّك معصوم مِنَ الوقوع في مجاري أقدار الله) ساقط من (ظ١)، ومثبت من بقية النسخ.
(٢) في (ظ١): (المتقدمين)، وهو تصحيف، وفي (ن): (المقتدين)، وهو محتمل.
(٣) في (ظ٢): (يتناول)، وهو تصحيف.

مخالفًا للنقل؛ فإنَّ الشَّيخ أعلم بأمور السُّنَّة منه، ومأخوذٌ عليه العهد بالنُّصح لكل مسلم، وبتقدير أنَّه غلط فإنَّه [٢٣/ب] يُبارَكُ للمُريد في امتثال أمره أكثرَ ممَّا يفعله المُريد بهوىٰ نفسه، وفي قصَّة موسىٰ والخضر عليهما السلام كفاية لكل معتبر؛ فإنَّ آخر أمرهما أنْ قال له الخضر عليه السَّلام: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف:٧٨]، فكان موسىٰ في مقام التعليم؛ فإنَّ الخضر كان في علوم الباطن أعلَمَ منه؛ بشهادة الله عَزَّ وجَلَّ وتزكيته.

وكان شيخنا ﷺ يقول: ما أتىٰ علىٰ أكثر المُريدين الخُمولُ وعدمُ الفلاح.. إلَّا مِنَ التَّأويل وعدمِ امتثالِ ما يأمرهم به الشَّيخ، وفعل ما تهواه نفوسهم مِنَ العبادات، وحُكْمُ مَنْ فَعَلَ ذٰلك.. كمَنْ لا شيخ له، ومَنْ لا شيخ له.. لا تَرَقِّيَ له.

واعلم أنَّ غالب مريدي هٰذا الزمان لم يصر عندهم الآن هِمَّة، إنَّما شأنُهُم التَّزويق في أحوالهم والتَّلفيق مع ضعف الدَّاعية إلىٰ الطريق، فحكمهم كحكم مَنْ ربط في عُنُقِهِ ألف صخرة مثقوبة بحبال وثيقة، وداعيته كحبل العنكبوت [٢٤/أ]، وشيخه يسحب به إلىٰ قُدَّام، ومُرادُنا بالصخرات: الأهوية التي يهواها المُريد، فكلُّ هوىً صخرةٌ تثقله عن النُّهوض إلىٰ قُدَّام، فعدد الصخر علىٰ عدد الأهوية، والسلام.

وكان سيِّدي أبو السُّعود بن أبي العَشائر[1] يقول: المُريد الصادق: هو الذي

---

(١) هو أبو السعود بن أبي العشائر بن شعبان بن الطيب الباذييني، (المتوفىٰ سنة ٦٤٤هـ)، شيخ الفقراء السعودية، وكان صاحب عبادة وزهد وأحوال، وُلِدَ بباذيين -بلد بقرب واسط العراق-، وأقام بمصر، وكان بالقرافة له اتباع ومريدون، ومات بالقاهرة،

لا يتعب شيخه فيه. وكان يقول: ليس المُريد مَنْ يتشرَّف بشيخِهِ، إنَّما المُريد مَنْ يتشَرَّفُ به شيخُهُ؛ وذلك لشِدَّة نهضَتِهِ وعِظَمِ مروءتِهِ. فاعلم ذلك.

[توقير مقتنيات الشيخ وعطاياه]

ومنها: ألَّا يَهَبَ لشيخِهِ شيئًا قَطُّ ابتداء[1]، ولا يلبَسَ له ثوبًا قبل أن يهبه إيَّاه[2]، ولا يجلس له على سجادة، وإذا وَهَبَهُ شيخه عِراقِيَّة أو نعلًا أو قميصًا أو رِداءً.. فليُظْهِرْ توقير ذلك الثوب، وليجهد في نفسه أنْ يكون على أخلاق الشَّيخ مِنَ الكرم والحياء والدِّين والنَّظافة الباطنة والظاهرة؛ ليلاقي الأدب مع ذلك الشيء الذي كان مِنْ ملبوس شيخه، وينبغي إذا أراد معصية.. أنْ ينزعه عنه، وكذلك لا يمشي قطُّ بنعلٍ أعطاه له شيخه إلى [٢٤/ب] مواطن الفرح وأهوية النفوس فضلًا عن المعاصي، هكذا درج عليه الأشياخ رضي الله عنهم.

وقد وَهَبَ بعضُ الأشياخ لمُريده رداءً، فرأى ذلك المُريدَ قد بَسَطَ ذلك الرِّداء على رجليه، فقال له: يا ولدي؛ احفظ الأدب مع أثر الفقراء وعَظِّمْهُ، ثمَّ أنشد يقول له شعرًا:

ما حُرْمَةُ الشَّيخ إلا حُرْمَةُ الله ... فَقُمْ بِها أَدَبًا بالله بالله

ودفن بسفح المقطم. انظر: «الوافي بالوفيات» (١٥/ ١٢١)، و«حسن المحاضرة» (١/ ٥١٢)، و«الطبقات الكبرى للشعراني» (١/ ١٤٠) وما بعدها.

(١) في (ط) و(ظ١): (للتداوي)، ولعله تصحيف.

(٢) قوله: (قبل أن يهبه إيَّاه)، مثبت من (ظ٢) فقط.

هُـــمُ الأدِلَّاءُ(١) والقُـــربىٰ تُؤيِّـــدُهم	علىٰ الدَّلالـــة تأييـــدًا علـــىٰ الله
الـــوارِثُـــون هُـــمْ لِـلـرُّسـلِ أجمَعِهِم	فـمـا حـديـثُـهُـم إلَّا عَـــنِ الـلـه
كـالأنـبـيـاءِ تَـراهُـم فـي مَـحـارِبِـهـم	لا يَـسْـألـون مِـنَ الـلـه سِـوىٰ الله
فــإنْ بَــدَا مِـنْـهُـم حــالٌ يُـوَلِّـهُـهُـم	عَــنِ الشَّـريعة.. فاترُكْهُم مَـعَ الله
لا تَتَّبِعْهُم ولا تَـسْـلُـكْ لهُم أثَـرًا	فـإنَّـهـم طُـلَـقـاءُ الـلـه فِـي الـلـه
لا تَـقْـتَـدِي بـالَّـذي زالَــتْ شَرِيعَتُهُ	عَــنْـهُ وَلَــوْ جـاء بـالأنـبـا عَــنِ الله

قلـت: وقد رآني شـيخُنا(٢) رضي الله عه يومًا وضعـت ردائي علىٰ رجلي؛ أغطِّيهـا(٣)، فقـال لي: يـا أخي؛ الزم الأدب مع مَـنْ خالطتَهُ مِـنْ ناطق أو صامت؛ فـإنَّ الله تعالىٰ ما جعل الرِّداء للرِّجلين، وإنَّما [١/٢٥] جعله للكتفين. ووقع لي مرَّة أنَّني اسـتحييت(٤) أنْ أمشـي في حارتـه بنعل، فخلعت نعلي ومشـيت إليه حافيًا، فأعجبه ذٰلك منِّي، وقال لمن كان جالسًا عنده بخفض صوت: إذا كان هٰذا أدبه مع مخلوق، فكيف يكون أدبه مع الله تعالىٰ؟! فسُرِرْتُ بذٰلك، ﵁، فاعلم ذٰلك.(٥)

---

(١) في (ظ١): (الأولا)، وفي (ط): (الأودا)، وفيها تصحيف.
(٢) المـراد به: سـيدي علي الخواص، وسـيصرح المصنف بذكر اسـمه عنـد حكاية هٰذه الواقعة فيما يأتي.
(٣) قوله: (أغطيها) مثبت من (ظ٢) فقط.
(٤) في (ط): (أنسيت)، وهو تصحيف.
(٥) في (ن) زيادة هنا لعلها من الناسـخ، ونصها: (قـال المؤلف ﵁: ليس قوله: (يولِّهُهُم عن الشـريعة) أنَّهم خرجوا عن الشريعة كلها، إنَّما خرجوا عن الشريعة التي تخلَّق بها المُريـد؛ لأنَّ طريـق الشـريعة التي يتخلَّق بها الأشـياخ تدقُّ علىٰ أفهـام المُريدين، بل أكابر العلماء؛ كما بينَّا ذٰلك في علوم القرآن، والله أعلم).

[الجلوس بين يدي الشيخ بالأدب والوقار]

ومنهـا: أَلَّا يجلس قطُّ بين يدي شـيخه إِلَّا وهو مسـتوفز[١]؛ كجلوس العبد بين يدي سيِّده، وليَحْذَرْ كلَّ الحَذَرِ مِنَ الإكثار مِنْ مجالسـته له؛ فإنَّ المُريد ربَّما ذهبت حرمة شـيخه مِنْ قلبه بكثرة مجالسـته له، فيهون عليه بذٰلـك قَدْرُهُ، فيُحرَمُ بركتَهُ[٢]؛ كما هو شأن نقباء الأشياخ.

فـإذا قـام المُريد مِنْ بين يدي شـيخه.. فلا يُوَلِّهِ ظهره، بـل يقوم مواجهًا له، حتـىٰ يتوارىٰ عنه بجدار أو غيـره؛ فإنَّ الترقي لا يكون قطُّ لمُريد إلَّا إنْ لزم حرمة الشَّـيخ، فـإنَّ بأدبه معه يترقَّىٰ إلىٰ الأدب مع أكابـر الحضرة الإلهية، فإنْ تأدَّب مع أهـل الحضـرة.. ترقَّىٰ إلىٰ الأدب [٢٥/ب] مع الحقِّ جلَّ وعـلا، فمَنْ لم يتأدَّب مع شيخه.. فهو في حضرة الدَّوابِّ، والسلام.

[عدم الإلحاح في سؤال الشيخ]

ومنها: أَلَّا يطلب مِنْ شـيخه الجواب عن رؤيا رآها أو حادثة حدثت له، بل يذكر حاجته ويسـكت، فإنْ أجابه شيخه عن ذٰلك.. كان، وإلا.. أعرض بقلبه عن طلب الجواب؛ لئلا يصير شـيخُهُ محكومًا عليـه بإلزامه الجواب له، وهٰذه طريقة تخالف طريق الفقهاء، والفرق أنَّ طريق الفقراء مواجيد يَجِدُونَها، وطريق الفقهاء نُقُولٌ ينقلونها أو يَحْكُونَها، فمَنْ قال مِنَ المُريدين لشيخه: لِمَ؟.. لَمْ يُفْلِحْ قَطُّ في

---

(١) في (ظ١): (مستوقر).

(٢) في (ظ١): (بكثرته)، وهو تحريف.

طريق القوم، ومَنْ قال مِنَ الفقهاء لشيخه: لِمَ كان هٰذا كذا؟.. أفلَحَ، ولكل طريق طالب يناسبها، والسلام.

[عدم الالتفات لأقاويل الأغيار في الشيخ]

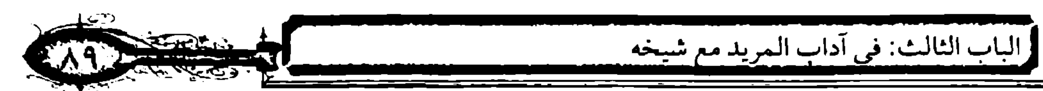
ومنها: ألَّا يطيع في شيخه قولَ قائل، ولا يُصاحب له عدوًّا، ولا يُباعد له صديقًا، ولا يُباغِضه، وكذٰلك لا يجالس مَنْ يخرج علىٰ شيخه ويقول: أنا ما عندي شيخ إلا فلان؛ الذي لم يتصدَّر لمشيخة [٢٦/أ] قَطُّ؛ لينفر ذٰلك المُريد عن طريق شيخه.

وليُعْلَمْ أنَّ مُلَخَّصَ باب المشيخة هو نصح المسلمين، ومحبَّة الخير والتَّرَقِّي لهم؛ لا غير، فالتَّارك لهٰذه الأمور عاصٍ لله، فكيف يُمْدَحُ؟! إنَّما هو يستحقُّ هٰذا الذَّمَّ، هٰذا إنْ كان عارفًا بالطريق، وأمَّا إنْ كان جاهلًا بها.. فلا تفاضل بينه وبين الأشياخ الجَهَلَةِ، ولٰكن للأشياخ أسوة بالرُّسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان ٣١]، فهي للأشياخ بحكم الإرث.

ويجب علىٰ المُريد أنْ يُحبَّ كلَّ مَنْ قرَّبه شيخُهُ، ويَبْعُدَ عن كلِّ مَنْ أبعدَهُ جملةً واحدةً، ومِنْ أدَلِّ[١] دليل علىٰ عدم صدق المُريد في محبَّة شيخه: أن يكرَهَ أحدًا مِنْ أصحابه، أو ينقصه، أو يكشف له عورة؛ لأنَّ تنقيصَ العبد تنقيصٌ لسيِّده، وتعظيمه تعظيم له، ومِنْ هنا يترقَّىٰ المُريد إلىٰ محبَّة جميع الخلق، ومحبَّة نسبتهم إلىٰ الكمال؛ لأجل مَنْ هم عبيد [٢٦/ب] له سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) في (ط): (أول).



ولكن إنْ أَمَرَهُ شيخُهُ أنْ يجانب أحدًا مِنْ أصدقائه أو غيرهم.. وجب اجتنابه، ولا يغتر بإظهار شيخه محبَّة ذٰلك الصَّدِيقِ؛ لأنَّ مِنْ شأن الشَّيخ الإقبال علىٰ كل الناس؛ حتىٰ لا يصير له عدوٌّ قَطُّ إلَّا مِنَ المجرمين؛ لوسع ما هو عليه مِنَ الأخلاق المحمَّديَّة، فاعلم ذٰلك.

[المبادرة لفعل أوامر الشيخ بعد معرفة الشروط والآداب]

ومنها: أنْ يحذر مِنَ العجلة في المبادرة إلىٰ فعل ما أمره به شيخه مِنْ غير معرفةٍ بشروط ذٰلك الأمر، بل يصبر ويتعلَّم طريق الأدب والسياسة في فعله؛ ليقدم علىٰ بصيرة، وإذا كانت الحاجة في مكان بعيد - وهو يقدر علىٰ المشي إليه لو كانت له حاجة مِنْ أغراض نفسه -.. فلا ينبغي له التوقف لأجل حمارة يركبها، بل أقل أحواله أنْ يُحَصِّلَ حاجة شيخه كحاجة هوىٰ نفسه؛ فإنَّ علامة المُريد الكاذب: أنْ يمشي لهوىٰ نفسه نحو المرحلتين [٢٧/أ] والثلاثة، ويثقل عليه نحو مِيْلٍ في مخالفة هواه، فاعلم ذٰلك.

[دوام مراقبة الشيخ]

ومنها: ألَّا يطأ لشيخه سجادة قَطُّ، بل يطويها، أو يمشي علىٰ ركبتيه، ولا يدخل له خلوة ولا بيتًا إلا إنْ دعاه، ولا يبيت قطُّ مع شيخه حيث يبيت سفرًا ولا حضرًا إلا لعُذْرٍ؛ مِنْ مطر أو غيره، وليكن قريبًا مِنْ شيخه؛ بحيث يراه لأجل حاجته، فمهما طلبه شيخه.. وجده، وليجعل شيخه شغله، لا يفتر عن ملاحظته وملاحظة المكان الذي هو فيه؛ فإنَّ حاجته كلها عند شيخه، ومتىٰ غاب عن

شيخه ساعة واحدة ولم يشتق إلىٰ رؤية شيخه[١].. فهو كاذب في إرادته، لا يصلح للطريـق؛ فإنَّ المُريد الحاذق يكاد أنْ يملك قلب الشَّـيخ بالميل إليه قهرًا؛ لِمَا هو عليه مِنَ المروءة والخدمة، بخلاف المُريد الكسلان.

وقد كان سيِّدي يوسف العجمي يُقدِّم شابًا وَرَدَ عليه وهو قريب العهد علىٰ مَنْ له في صحبته سـنين، فغار [٢٧/ب] منه بعض الفقراء، فقال لهم الشَّيخ: اسلكوا مَسْـلَكَهُ.. نقدِّمكُم كما قدَّمناه، قالوا: وما طريقه[٢]؟ قال: كل وقت يجيء فيقول: يا سيِّدي؛ هل ثَمَّ حاجة؟ وأحدكم يغيب عني اليوم واليومين لا يسأل عن حالي.

وقـد كان سـيِّدي أحمـد الزاهـد يقـدم سـيِّدي مَدْيَـن علـىٰ سـيِّدي محمد الغَمْري وغيره، مع كثرة عبادة سـيِّدي محمد علىٰ سـيِّدي مَدْيَن، فسـألوا الشَّـيخ عن ذٰلك، فقال: مَدْيَن سـتفرع الطريق منه، فغاروا منه أكثر وأكثر، فجمع سـيِّدي أحمـد الفقراء وقال: هٰذه مواهب مِنَ الله لعبـاده، ليس لي فيها تقديم ولا تأخير، ولـو كان بيـدي ذٰلك.. لـكان ولدي أحمد هـو ورائي مِنْ بعدي، ثم قال لسـيِّدي مَدْيَـن: يا مَدْيَن؛ أنت خيرك لأصحابك، ليس لذريتك منه نصيب، وقال لسـيِّدي محمد الغَمْري: يا محمد؛ [٢٨/أ] أنت خيرك لأولادك، ليس لأصحابك منه شيء؛ لأنَّك عقيم في الرجال، وقال لسـيِّدي عبد الرَّحمن بن بكتمر[٣]: يا عبد الرَّحمن؛

---

(١) قوله: (ومتىٰ غاب عن شـيخه سـاعة واحدة ولم يشـتق إلىٰ رؤية شـيخه) سـاقط من (ظ١).

(٢) في (ط): (وما مسلكه).

(٣) في (ن): (محمد بن بكتمر)، وهو سـهو، هٰذا والمترجم له هو عبد الرحمن بن بكتمر السندبسطي ثم القاهري، (المتوفىٰ سنة ٨٤٠هـ)، أحد أصحاب الشيخ أحمد الزاهد، وصاحب الزاوية المجاورة لجامع شيخه، وفيها محل دفنه، أخذ عنه جماعة كثيرون،

خيرُك لنفسك، ليس لأصحابك ولا لأولادك منه شيء. وقد صدق فيما قال؛ فلم يحصل لأولاد سيِّدي مَدْيَن خلافة، ولا أَخَذَ عنهم أحد، إنَّما جاء الأخذ عن ابن أخته سيِّدي محمد، فأخذ عنه سيِّدي الشَّيخ علي المَرْصِفِيُّ[1] وسيِّدي الشَّيخ محمد بن أبي الحمائل السَّرْوِيُّ، وأخذ عنه الشَّيخ نور الدين الحسني ابن عين الغزال[2]، وأخذ عنه الشَّيخ شهاب الدين المرحومي[3] شيخ سيِّدي الشَّيخ أبي

وذكروا له أحوالًا صالحة، وكانت له طاحون يقتات منها، ويعمر من فاضلها الزاوية المشار إليها والتي لم يكملها، وإنما أكملها صاحبه الشيخ مدين. انظر: «الضوء اللامع» (٤/ ٦١-٦٢).

(١) هو نور الدين، علي بن خليل المرصفي الشافعي المديني، (المتوفى سنة ٩٣٠هـ)، الشيخ العالم، الصالح المربي، اجتمع بالشيخ مدين وهو ابن ثمان سنين، فلقَّنه الذِّكر، ثم أخذ عن ولد أخته محمد، وأذن له في التصدر للمشيخة، وأخذ عنه خلق، ودانت له مشايخ عصره، وهو شيخ الشعراني، له مصنفات، منها: منهج السالك إلى أشرف المسالك؛ اختصر به مقاصد السلوك من الرسالة القشيرية، وأحسن التطلاب؛ في آداب المُريد، وغيرها، وتوفي بالقاهرة. انظر: «الطبقات الكبرى للشعراني» (٢/ ١١٦)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٢٤٢)، و«الكواكب السائرة» (١/ ٢٧٠).

(٢) هو نور الدين، علي بن أحمد بن خليل القاهري الحنفي، نزيل الحسنية، وفقيه الأيتام بها؛ ويعرف لذلك بالحَسَنِيِّ، وكذا يعرف بابن عين الغزال، كان ممَّن اشتغل عند الزين قاسم، وصحب ابن أخت الشيخ مدين، وتسلك به، ولازم الذكر وانضم إليه جماعة، واستقر في مدرسة مشيخة الخروبية بالجيزة، وجاور غير مرة، وقرَّره السلطان في مشيخة رباطه بمكة؛ فأقام بها قليلًا، واجتمع بالسخاوي هناك (سنة ٨٩٢هـ)، ثم رجع بعد استخلافه الشهاب أحمد ابن شيخه، وزار بيت المقدس. انظر: «الضوء اللامع» (٥/ ١٦٧).

(٣) هو شهاب الدين، أحمد بن حسين بن علي المرحومي الأصل، الأُشموني المولد،

السعود الجارحي[1] وغيرهم، وتفرَّعَتْ[2] مِنْ هٰذه الرِّجال الذين ذكرناهم جميعُ إخواننا اليوم.

وأمَّا سيِّدي محمد الغَمْري.. فلم يصِحَّ لأحد مِنْ أصحابه شيء، ولا ظهر منهم مُسَلِّكٌ تبعًا لشيخهم، ولم يزل في ذرِّيَّته الخير والبركة القاصرة عليهم دون أصحابهم، وأخبرني سيِّدي علي الخوَّاص[3]

القاهري المديني المالكي، ولد (سنة ٨٤٣هـ) بأُشمون، وانتقل به أبواه إلىٰ القاهرة فقطنوها تحت نظر الشيخ مدين، وحفظ القرآن والرسالة والمختصر وألفية النحو، وعرض علىٰ العلم البُلْقِيني وابن الديري وابن الهمام وطبقتهم، كما قرأ علىٰ السخاوي جملة من كتب الحديث، وصحب الشيخ مدين، وكان طريقه المجاهدة والتقشف، والانكسار والتواضع، ومن أجَلِّ أصحابه: الشيخ أبو السعود الجارحي، والشيخ سليمان الخضيري، حَجَّ (سنة ٨٩٧ هـ)، ورام المجاورة لكنه مرض؛ فعاد لمصر. انظر: «الضوء اللامع» (١/ ٢٨٩)، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٩٨).

(١) أبو السعود، محمد بن دغيم الجارحي القاهري، (المتوفىٰ سنة ٩٢٩هـ)، الشيخ الفقيه، الصوفي المتعبد، المتنسك المعتقد عند الملوك وأرباب الدولة فمن دونهم، نشأ علىٰ خير، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل في الفقه والنحو، ثم أقبل علىٰ العبادة والمجاهدة، وصحب شهاب الدين أحمد المرحومي أحد أخص تلامذة الشيخ مدين، وكانت له أحوال وكرامات، وتوفي بمصر، ودفن بزاويته بكوم الجارح بالقرب من جامع عمرو في السرداب الذي كان يتعبد فيه. انظر: «الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ١١٧-١١٨)، و«الكواكب السائرة» (١/ ٤٧) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٢٣١-٢٣٢).

(٢) في (ط): (وتفرقت).

(٣) هو علي البُرُلُّسي الخواص، (المتوفىٰ سنة ٩٣٩هـ)، أحد العارفين بالله تعالىٰ، وأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعراني؛ الذي أكثر اعتماده في مؤلفاته علىٰ كلامه وطريقه،

أنَّ سيِّدي أبا العباس الغَمْري[١] كان يُسَلِّكُ الفقير بالنَّظر دون الكلام[٢].

وأمَّا سيِّدي [٢٨/ب] عبد الرحمن.. فلم يظهر علىٰ أولاده ولا أصحابه شيء مِنْ علامات أهل الطريق، فعُلِمَ أنَّ مِنْ أدب المُريد مع شيخه: أنْ يُقَدِّمَ مَنْ قدَّمه إنْ كان يعتقد أنَّ شيخه أعلم بمراتب الرجال منه، فإنْ كان لم يعلم ذٰلك.. فليس هو بمُريد، ولا ذٰلك الشَّيخ شيخه.

[التجرد لخدمة الشيخ، والتزام آداب صحبته]

ومنها: أنْ يتجرَّد بالكلِّيَّة لخدمة شيخه إذا سافر معه، ولا يفارقه طرفة عين،

نسبته إلىٰ عمله في ضفر الخوص، وكان أمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذٰلك كان يتكلم علىٰ الكتاب والسنة وأحوال القوم ومقاماتهم بكلام نفيس عال، وتوفي ودفن في القاهرة. انظر: «الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ١٣٥) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٣٢٧-٣٢٨)، و«الكواكب السائرة» (٢/ ٢١٩).

(١) هو شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن عمر الغمري الأصل المحلي الشافعي، (المتوفىٰ سنة ٩٠٥هـ)، مات والده وهو صغير مراهق أو دون ذٰلك، فنشأ فحفظ القرآن، وتلقىٰ مبادئ العلوم عن أكابر أهل عصره، ووسع في مسجد أبيه، وأنشأ مسجدًا عرف بمسجد التوبة، ودون الكثير عن السخاوي، توفي في القاهرة، ودفن في المسجد الذي بناه، وله تصانيف، منها: السهام المارقة، والرسائل الغمرية، وحل الطلسم وكشف السر المبهم، وغيرها. انظر: «الضوء اللامع» (٢/ ١٦١-١٦٢)، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ١١٠-١١١)، و«الكواكب السائرة» (١/ ١٥٠)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٣٧) وما بعدها.

(٢) قوله: (وأخبرني سيِّدي علي الخواص أن سيِّدي أبا العباس الغَمْري كان يسلك الفقير بالنظر دون الكلام) مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ.

ويتعفَّف عن أطعمة الناس الذين يعزمون على شيخه في البلاد، ولا يأكل في السَّفر إلا سدَّ الرَّمَقِ؛ لأنَّ ذٰلك نافعٌ(١) له مِنْ وجوه، منها: عدم حاجته للبول والغائط والريح، لا سيَّما في المركب، وفي الطريق القليلة الماء.

وإذا نام الفقراء.. فليكن نقيبهم سهران لا ينام، وإنْ تناوبوا النَّوم بالنَّوبة.. فلا بأس، وإذا ردَّ الشَّيخ بعض المُريدين [٢٩/أ] عن المضي معه إلىٰ بيتِ مَنْ عَزَمَ علىٰ الفقراء.. فلا يتكدَّر مِنْ ذٰلك، وكذٰلك إذا حضر معه وأشار عليه بعدم أكل ذٰلك الطعام اللَّذيذ.. فلا ينبغي له أنْ يتكدَّر، بل يفرح؛ لكون الشَّيخ اعتنىٰ به دون إخوانه وميَّزه عنهم؛ لأنَّ ذٰلك دليل علىٰ أنَّ الشَّيخ غيرُ غافل عن تربيته، وكذٰلك إذا مشَّاه طول الطريق وركب إخوانه.. لا يتكدَّر، بل يفرح بكونه في ركابه وتحت خدمته، وكل هٰذه الأمور إذا فرح بها العبد.. رَقَّتْهُ إلىٰ مراقي الكمال، ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن:٦].

[التسليم لأوامر الشيخ]

ومنها: ألَّا يسأل شيخه قَطُّ: لِمَ فعلتَ يا سيِّدي كذا؟ أو لِمَ تركت كذا؟ أو يشاور شيخه ابتداء علىٰ فعل شيء إلا أنْ يتقدَّم مِنْ شيخه الإذن له في ذٰلك؛ فإنَّ المُريد واجبٌ عليه السكون(٢)؛ كما قالوا: مِنْ شأن المُريد الصادق أنْ يكون كالميت بين يدي الغاسل؛ لا يتحرك ولا يتكلَّم إلَّا إنْ حرَّكَهُ، وربما كان في ذٰلك الأمر الذي يشاور شيخه مضرَّةٌ علىٰ شيخه، فيضرُّ الشَّيخُ نفسَهُ لأجل المُريد؛

---

(١) في (ظ١): (مانع)، وهو تصحيف.

(٢) في (ن): (واجب عليه أن يكون).

كأن يقـول: خذني معك [٢٩/ب] إلى المكان الفلاني، أو دعني أنام معك، أو دعني أجلـس معك كلَّما أردت، ونحو ذٰلك، بل يصبر في كل أموره حتىٰ يكون شـيخه هو الذي يحركه إليها، والله أعلم.

[تقديم الشيخ ظاهرًا وباطنًا]

ومنها: ألَّا يتقدَّم علىٰ شيخه في المشي وغير ذٰلك، بل يكون سيره في الظاهر والباطن تبعًا لشـيخه، فإنْ تقدَّم عليـه لنزول ضرورة أو ليل مظلم.. فلا بأس، ولا ينبغي له قطُّ أنْ يستدبره بظهره في الصلاة إلا إذا صيَّره شيخُهُ إمامًا يصلي بالناس، فـإنْ لـم يكن إمامًا.. فـالأدب منه الصلاة خلـف صفِّ شـيخه، إلا أنْ يأذن له في التقدُّم لسَـدِّ فُرَجِ الصفوف ونحو ذٰلك، ولا ينبغي له الوقوف في صفِّ شـيخه إلا لضيـق مكان ونحوه، ويكون ذٰلك مع استشـعاره الخجل منـه والحياء، حتىٰ كأنَّه علـىٰ الجمر؛ لأنَّ الصـلاة حضرة الله، والناس فيها مراتـب ودرجات [٣٠/أ]، ولا ينبغي لخادم الفرس وسايسـها أنْ يقف بين يدي السـلطان في صف أسـتاذه أبدًا، فافهم.

[حفظ سرِّ الشيخ، وعدم تتبع أحواله]

ومنها: ألا يُفْشِـيَ لشـيخه سِرًّا ولو نُشِرَ بالمناشـير، بل الواجب عليه كتمان السِّـرِّ مع آحاد الناس، فكيف بأسـتاذه؟! ولا يجوز له التسـلُّق علـىٰ معرفة مقدار نـوم شـيخه أو أكله، أو كـم يتوضأ في اليوم والليلة مرة؟ أو هل يأتي النسـاء قليلًا أو كثيرًا؟ فكل ذٰلك معدودٌ مِنْ عقوقِ الوالدين وكشـفِ سوآتهم، والعاقُّ لا يُرْفَعُ لـه إلىٰ السـماء عمل، وربَّما كان اطـلاع المُريد علىٰ تلك الأحـوال مُنقصًا لحال

شيخه في قلبه؛ لجهله بأحوال الكُمَّل، فيهلك ويقع في الخيانة لشيخه، ويحُلُّ عقده الذي عقده معه.

ولْيَعْلَمِ المُريدُ أنَّ كل ذَرَّة مِنْ أعمال شيخه لا يقاومها[1] عبادته هو طول السنة؛ لسلامتها مِنَ الهوىٰ والدسائس [٣٠/ب]، فنومه أشرف مِنْ عبادة المُريد، وقد أرسل ذو النون المصري[2] يقول لأبي يزيد البِسْطامِيِّ[3]: إلىٰ متىٰ الدَّعَةُ والرَّاحة وقد سافَرَتِ القافلة؟ فأرسل أبو يزيد يقول له: ليس الرجل مَنْ يسير مع القافلة، وإنَّما الرجل مَنْ ينام إلىٰ الصباح ويصبح أمامها، فقال: ذو النون هٰذا المقام لم تبلغه أحوالنا. فاعلم ذٰلك.

---

(١) أي: لا يعدلها.

(٢) هو أبو الفياض - أو أبو الفيض - ثوبان بن إبراهيم الإِخْمِيْمِيُّ المصري، (المتوفىٰ سنة ٢٤٥هـ)، أحد الزهاد العباد المشهورين، من أهل مصر، نُوبِيُّ الأصل، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، وهو أول من تكلَّم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية، سعوا به إلىٰ المتوكل فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه فبكىٰ المتوكل وردَّه إلىٰ مصر مكرمًا، وكان المتوكل إذا ذُكِرَ بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذي النون، وتوفي بالجيزة. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٣٨) و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥٣٣) و«طبقات الأولياء» (١/ ٢١٨).

(٣) هو أبو يزيد، طيفور بن عيسىٰ البِسْطَامِيُّ، ويقال بايزيد، (١٨٨-٢٦١هـ)، سلطان العارفين، وزاهد مشهور، له أخبار كثيرة، وكلام في المعرفة عظيم، منه قوله: ليس العجب من حبي لك، وأنا عبد فقير، إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير، كان الإمام ابن عربي يسميه: أبا يزيد الأكبر، نسبته إلىٰ بِسْطام؛ بلدة بين خراسان والعراق، أصله منها، ووفاته فيها. انظر: «مرآة الجنان» (٢/ ١٢٨) و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٨٦) و«طبقات الأولياء» (١/ ٣٩٨).

[حفظ حرمة الشيخ بعد وفاته]

ومنها: ألا يتزوَّج قَطُّ امرأة رأىٰ شيخه مائلًا إلىٰ التزوُّج بها(١)، ولا يتزوَّج امرأة طلَّقها شيخُه أو مات عنها، وقد طلبوا مِنْ سلمان الفارسي ﷺ أنْ يؤمَّ بالمهاجرين الأوَّلين فأبىٰ، وقال: كيف نؤم بقوم هدانا الله عَزَّ وجَلَّ علىٰ أيديهم؟! أو ننكح نساءهم(٢)؟! انتهىٰ. وقاس بعضهم علىٰ ذٰلك نكاح نساء مَنْ هدانا الله علىٰ يديه.

وحكىٰ لي شيخنا ﷺ عن امرأة سيِّدي الشويمي(٣) - أحد أصحاب سيِّدي مَدْيَن المدفون [١/٣١] قبالة قبره بمصر المحروسة - أنَّه أخبر أصحابه في مرض موته، وقال: كلُّ مَنْ تزوَّج امرأتي بعدي قَتَلْتُهُ، فلمَّا مات.. طلب شخص أنْ يتزوجها، فأخبروه بما وقع مِنَ الشَّيخ، فلم يرجع، واستفتىٰ علماء مصر في ذٰلك؛ فقالوا له: هٰذه الخصيصة إنَّما هي لرسول الله ﷺ، تَزَوَّجْ ولا عليك حرج، فعقد عليها، فأتاه شيء في جنبه ليلة الدخول فصار يصيح إلىٰ أنْ طلعت روحه، وبقيت زوجة الشَّيخ عازبة إلىٰ أنْ ماتت.

---

(١) قوله: (ألا يتزوج قَطُّ امرأة رأىٰ شيخه مائلاً إلىٰ التزوج بها) ساقط من (ظ١).

(٢) قوله: (أو ننكح نساءهم) ساقط من (ظ١) و(ظ٢).

(٣) في (ن): (السويمي)، وفي بقية النسخ (الشومي)، والمثبت ما في كتب التراجم، هٰذا، والمترجم له هو محمد الشويمي، (المتوفىٰ سنة ٨٦٧هـ)، أحد المجاذيب المقيمين عند الشيخ مدين، وكان من قدماء أصحابه، من أصحاب الأحوال العظيمة، وكان يعمل أهلَّة المآذن، حجَّ، والتقىٰ به السخاوي بعدها، توفي بمصر، ودفن بزاوية الشيخ مدين. انظر: «الضوء اللامع» (١٠/ ١٢٣)، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٩٤-٩٥).

ورأيت أنا بعيني رجالًا مِنْ بلاد الشرقيَّة طلب يتزوج امرأة سيِّدي الشَّيخ محمد بن عنان(١)، فنهاه الناس، فلم يَنْتَهِ، وتواعد هو وأهلها أنْ يعقد عليها بعد العصر، فنام قبالة ضريحه بجامع المقسم بخط باب البحر بمصر، فأتاه الشَّيخ محمد بحربة، وقال: ضاقت عليك الدنيا؟ ما وجدت إلا فراشي؟! وطعنه في جنبه، فاستيقظ مرعوبًا وهي بجنبه بارزة كالكبد المشوي [٣١/ب]، فقال: احملوني إلىٰ بلادي، فمات في الطريق، هٰذا رأيته أنا بعيني، فإيَّاك يا أخي، ثم إيَّاك؛ فإنَّ مِنْ خصائص جروح الفقراء أنَّها لا تختم قَطُّ إلا بروح صاحبها، ولا يغني فيها دواء، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

[رد الأمور للشيخ، وعدم المشورة عليه]

ومنها: ألَّا يشير قَطُّ علىٰ شيخه برأي إذا استشاره في فعل شيء أو تركه، بل يَرُدُّ الأمر إلىٰ شيخه؛ لأنَّه أعلم منه بالأمر، وغنيٌّ عن استشارته، وإنَّما استشاره تحبُّبًا له، وسياسة لضعف اعتقاده فيه، أو غير ذٰلك؛ فيداويه بذٰلك، فليكن المُريد علىٰ حذر.

---

(١) هو محمد بن حسن، المشهور بابن عنان المصري الشافعي، (المتوفىٰ سنة ٩٢٢هـ)، الشيخ العالم، الصالح الناسك، كان ممَّن جمع بين علم الشرع وعلم الحقيقة، تفقَّه بالشيخ يحيىٰ المناوي، واشتهر بالجد في العبادة، والاجتهاد في الطاعة، وقيام الليل، وحفظ الأوقات من التضييع، وله كرامات ظاهرة، توفي فوق سطوح جامع باب البحر بخط المقسم، ودفن هناك. انظر: «الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ١٠٧) وما بعدها، و«الكواكب السائرة» (١/ ٣٩-٤٠)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ١٦٣-١٦٤).

[حفظ عهد الشيخ، والتزام أمره، وتفقد عياله في غيابه]

ومنها: أنْ يحفظ العهد مع شيخه إذا سافر، ويلازم على الإقامة في المكان الذي أمره شيخه بملازمته، وعليه حتمًا السلام[١] على مكان شيخه الذي كان يجلس فيه كلَّما مرَّ عليه؛ كأنَّه حاضر لم يسافر [٣٢/أ]، فإنَّ مَنْ لم يراعِ حُرْمَةَ شيخه في غَيْبَتِهِ كما يراعيها في حضوره.. فهو ناقص العزيمة، لا يجيء منه شيء؛ إذ مراقبة الشَّيخ سُلَّمٌ لمراقبة الله عَزَّ وجَلَّ، فمن لم يُحْكِمْ مراقبة شيخه.. لا يشم مِنْ مراقبة الله رائحة.

ويجب عليه أنْ يتفقد عيال شيخه إذا غاب بالإحسان إليهم بالخدمة وغيرها؛ فإنَّ ذلك ممَّا يُميْلُ إليه قلبَ شيخه، فإذا اشتهى أحدٌ مِنْ أولاد شيخه شهوة.. يشتريها له ولو بعمامته وجوخته[٢]؛ فإنَّ حقَّ شيخه عليه أعظم مِنَ الدنيا بحذافيرها، ولو قُدِّرَ أنَّه ملك الدنيا بحذافيرها[٣] ثمَّ صرفها على عيال شيخه وجماعته.. كان كمَنْ قابَلَ مَنْ أهدى إليه البحرَ المحيط بكُوزِ ماء مالح؛ فإنَّ شيخَهُ مقصودُهُ للمُريد سعادَةُ الدَّارين، وأنْ يكون مِنْ جلساء الحقِّ على الدوام، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

[عدم إدمان النظر في وجه الشيخ]

ومنها: ألا يُدْمِنَ النظر إلى وجه شيخه، ولا يقيم قَطُّ بصره في بصره [٣٢/ب]،

---

(١) في (ظ١): (وعليه إفشاء السلام).

(٢) قوله: (وجوخته) مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ.

(٣) قوله: (ولو قدر أنه ملك الدنيا بحذافيرها) ساقط من (ظ١).

وقد كان ﷺ لا يثبت بصره قَطُّ في وجه أحد مطلقًا، بل كان إذا رأى الهلال.. صرف وجهه عنه بسرعة؛ لكون التجلي يوم القيامة قد شُبِّهَتِ الرُّؤية له برؤية الشمس والقمر، فمَنْ أدمَنَ النظر إلىٰ وجه شيخه.. فقد خلع رِبْقَةَ[1] الحياء مِنْ عنقه، وربَّما حصل له سقوط هيبة شيخه مع كثرة مشاهدته.. فيُحرَم بركته، فلا يسامح المُريد سوىٰ بنظر الفجأة، بل ينبغي له أنْ يستغفر منه؛ لأنَّه مِنْ فُضُولِ النظر[2]، وكان الشِّبْلِيُّ[3] إذا دخل علىٰ الجُنَيْدِ.. يتقنَّعُ بردائه، ويصير ينظر إلىٰ الأرض حتىٰ يخرج مِنْ عنده، وسأله مرَّةً جماعةٌ مِنَ الفقراء: كم كان في لحية الجُنَيْدِ مِنْ شعرة بيضاء؟ فقال: لم أَرَ له قَطُّ لحية[4]، إنَّما كنت أرىٰ شخصه كالظِّلِّ.

[ذكر ما يجده المُريد في قلبه من الأمراض الباطنة لشيخه]

ومنها: إذا وجد المُريد في نفسه عُجْبًا بأعماله، واستحسانًا لحاله.. فليذْكُرْهُ

---

(١) في (ظ١): (رتبة).

(٢) من قوله: (وقد كان ﷺ...) إلىٰ هنا ساقط من (ط).

(٣) أبو بكر الشِّبْلِيُّ البغدادي (٢٤٧-٣٣٤هـ)، شيخ الطائفة، قيل: اسمه دُلَف بن جَحْدَر، وقيل: غير ذٰلك، أصله من قرية الشِّبْلِيَّة، ومولده بسامراء، وكان أبوه من كبار حُجَّاب الخلافة، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق، ثم لما عزل أبو أحمد من الولاية.. حضر الشبلي مجلس بعض الصالحين، فتاب ثم صحب الجنيد وغيره، وصار من شأنه ما صار، وكان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة. انظر: «مرآة الجنان» (٢/ ٢٣٨) و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٦٧) و«طبقات الأولياء» (١/ ٢٠٤).

(٤) في (ط): (أَوَلَهُ قَطُّ لحية؟).

لشيخه؛ ليدلَّه [٣٢/أ] علىٰ دواء، فإنْ كَتَمَهُ.. نَبَتَ الرياء والنفاق في قلبه، فيصير عنده ثلاثة أمراض، وكلُّ مَنْهَلٍ يَرِدُهُ المُريد له حلاوة تأخذ بالنفوس، ولولا شيخه.. لأقام فيه إلىٰ أنْ مات، لم ينتقل عنه، فكلَّما استحلىٰ المُريد حالًا.. يقول له شيخه: الأمر الحَقُّ أمامك.

قال الشِّبْلِيُّ ﷺ: دخلت علىٰ الجُنَيْدِ مرَّة وأنا فرحان مِنْ توالي الأعمال الصالحات عليَّ ليلًا ونهارًا، فلمَّا رآني الجُنَيْدُ.. قال لي: يا أبا بكر؛ إنْ كان يخطر في بالك مِنَ الجمعة إلىٰ الجمعة غيرُ الله[1].. فاعلم أنَّه لا يجيء منك شيء مِنْ أحوال أهل الطريق.

قال الشِّبْلِيُّ: دخلت عليه مرَّة وأنا سكران بوجدي، أرقُصُ وأُصَفِّقُ، فلمَّا أفقتُ.. قال لي: يا أبا بكر؛ لا تخلو حالتك هٰذه مِنْ أمرين: إمَّا أنْ تكون في حضرة الله، أو خارجًا عنها، فإنْ كنت خارجًا عنها.. فماذا حصَّلْتَ؟ وإنْ كنت فيها.. فالتَّصفيق لا يليق بمَنْ هو في [٣٣/ب] الحضرة، فقلت له: التوبة، قال: تب.

وحُكِيَ عن الشِّبْلِيِّ أنَّه كان إذا رأىٰ مريدًا مُعْجَبًا بنفسه.. يقول له: يا ولدي؛ إنِّي لم أشم فيك رائحة الخير. فكان المُريدون الصادقون يأتون إليه قصدًا؛ لينبِّهَهُم علىٰ مثل ذٰلك.

---

(١) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (قوله: (من الجمعة إلىٰ الجمعة غير الله) اعلم أنَّ المراد بـ(غير الله) هنا: إنْ فرحت بطاعة أو مقام أو حال، فضلًا عن أشغال الدنيا، فإنَّ الذي يشتغل بهموم الدنيا لا يُذْكَرُ هنا، ولا معه كلام، وإنَّما الكلام مع أهل الطريق الذين اجتهدوا وجاهدوا، فإذا أعجبهم شيء مِنْ ذٰلك.. فلا يجيء منهم شيء في الطريق، فيكونوا قد وقفوا عند ذٰلك الشيء).

[عدم الخروج من الزاوية إلا بإذن الشيخ أو النقيب]

ومنها: أَلَّا يخرج قَطُّ مِنْ زاوية شيخه لحاجةِ أحدٍ غير شيخه إلا بإذنٍ مِنَ الشَّيخ أو مِنْ نقيب الشَّيخ، حتىٰ حاجة أبيه وعمِّه؛ فإنَّ مَنْ كان له أبوان.. لا يفلح، ورخَّصَ شيخنا ﵁ في خروجه لحاجة أمِّه فقط؛ لِمَا لها عليه مِنْ شدَّة الحق، وتألُّمِها حيث لم يقض لها حاجة، وغيبتها عمَّا يريده الشَّيخ لولدها مِنَ الدرجات العالية؛ فإنَّها عمياء عمَّا يدعوه الشَّيخ إليه، وليس عند الأمِّ مرتبة لولدها أعظم مِنْ أنَّ الله يطيل عمره، ويوسِّع رزقه لا غير، وذٰلك عند الشَّيخ هو الخسران المبين لولدها.

وقد قال لي [١/٣٤] شخص: دخلتُ علىٰ سيِّدي الشَّيخ أبي السعود الجارحي ﵁ أريد الصحبة، فقال: هل لك أب؟ فقلت: نعم، فقال: أين هو؟ فقلت: في البيت، فقال: نحن لا نصحب أحدًا له أب غيرنا.

والسِّرُّ في ذٰلك: ضعف المُريد عن القيام بحقوق الخلق مع حقوق الخالق، وإذا تعارض عند العبد حقَّان.. قُدِّمَ أحقُّهما، وما ثَمَّ أحقُّ بالمراعاة مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ، فمحلُّ وجوب مراعاة حقِّ الأمِّ.. ما لم يكن الابن طالبًا لله عَزَّ وجَلَّ، فإنْ كان طالبًا.. فَنِيَ حقُّ أمِّه، ولم يبق له أثر.

ثم إذا كمل حال المُريد في الترقي، ورجع إلىٰ الخلق متوجِّهًا.. فهنالك يؤمر بإعطاء الخلق حقوقهم؛ كما يؤمر بها الكُمَّلُ، فإنَّ الحقوق للمُريد كالحبال التي تسحبه إلىٰ وراء، فعدد الحبال علىٰ عدد ما يجعله علىٰ نفسه مِنْ حقوق الخلق، فإذا ترك حقوقهم جميعها واشتغل بحق الله وحده.. سار إلىٰ حضرة الله كما يسير الطائر المُجِدُّ، وإذا طلب حال ترقِّيه القيام بحقوق الخلق.. كان كالمُقْعَدِ

الـذي يزحف مع ضعـف [٣٤/ ب] العزيمة وعـدم الدَّاعية طالبًا البـلاد البعيدة، فاعلم ذٰلك.

[إجلال أعطية الشيخ]

ومنهـا: أنْ يُعَظِّمَ ما أعطاه شـيخه له، ولا يبيعه لأحـد، ولو أعطاه ما أعطاه، فربَّما يكون طوىٰ له فيها سِـرًّا مِنْ أسـرار الفقراء ممَّا يُغْنِيهِ[1] في الدَّارين، ويقرِّبُهُ إلـىٰ حضـرة الله عَزَّ وجَـلَّ، وربَّما جمـع له فيها جملـة مِنْ أخـلاق الرجال؛ كما طوىٰ رسول الله ﷺ لأبي هريرة ثوبًا وضمَّه إليه.. فما نسي بعد ذٰلك شيئًا قَطُّ[2]، والأشياخ ليس لهم فعل سُدىٰ؛ لأنَّ مقامهم يجل عن ذٰلك، والله أعلم.

[سلامة قلب المُريد تجاه الشيخ وإنْ نصَحَهُ أو نَهَرَهُ على ملأ]

ومنهـا: ألَّا يتغيَّـر علىٰ شـيخه إذا نقصه بين إخوانه، أو نَهَـرَهُ، أو ضبط عليه الخَطْـرَةَ والنَّظْرَةَ، والنَّقِيرَ والقِطْمِيرَ[3]، ولْيَعْلَمْ أنَّ شـيخه لولا رجا فيه الخير.. ما ضبـط عليـه ذٰلك، ولكان أهمله كمـا أهمل غيره، فإنَّ الشَّـيخ إذا رأىٰ مريدَهُ علىٰ سوء أدب ولـم يَنْهَرْهُ.. فقد مَكَرَ به، وسعىٰ في طرده عن صحبته، فاعلم ذٰلك.

---

(١) في (ط): (يعينه).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١١٩) بنحوه.

(٣) القِطْمير: القشرة الرقيقة علىٰ النواة - أي نواة التمرة -، والفَتِيل: ما كان في شقِّ النواة، وبه سميت فَتِيلة، وقيل: هو ما يفتَل بين الإِصبعين مِنَ الوسخ، والنَّقير: النُّكْتة في ظهر النَّواة. «تاج العروس» مادة (ف ت ل).

[عدم السفر إلا بإذن الشيخ]

ومنها: ألَّا يسافر مطلقًا إلا بإذن شيخه؛ فإنَّ السفر إنَّما يكون للرجال إذا كملوا، وأمَّا المُريد الصادق.. فحاجته كلها عند شيخه، وقد كان المُريدون في الزمن الماضي إذا جاء أحدهم إلىٰ شيخ يريد أنْ يصحبه.. يعزم علىٰ ألا يفارقه أبدًا، بل كان بعضهم يحفر قبره تجاه عتبة باب الشَّيخ؛ قطعًا للخواطر التي ربما خطرت له أنْ يفارقه، والله أعلم[1].

[ترك الرُّخَص، والاكتفاء بحَدِّ الحاجة]

ومنها: ألَّا يشتغل بالرُّخص والكسب إذا كان شيخه كافيه اللُّقمة وستر العورة، ولو بلا أُدْمٍ، ولو قطعة خيش يضعها علىٰ سوأته فقط؛ لأنَّ الاشتغال بالحِرْفَةِ للمُريد رجوعٌ إلىٰ الدنيا، وانقطاعٌ عمَّا كان عَقَدَهُ مع شيخه مِنَ الإقبال علىٰ الله وحده، والرضىٰ مِنَ الدنيا بأقل مِنْ قليل، حتىٰ ينسلخ مِنْ جميع عوائده [٣٥/أ] الدنيوية، إلا أنْ يكون دخل في الصُّحبة وهو محترف، فمثل هٰذا لا يضره الكسب[2].

وقد افتقد[3] سيِّدي أحمدُ الزاهد تلميذَهُ سيِّدي محمد الغَمْري؛ فقال: لي أيام ما رأيت محمد الغَمْري، فنظره فإذا هو يخيط طواقي في خلوته ويبيعها،

---

(١) من قوله: (ومنها: ألاَّ يتغير علىٰ شيخه...) إلىٰ هنا ساقط من (ظ١).

(٢) قوله: (وهو محترف، فمثل هٰذا لا يضره الكسب) مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ.

(٣) في (ظ١) و(ط): (وقد أفتىٰ)، وهو تحريف.

فقال: لِمَ فعلتَ هٰذا؟ فقال: يا سيِّدي؛ رأيت حال الفقراء في الزاوية ضيقًا، فرفعت نفسي عنهم، فقال له: وما ذاك الضِّيق الذي رأيتَهُ؟ قال: كلُّهم يقولون: ما شبعنا شيئًا، فقال سيِّدي أحمد: وهٰذا طعام السُّنَّة المحمَّديَّة، وطريقة السلف الصالحين، فمِنْ حين يجد الفقير مَنْ يساعده بسَدِّ الرَّمق في طريقه لا يجوز له الاحتراف، ثم قال: انظر يا محمد، وعزَّة ربِّي إنَّ الفقراء إنَّما يتركون الدنيا اختيارًا لاتِّباع محمد ﷺ لا اضطرارًا، ولو كان كل مَنْ في مصر عيالي.. لكفيتهم مؤنتهم بعون الله عَزَّ وجَلَّ، ولم أحمل لهم همًّا؛ لِمَا أعلمُ مِنْ كرم الله علىٰ عباده، والله لا يضيِّعهم، فقال سيِّدي محمد [٣٥/ب]: يا سيِّدي؛ أتوب إلىٰ الله، فتاب.

وذٰلك لأنَّ الشَّيخ إنَّما هو مُعَدٌّ لإرضاعِ المُريد مِنْ حُبِّ الآخرة وأعمالها، وفِطامِهِ عن الدنيا وشهواتها، فلا يزال يُرَقِّيهِ بالرَّضاع إلىٰ حُبِّ الله وحده؛ حتىٰ لا يبقىٰ في قلبه محبَّة لأحد إلَّا عن أمر الله، ومتىٰ فَتَحَ علىٰ المُريد مِنَ الدنيا فوق ما يعيش بدونه.. فقد غَشَّهُ وتعب هو في فِطامِه، وكلُّ مريد اتخذ الإقامة عند شيخه مصيدة للدُّنيا يصطاد منه، أو مِنْ وظائف في زاويته كأذان وإقامة ووقادة[1]، أو قام عنده ليصطاد الدنيا مِنْ أصحابه أو جماعته، أو علىٰ اسمه.. فهو منافقٌ ناقضُ العهد، لا يزداد بصحبة الشَّيخ إلا طردًا مِنَ الله وبعدًا؛ لاستهزائه بطريق الله عَزَّ وجَلَّ، وهٰذا واقعٌ كثيرًا في هٰذا الزمان، يقعد أحدهم في زاوية شيخه [٣٦/أ] ويقول له: يا سيِّدي؛ إنَّما نحن عندك محبَّةً في الله تعالىٰ وفيك؛ لتُرَبِّيَنا. وهو يكذب، ولو أخرج عنه وظيفته التي هي في يده في الزاوية.. لتكَدَّر وكره الشَّيخَ أشدَّ الكراهة.

ولذٰلك شرط سيِّدي أحمد الزاهد علىٰ جميع فقرائه أنْ يخدموا في الجامع

---

(١) في (ظ١): (رفادة).

الذي عمره بخط المقسم احتسابًا لله عَزَّ وجَلَّ، وقال: الرُّهبان والشَّمامِسَة(١) مِنَ النصارىٰ يخدمون كنيستهم احتسابًا وأنتم تطلبون أجرة؟! فكان سيِّدي محمد الغَمْري خادم الميضأة ووقَّادًا في الجامع، وكان سيِّدي مَدْيَن نقيبًا، وكان سيِّدي عبد الرحمن بوَّابًا.

فعُلِمَ أنَّ مِنْ أقبح الكسب أنْ يحترف المُريد بأمور الدِّين التي هي موضوعة للتقرُّب إلىٰ الله عَزَّ وجَلَّ؛ كتلاوة القرآن في الزاوية، أو في القبور أو غيرها، وكالأذان والإمامة والخطابة والوقادة والفراشة، وسائر ما فيه بيع للدِّين بالدنيا؛ فإنَّ كلَّ شيخ أقام جماعته [٣٦/ب] في شيء مِنْ ذٰلك.. فقد غشَّهم، هٰذا إذا كان بغير سؤال منهم، وأمَّا إذا سألوا في ذٰلك.. فهم الذين غَشُّوا أنفسهم، لا هو غشَّهم؛ فإنَّ النبي ﷺ كان يعطي بعض الصحابة العطاء ثم يقول: «إِنَّ أَحَدَهُمْ يَذْهَبُ بِالعَطَاءِ يَتَأَبَّطُهُ تَحْتَ إِبِطِهِ نَارًا»، فقال له عمر: يا رسول الله؛ فلِمَ تعطيهم النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ يَأبَوْنَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلُونِيْ، وَيَأْبَىٰ الله لِيَ البُخْلَ»(٢).

فطريق المُريدين الفِطامُ بالكُلِّيَّة عن الدنيا؛ حتىٰ تقع نفرة النفس منها، وتأمَّلِ الرَّضيع كيف يضعون له الصَّبْرَ علىٰ بزِّ أمِّه؛ حتىٰ يصير يتكدَّر إذا رآه! ولٰكن إذا كمل حال المُريد في الفطام عن الدنيا، وسكن حبُّ الآخرة في قلبه، واستقر استقرارًا لا يخاف زواله بشهادة شيخه.. فلشيخه أنْ يُقِيمَهُ في وظائف الدِّين التي فيها معلومٌ، ولا عليه في ذٰلك بأس؛ لأنَّه يصير يتقرَّب [٣٧/أ] إلىٰ الله

---

(١) الشَّمَّاسُ ـ كشَدَّادٍ ـ: مِنْ رُؤُوسِ النَّصارَىٰ؛ الذي يَحْلِقُ وَسَطَ رأسِهِ لازِمًا للبِيعَةِ، والجمع: شمامِسَةٌ. «القاموس المحيط» مادة (ش م س).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم (١١٠٠٤) بنحوه مطولاً.

بتلك الأمور، ويأخذ معلومها ابتداء عطاءً مِنَ الله تعالىٰ، لا بيعًا لتلاوة القرآن ـ مثلًا ـ بالدنيا، ومحلُّ وصوله إلىٰ هٰذه الدرجة: ألَّا يطالب بلسانه ولا بقلبه ناظرًا ولا جابيًا ولا أحدًا مِنْ مُتَوَلِّي ذٰلك الوقف؛ لأنَّه لا يرىٰ له عليه حقًّا، ومتىٰ رأىٰ له ولو بباطنه عليه حقًّا، أو خطر ذٰلك بباله.. فليس هو مِنْ أهل هٰذا المقام، فمثل هٰذا إعطاءُ الوظيفة له غِشٌّ مِنْ شيخه، ولمَّا عَمَّرَ القاضي أبو البقاء بن الجَيْعَان(١) الزاوية الحمراء خارج مصر المحروسة.. كتب وظائفها كلَّها لسيِّدي الشَّيخ محمد بن أبي الحمائل السَّرْوِيِّ ﷺ، وقال: يا سيِّدي؛ قد جعلْتُ معلوم هٰذه الوظائف يكفيكم ويكفي جماعتكم، فقال له سيِّدي محمد: لا يا قاضي، نحن نباشر وظائف الزاوية لله، وأنت تقف هٰذه الجهات لله، فكل مَنْ رزقه الله منها [٣٧/ب] شيئًا.. أَكَلَهُ حلالًا طيِّبًا، ولا تَبِعْنا ذٰلك بذا؛ فكل مَنْ غاب عن وظيفته يومًا.. يقول الناس: هٰذا أكل حرامًا. فوافقه القاضي علىٰ ذٰلك.

واعلم يا أخي أنَّ مثال شيخك مثال رسول أرسله المَلِكُ إليك - بل هو رسول - ليُعَلِّمَكَ طريق الأدب مع المَلِكِ قبل أنْ يأتي بك إليه، فصار يعلِّمك في الطريق وأنت سائر معه، فلمَّا قربت مِنْ رؤية دار الملك.. وجدت رِمَّةً وعليها

---

(١) هو أبو البقاء بدر الدين، محمد بن يحيىٰ بن شاكر بن عبد الغني، بن الجيعان، (٨٤٧-٩٠٢هـ)، نشأ في كنف أبويه فحفظ القرآن وعدة كتب، واشتغل في العلم علىٰ جماعة من أهل عصره، وتميز بحسن ذكائه وقوة فهمه، وتولىٰ بعض مهام الحكم، وكان كاتب السر بمصر، وقصده القاصي والداني في قضاء حوائجهم، وابتنىٰ مدرسة عمَّ نفعها بالزاوية الحمراء، وتوفي مقتولًا بمصر. انظر: «الضوء اللامع» (١١/ ٩)، و«الكواكب السائرة» (١/ ١٢١).

كلاب، فَسَقَطْتَ عليها تنهش مع الكلاب، فنصحك شيخُكَ وقال: قم معي، ولك عنـد الملك ما هو أجلُّ مِـنْ هٰذا وأطهرُ وأطيبُ، وحكىٰ لـك حال أهل حضرته، فلم تقم، فـكان آخر ما قال لك: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف:٧٨]، أنا بريء منك، فقاسِ عضَّ الكلاب ومجاذَبَتَهُم[1] ونجاسَتَهُم وخُبْثَ مطعمهم. فهٰذا مثال غالب مريدي هٰذا الزمان، نسأل الله تعالىٰ اللُّطف بنا وبهم.

[الصدق في طلب الشَّيخ]

ومنها - وهو مِنْ أهمِّ أحواله [٣٨/أ] كلِّها -: أنْ يجعل رأس ماله الصدقَ في طلب الشَّيخ؛ فإنَّ الشيوخ كلَّهم أجمعوا علىٰ أنَّ المُريد لو صحَّ له كمال الانقياد لشيخه.. وَصَلَ إلىٰ حضرة الله في مجلس واحد مِنْ أوَّل اجتماعه عليه؛ فإنَّ مَنْ دخـل حضرة الله.. انصبغ بأخلاق أهلها مِنْ أوَّل قدم يضعه فيها، فلا يعود يرجع إلىٰ محبَّة الدنيا أبدًا، وهٰذا مِنْ خصائص هٰذه الحضرة الشريفة، فما طالت الطريق إلَّا مِـنْ عـدم الصدق في الانقيـاد؛ لأنَّ حكم المنقاد كالمقطـور بحبل وثيق علىٰ الشَّـيخ، كلُّ حضرة دخل فيها دخل معه، وغير المنقاد كل وقت يتوه وتحجز بينه وبين شيخه موانع، فلا يجده إلَّا كل يوم أو كل ثلاثة أيام مرة، والباقي تائه فيه عن الشَّيخ وعن موضعه، وإذا تاه عن الشَّيخ.. فلا ترقي؛ فكل هوىٰ فعله المُريد حجز بينه وبين حضرة شيخه، حتىٰ غسل عمامته، حتىٰ إصلاحها، حتىٰ التمعُّن [٣٨/ب]

---

(١) في (ظ٢): (ومحاربتهم).

في خياطة جُبَّتِهِ وبشته[1]، حتىٰ تحسين سَيْرِ قُبْقَابه، حتىٰ تحسين ضَبَّةِ[2] خلوَتِهِ وسائر ما يهواه، فلا يطأ بساط الحضرة الإلهية كاذبٌ ولا دخيل أبدًا.

واعلم أنَّ مِنْ علامة كثرة الأهوية: أنْ ينوِّع له شيخه العبادات، ويكثر مِنَ انتقاله مِنْ وِرْدٍ إلىٰ وِرْدٍ؛ ليطرق به شيخه بتلك الأوراد أبواب الحق؛ رجاء أن يُفتح علىٰ المُريد باب منها، ولو كان المُريد صادقًا.. لدلَّه شيخه علىٰ الباب الذي يفتح عليه منه بأوَّل وِرْدٍ أشتغله به؛ لأنَّها كلها أبواب يمكن أنْ يدخل العبد علىٰ يد شيخه بها إلىٰ حضرة الحق تعالىٰ؛ فليعلم ذٰلك.

[الاشتغال بالذكر الذي تلقاه عن شيخه فقط]

ومنها: ألَّا يكون له قَطُّ شغلٌ غير الذِّكر الذي لقَّنه له شيخه، هٰذا إذا كان التلقين علىٰ سبيل السلوك وعلو الهِمَّة؛ فإنْ كان علىٰ وجه التبرُّكِ؛ كما عليه غالب الفقراء اليوم.. فلا بأس بالاشتغال بغير [٣٩/أ] الذِّكر؛ مِنْ تلاوة القرآن والصلاة ونحو ذٰلك؛ لقصور هِمَّة صاحبه، وعدم قدرته علىٰ حبس نفسه في حضرة الله

(١) في (ط): (وتسريح شيبته)، هٰذا، والبشت: كساء مِنْ صوف غليظ النَّسج لا كُمَّيْن له، يرتديه أهل الريف في الشتاء. «المعجم الوسيط» مادة (ب ش ت).

(٢) يقال: ضَبَّبْتُ الخَشَبَ ونحوه؛ ألبَسْته الحَديدَ، والضَّبَّةُ: حديدةٌ عَريضةٌ يُضَبَّبُ بها البابُ والخَشَبُ، والجمع ضِبابٌ. «لسان العرب» مادة (ض ب ب).

عَزَّ وجَلَّ الخاصة(١)؛ فإنَّ الذَّاكر جليس الله عَزَّ وجَلَّ؛ كما ورد(٢)، ولا يقدر علىٰ مُجالَسة الحقِّ أحدٌ غير الصادقين؛ فإنَّ الصادق يكون جلوسه مع الحقِّ تعالىٰ ألف عام كلحظة، ومقصوده طيُّ الطريق مِنْ غير التفات إلىٰ وراء، ومَنْ قصدهُ في حصول حاجة.. فمِنْ شأنه ألا يغفل عن حصولها، وفي المثل السائر: طالب الحاجة لا يروم إلا قضاءها(٣).

ثم اعلم يا أخي أنَّ مثالَ جِلاءِ ذكر الله تعالىٰ لصدأ القلب.. مثالُ الحصىٰ للنحاس المُصَدِّئ، ومثال جِلاءِ غيرِ الذِّكر مِنْ سائر القربات.. مثالُ جِلاءِ النحاس المُصَدِّئ بالصابون، فأين الجِلاء مِنَ الجِلاء؟! فهذا سبب إجماع المشايخ المتقدِّمين والمتأخِّرين علىٰ أمر المُريد بالاشتغال بالذِّكر دون غيره، وكان ذٰلك منهم نصحًا وتقريبًا [٣٩/ب] للطريق علىٰ المُريدين.

وكان سيِّدي أحمد الزَّاهد وبعده سيِّدي مَدْيَن، وسيِّدي محمد الغَمْري إذا جاءهم أحد يجاور.. يقولون له: جئت لماذا؟ فإنْ قال: لأتعلَّم العلم والفقه.. يقولوا له: اذهب إلىٰ الجامع الأزهر، ولا يُمكِّنوه قَطُّ مِنَ الإقامة عندهم، فقال

---

(١) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (قوله: (في حضرة الله عَزَّ وجَلَّ الخاصة) فُهِمَ منه أنَّه مَنْ ذكر الله عَزَّ وجَلَّ خالي البال مغمضًا عينيه.. فهو في حضرة الله الخاصَّة وإنْ لم يشاهد مِنْ أهل الحضرة أحدًا).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» رقم (٣٥٤٢٨) من كلام كعب الأحبار قَالَ: قَالَ مُوسَىٰ: أَيْ رَبِّ أَقَرِيبٌ أَنْتَ فَأُنَاجِيَك؟ أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيَك؟ قَالَ: يَا مُوسَىٰ، أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي، قَالَ: يَا رَبِ، فَإِنَّا نَكُونُ مِنَ الْحَالِ عَلَىٰ حَالٍ نُعَظِّمُك، أَوْ نُجِلُّك أَنْ نَذْكُرَك عَلَيْهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْجَنَابَةُ وَالْغَائِطُ، قَالَ: يَا مُوسَىٰ، اذْكُرْنِي عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ.

(٣) من قوله: (ومقصوده طيُّ الطريق...) إلىٰ هنا ساقط من (ظ٢).

شخص لسيِّدي أحمد الزاهد: أنتم مِنْ أهل العلم، فلِمَ لا تُعَلِّمونه ما يطلبه؟! فقال سيِّدي أحمد: وجدنا هِمَّته فاترة عن همَّة الفقراء.. فخفنا أنْ يفسد على الضعفاء حالَهُم، فقال له ذٰلك الشخص: كيف يُفْسِدُ عليهم حالَهُم والعلم طريق إلىٰ سلوك طريقكم؟ فقال: إنَّما يكون طريقًا إليها.. فيما لا بد منه مِنْ معرفة الواجبات والمُسْتَحبَّات[1] فقط، أمَّا الاشتغال بفهم تراكيب كلام الفقهاء والشارحين علىٰ مصطلحهم.. فذاك مِنْ أكبر القواطع علىٰ المُريد[2]؛ لتعلُّق الأحكام بالخلق، وامتلاءُ وعاء المُريد منها يمنع مِنْ دخول غيرها [٤٠/أ] إلىٰ قلبه[3]؛ ولذٰلك ما رُئي فقيهٌ قَطُّ معدودًا[4] مِنْ أهل الطَّريق إلا نادرًا، فإذا كَمَلَ حالُ المُريد وعَرَفَ الله تعالىٰ.. فله الاشتغال بعد ذٰلك بكل علم شاء؛ لأنَّ مَنْ عرف الله تعالىٰ.. لا يصير له تشتيت عنه بأمر مِنَ الأمور، بخلافه قبل أنْ يعرفه؛ فكلُّ شيء اشتغل به غير الله يشتِّت عليه أمره، فلذٰلك كان الاشتغال بالعلم علىٰ مصطلح الفقهاء اليوم مِنْ أعظم القواطع.

[الفرق بين المُريد وطالب العلم]

وتأمَّل طالب العلم كيف يبحث مع شيخه ويرُدُّ عليه كلامَهُ ويقول: لا نُسَلِّمُ لك ما قلتَ. وهٰذا حرام علىٰ المُريد؛ فإنَّه إذا لم يكن مُنقادًا لكلام شيخه وهو

---

(١) في (ط): (والمستحيلات) ولعله تصحيف.
(٢) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (هٰذا القول بعينه مشرب شيخنا أبي أيده الله بالفتح والنصر).
(٣) في (ظ٢): (إلىٰ بيان قلبه).
(٤) في (ظ٢): (ما رؤي قَطُّ شخص اشتغل بغير الذِّكر معدودًا...).

ينازعه في كل شيء طَلَبَ يُرَقِّيه به.. كيف يُفْلِحُ؟! وفي الحديث: «عِنْدَ نَبِيٍّ لَا يَنْبَغِي التَّنَازُعُ»(١)، وحضرة الأشياخ مِنْ حضرة رسول الله ﷺ.

واعلم أنَّه لا فرق في التَّنازع بين أنْ يكون بالظاهر أو الباطن؛ فإنَّه حرام، وصاحبه [٤٠/ب] لم يؤمن بصحة كلام شيخه، وإذا لم يؤمن.. فلا هو مريد، ولا ذٰلك الشَّيخ شيخه.

ومِنَ النِّزاع للشيخ قول المُريد للشيخ إذا قرَّر كلامًا: سمعنا منك يا سيِّدي أمسِ خلافَهُ! هٰذا لأنَّ الشَّيخ إنَّما يتكلَّم في كل مجلس بحسب حال أهله، وهم في كلِّ مجلس علىٰ أخلاق خلاف ما كانوا عليه في المجلس الماضي، فالواجب علىٰ المُريد الوقوف عند كلام الشَّيخ ولو رأىٰ الحقَّ بيده مِنْ حيث النَّقل؛ فإنَّ الأشياخ لا يتقيَّدون بالنُّقول التي استنبطها المجتهدون، ولا يدخلون في سياج التقليد؛ لجلالة منصبهم عن ذٰلك(٢)، ولذٰلك اختاروا مِنَ المذاهب مَذْهَبَ المحدِّثين، وقالوا: كُلُّ حديث صَحَّ.. فهو مذهبنا، رضي الله عنهم أجمعين.

[امتثال أمر الشيخ في ترك المباحات]

ومنها: أنْ يمتثل أمرَ شيخِهِ إذا منعه مباحًا مِنَ المباحات؛ لأنَّ الشَّيخ إنَّما

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١١٤) بنحوه مطولاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (قوله: (لجلالة منصبهم عن ذٰلك) يعني تقليد المجتهد؛ فإنَّ الأشياخ الكاملين لا يُقَلِّدُون إلا الرسول [صلىٰ الله عليه وسلم] فقط، فهم في غِنىٰ عن تقليد المجتهدين؛ لإشرافهم بنور الكشف علىٰ أسرار الشريعة، واجتماعهم به ﷺ، فلا يفتقرون في تعليم حكم لأحد سواه ﷺ).

قصدُهُ [٤١/أ] للمُريد دائمًا التَّرَقِّي، وفعل المباح لا تَرَقِّي فيه؛ لأنَّه برزخ؛ لا ثواب فيه ولا عقاب، والمباح ليس للمُريدين فيه سبيل جملة واحدة، بخلاف الأشياخ؛ لأنَّهم في مرتبة الشارع[١]، وقد كان ﷺ يأتي المباح توسِعَةً علىٰ أُمَّته، وكذٰلك الأشياخ يأتونه توسِعَةً علىٰ مريديهم لو وقعوا فيه؛ وذٰلك لأنَّ فعل المباح تنفيس للنفوس مِنْ مشقة التكاليف، والمُريدُ الصادق لا يَمَلُّ مِنَ العبادات إلا في النادر؛ نحو كلِّ شهر مرَّة، وأمَّا المُريد الذي غالب أوقاته في المباح[٢].. فهو كاذب منافق خائن.

واعلم أنَّ المُريد متىٰ احتج علىٰ الشَّيخ بأقاويل العلماء في جواز فعل المباح.. لم يفلح أبدًا، وكذٰلك إذا تركه الشَّيخُ يحتجُّ عليه ولم يزجُرْهُ عن ذٰلك.. فقد مَكَرَ به وأخرجه عن صحبته، وعن قليل يخرج مِنْ زاويته.

واعلم[٣] أنَّ طريق الفقهاء [٤١/ب] لو كانت عين طريق الفقراء.. كان الفقيه إذا بلغ درجة الإفتاء والتدريس هو المُسَلِّكُ في عصره، ولكنَّها طريق تدِقُّ علىٰ فهم الفقهاء؛ لمحبتهم للدنيا وأدناسها، حتىٰ صار أحدهم كأنَّه مربوط مِنْ وسطه

---

(١) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (قوله: (لأنهم في مرتبة الشارع) أي مِنْ حيث تبيين الأحكام؛ لأنَّهم ورثته ﷺ، لا مِنْ حيث المساس في المقام؛ لأنَّ أحدًا منهم لا يقول ذٰلك، ولا يعتقده، بل أعلىٰ مراتبهم قيامُهُم بخدمة شريعته ﷺ).

(٢) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (قوله: (وأمَّا المُريد الذي غالب أوقاته في المباح) كأمثالنا؛ تاب الله علينا بحرمة سيدنا محمد ﷺ، آمين آمين، يا رب العالمين).

(٣) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (مطلب: محبة الفقهاء للدنيا وأدناسها، وطهارة قلوب المُسَلِّكين من ذٰلك).

بعـدَّة حبال علىٰ عدد ميله إلىٰ الشـهوات[١]، وذٰلك مانع عن الطيران إلىٰ التَّرَقِّي؛ فافهم[٢].

وقـد كان الشَّـيخ عِـزُّ الدين بن عبد السَّـلام يقول-حين صحب الشَّـيخ أبا الحسـن الشـاذلي ﷺ: وجدنا بدايَةَ طريق الفقراء نهايَةَ طريق الفقهاء[٣]. وغالب الفقهـاء لم يصل في العلم إلىٰ نهاية، فلم يصل إلىٰ مرتبة مُرِيدٍ[٤]؛ فإنَّ أقل مراتب المُريديـن تسـاوي الذهب عنده والزِّبْلِ علىٰ حدٍّ سـواء، وينشـرح صدره ويفرح كُلَّما فاته شيءٌ مِنَ الدنيا، ويغتَمُّ إذا دخلت عليه؛ لعِلْمِهِ بأنَّ الذهب يجلب له سائر شـهواته التي فَـرَّ بقلبه عنها[٥] إلىٰ الله تعالـىٰ، ومِنْ أقلِّ [٤٢/أ] صفـات المُريد[٦]: ألَّا يظهر عليه قَطُّ رياءٌ ولا كِبْرٌ ولا عُجْبٌ ولا محبَّةُ صِيتٍ ولا رئاسـة، ولا شـيءٌ مِنْ نحو ذٰلك؛ لصدق توحيده وشـهوده أنَّ الأفعالَ خَلْقُ الله عَزَّ وجَلَّ، والوجودُ ملك لله، وما أحد يرائي ولا يعجب ولا يتكبَّرُ قَطُّ بفعل غيرِهِ أبدًا، وكذٰلك لا أحد

(١) حشىٰ الناسـخ هنا في هامـش (ظ١) بقولـه: (قوله: (عـدد ميله إلىٰ الشـهوات) فُهِمَ منـه أنَّ الـذي وفَّقه الله لترك الشـهوات ولعدم ميله إلـىٰ الأمور الدنيوية، إذا تمَسَّـك بالشرع وكان مُلازمًا لذكر الله والإكثار منه.. يكون مُسَلِّكًا؛ لأنَّ الترقي حصل له بهٰذه الخصال).

(٢) من قوله: (واعلم أنَّ طريق الفقهاء...) إلىٰ هنا ساقط من (ظ٢).

(٣) في (ظ٢): (طريق غيرهم).

(٤) قوله: (وغالب الفقهاء لم يصل في العلم إلىٰ نهاية، فلم يصل إلىٰ مرتبة المُريد) ساقط من (ظ٢).

(٥) في (ظ١): (التي نوىٰ بقلبه تركها).

(٦) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (مطلب: صفات المُريد الصادق، نرجو من كرم الله تعالىٰ ذٰلك بفضله).

يُزاحِم ويقاتل ويعادي على شيء لا يشهد له ملكًا لذرَّة منه، وهٰذا شأن كل مريد في أوائل دخوله في الطريق، ولو وجدت هٰذه الصفات في عالِمٍ.. لبنوا عليه قُبَّةً وضريحًا، وتبارك الناس كلُّهم به؛ فتأمَّل ذٰلك فإنَّه نفيس.

[المبادرة لامتثال أمر الشيخ في قضاء حوائج الفقراء]

ومنها: أنْ يبادِرَ لفِعْلِ ما أمَرَهُ به شيخُه مِنْ قضاء الحوائج المتعلِّقة بمهمَّات معايش الفقراء؛ مِنْ شفاعة وغيرها، ولو وجد الصلاة تقام في مسجد في طريقه.. لا يدخله، إلا أنْ تكون صلاة الجمعة، ولهم في ذٰلك مستند يستندون إليه، وذٰلك أنَّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه [٤٢/ب] حين خرجوا لبني قُرَيْظَةَ ـ وكان ذٰلك الوقت بُكْرَةَ النَّهار ـ: «لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»، فما وصلوا إليها إلَّا بعد غَيْبَةِ الشَّفق؛ حيث دخل وقت العشاء، فكان جماعةٌ صَلَّوا في الطريق، وقالوا: لم يُرِدْ رسول الله ﷺ مِنَّا بذٰلك القول إلا الاستعجال، وقال قوم: لا نصلِّي إلا حيث قال رسول الله ﷺ، فلمَّا قدموا وأخبروا رسول الله ﷺ.. لم يُعَنِّفْ أحدًا مِنَ الفريقين(١)؛ لاستناد الأولى إلى الأدب مع الله، واستناد الثانية إلى الأدب مع رسول الله ﷺ، فحال الفرقة الثانية يشهد للقوم في أنَّه يُقَدِّمُ أمرَ شيخه الخاص على ما يعلمه هو مِنْ(٢) أوامر الشريعة العامَّة؛ [لأنَّ الشَّيخ أدرى منه بنصوص الشريعة، وبما يحصل له به التَّرقِّي في دينه ودنياه، ولأنَّ الفرض أنَّ شيخه مِنْ أولياء الله تعالى، وأنَّ ذٰلك المُريد لم يصل إلى درجته، ومتى لم يعتقد

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٩٠٤) بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) قوله: (ما يعلمه هو من) مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ.

المُريد أنَّ شيخَهُ أعلَمُ منه بما هو رضىً لله تعالىٰ في كل حركة وسكون، وأنَّه لا يترك شيئًا فيه نصح للمُريد قَطُّ إلا وينبِّهُه عليه.. وإلا فعِشْـرَتُهُ له كالهباء المنثور، وقد وقع لبعضهم أنَّه أدرك مِنْ طريق كشفِهِ أنَّ بعض الفَسَقَةِ قَبَضَ علىٰ ولد بعض مريديه ليلُوطَ به في بعض الأماكن، والولد يأبىٰ، وهو يهدِّدُهُ بالقتل، فدعا الشَّيخ أبا الولد، وأمره بالذهاب إلىٰ ذٰلك المحل، وقال له: أسرع ولا تلتفت لشيء؛ فإنَّ هناك مكروبًا أريد أنْ تُفَرِّجَ عنه، فذهب، فأدركته صلاة الجماعة في الطريق، فتأوَّل أمر شيخه، وأراد تحصيل فضيلة الجماعة، ولم يعلم سرَّ أمر الشَّيخ له، فما قضىٰ الصلاة حتىٰ قُتِلَ الغلام، فلمَّا ذهب ورأىٰ ولده قتيلًا.. ندم حيث لم ينفعه الندم، فالصادق في التقليد لشيخه.. هو مَنْ قدَّم أوامر شيخه الخاصَّة علىٰ ما يعلمه هو مِنْ أوامر الشريعة العامَّة[1]؛ لأنَّ الشَّيخ في مرتبة النيابة لرسول الله ﷺ في التشريع، وتوحيد الآمر واجب عند القوم، وقد أجمعوا علىٰ أنَّه مَنْ لم يكن مقصده واحدًا متعلِّقًا [١/٤٣] بواحد.. لا يشمُّ مِنَ التوحيد الحَقِّ رائحةً، ومتىٰ خرج المُريد بحركة واحدة للصلاة وشراء حاجة مثلًا.. فقد أشرك في القصد، فلا يُرجىٰ له تَرَقٍّ أبدًا؛ لأنَّ الشِّرك ظلمٌ عظيمٌ، ومِنْ لازِمِهِ الظُّلْمَةُ، وإذا دخل المُريدُ الظُّلمة.. ضلَّ وحار، وإذا حار.. فلا ترجيح، وإذا عدم ترجيح القصد.. فلا ترقٍّ له؛ فافهم.

وليعْلَمِ المُريدُ أنَّ الأشياخ لا تغشُّ أحدًا أبدًا؛ فقول الشَّيخ للمُريد: إيَّاك وفعل الأمر الفلاني.. إنَّما نهاه عنه لعلمه بأنَّ بتركه يترقىٰ إلىٰ ما هو أشرف وأعلىٰ؛

---

(١) من قوله: (لأنَّ الشيخ أدرىٰ منه بنصوص الشريعة...) إلىٰ هنا مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ.

لِمَا يعلم الشَّيخ في ذٰلك الأمر المتروك مِنَ الهوىٰ والنفس دون المفعول؛ فاعلم ذٰلك.

[الصبر على امتحان الشيخ]

ومنها: أَلَّا يبادر إلىٰ النُّفرَةِ مِنْ شيخه إذا اختبره أوائل اجتماعه عليه أو بعد رِدَّةٍ حصلت مِنْ ذٰلك الفقير، بل يصبر؛ فإنَّ الطريق عزيزة علىٰ أهلها، وما كل أحد يستحقُّها، فلا بُدَّ مِنَ الاختبار؛ قيامًا [٤٣/ب] بواجبها.

وقد حكىٰ لي شيخنا الشَّيخ محمد الشِّنَّاوِيُّ ﷺ: أنَّه لمَّا سافر مِنْ بلاده إلىٰ نواحي فارس كور؛ ليأخذ عن الشَّيخ محمد السَّرْوِيِّ الطريق.. أعرض عنه الشَّيخ نحوًا مِنْ شهر لا يخاطبه، قال: فأخذت علىٰ نفسي ورجعت إلىٰ بلادي، ثم تحرك عندي السفر إليه، فلمَّا دخلتُ عليه.. أعرض عنِّي، فمكثتُ نحوًا مِنْ تسعين يومًا لا يلتفت إليَّ، فلمَّا رأىٰ إقبالي.. دعاني وقال: يا ولدي؛ إنَّما قصدتُ بذٰلك إعلامَكَ بعِزَّةِ الطريق؛ لتكون عزيزة عندك، لا تعطيها إلا لِمَنْ يستحِقُّها، فلو استحقَّها كلُّ مُريدٍ.. لم يحتج أحد إلىٰ اختبار.

وحكىٰ لي الشَّيخ محمد الحريفيش الدَّنُوشَرِيُّ[١] أحد أصحاب سيِّدي مَدْيَن ﷺ أنَّه قال: لمَّا جاء سيِّدي مَدْيَن وسيِّدي محمد الغَمْري إلىٰ سيِّدي أحمد الزاهد يطلبان الطريق.. أمر بَوَّاب الجامع بإخراجهما بعد العشاء، فباتا إلىٰ

---

(١) لم أعثر علىٰ ترجمة خاصة له، لكن ذكره الشعراني أثناء ترجمة الشيخ أحمد الزاهد، وأثناء ترجمة الشيخ مدين الأشموني، وأنه التقىٰ به (سنة ٩١٥هـ) بدَنُوشَر، انظر: «الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٧٥) و(٢/ ٩٤).

الصباح [٤٤/أ] علىٰ الباب، ثم أدخلهم بُكْرَةَ النَّهار، وصار يتنكَّر عليهم كلَّ حين حتىٰ بلغوا رتبة الرجال، وكان يقول بعد ذٰلك: لم يعرفني أحد منهما إلىٰ الآن.

وبلغني عن شخص مِنَ المشهورين بالصلاح بمكة أنَّه كان إذا جاءه المُريد يطلب الطريق.. يقول له: لا آخذ عليك العهد والطريق إلا إنْ تُبْتَ عن الاستنجاء والوضوء والصلاة مُدَّةَ صحبتي، وكان بعضهم يدخل معه علىٰ ذٰلك، ويُفْتَحُ عليه بعد ذٰلك، وهي طريق تنفر منها النُّفوس أوَّل سماعها، فإذا دخلها المُريد.. استلَذَّ بها أكثر مِنْ لذَّة الطاعة؛ لأنَّها مِنْ سِرِّ القَدَرِ، فسأله شخص عن ذٰلك، فقال: كلُّ مَنْ لم يسكن تحت مجاري أقدار الله.. لم يشم مِنْ طريق الله رائحة، فنحن نُعَلِّمُهُم طريق الأدب في وقوع المعاصي مع الله عَزَّ وجَلَّ، فإذا استحكم فيهم مقام الرِّضىٰ بإقامة الله لهم في المعاصي.. كَشَفَ لهم الحجاب، وقال لهم: أنتم عبيدي [٤٤/ب] حقًّا؛ فقد حصل بفعل تلك المعاصي الثمرة التي كانت تحصل له بالطاعات، وتساويا في النتيجة. انتهىٰ، فقلتُ لشيخنا ﷺ: ما تقول في هٰذه الطريق؟ فقال: هي طريق إبليس، وما كل الرجال يقدر علىٰ الدخول فيها، ولا كل المُريدين يقدر يدخلها، وما للإنسان والخروج عن سياج ظاهر الشريعة الذي هو كالسَّيف الماضي علىٰ مرِّ الأيام والليالي؟ فإنَّ كلَّ باطن لا يشهد له ظاهر.. فهو باطل، والله أعلم(١).

[ترك الاستدلال على الشيخ بظواهر الأدلة]

ومنها: ألَّا يستدلَّ علىٰ شيخه قَطُّ بظاهر كتاب ولا سُنَّةٍ ولا مَعْقُولٍ ولا

(١) من قوله: (عن الاستنجاء والوضوء...) إلىٰ هنا ساقط من (ظ٢).

عُرْفٍ؛ فإنَّ ذلك خيانة مِنَ المُريد، وعلم الاستدلال مِنْ أكبر القواطع عليه، وما قصد الشَّيخ مِنَ المُريد إلا سلوك آداب الطريق فقط؛ حتىٰ يصير يتكلم مِنْ مواجيده في قلبه، وهنا دسيسة تدخل علىٰ المُريد: وهو أنَّه إذا طلب مِنَ الشَّيخ دليلًا علىٰ قوله.. فقد نقض عهده الذي بايعه عليه، وهو العمل بكل ما قاله له ببادئ [٤٥/أ] الرأي، فإذا بَيَّنَ له الدليل.. فما سار المُريد حقيقة إلا بالدَّليل، لا بقول الشَّيخ، وذلك لا تَرَقِّي فيه، فالواجب علىٰ الشَّيخ إذا رأىٰ نفس المُريد قويَّة عليه في الاستدلال والجدال.. أنْ يطرُدَهُ عن بابه؛ فإنَّه يُفْسِدُ عليه بقيَّة أصحابه، وإنْ كان فيه خيرٌ.. فسيرجع ويستغفر، وإنْ لم يكن فيه خير.. فقد استراح الفقراء منه.

وحكىٰ لي شيخ الإسلام زكريَّا الأنصاري ﷺ تعالىٰ قال: قرأتُ علىٰ سيِّدي محمد الغَمْري كتاب «قواعد الصوفية» الذي أَلَّفَهُ، وكان الغالب عليَّ إذ ذاك طريق الفقهاء، فكنت أراجع الشَّيخ وأستدلُّ عليه، فكان ضعفاء المُريدين يفرحون بيومي لأجل ذلك؛ فإنَّ أحدًا منهم كان لا يتجرَّأ أنْ يراجعه، وكان أكابر المُريدين يتشوَّشون مِنْ يومي؛ إيثارًا للأدب مع شيخهم. فاعلم ذلك.

[توقير مجلس الشيخ حيًّا وميتًا]

ومنها: ألَّا يقعد بقميص واحد بين يدي شيخه، إلا أنْ يكون متجرِّدًا ليس له غيره؛ لأنَّ حضرة الشَّيخ مِنْ حضرة الصلاة، [٤٥/ب] فمِنْ تعظيم الشَّيخ: أنْ يلبس المُريد إذا أراد مجالسته أفخر ثيابه، ويتوب قبل أنْ يجالسه عن كل ذنب جناه قديمًا أو حديثًا؛ ليدخل حضرته علىٰ طهارة كاملة.

وإذا كان مكان الشَّيخ بعيدًا وخرج إليه.. لا يخرج إلا بنيَّة زيارته فقط؛ دون حاجة أخرىٰ، وقد كان شيخي سيِّدي علي الخَوَّاص ﷺ يتلقَّاني علىٰ حسب ما أَخْرُجُ لـه، فإنْ خرجت له وحدَهُ.. تلقَّاني بكُلِّيَّتِهِ، وإنْ أشركتُ بينه وبين شيء آخر.. يتلقَّاني علىٰ النِّصف، وإنْ خرجتُ لغيره ولكن مررتُ عليه مِنْ جملة الطريق.. لم يتلقَّاني بشعرة واحدة، وكان يقول: العدل مطلوب في كل شيء، فمَنْ تلقَّىٰ الناس بأكثر ممَّا جاؤوا له أو بأنقص منه.. خرج عن العدل. وقد دخلتُ عليه مرَّة وقد أكلت شهوة كنت عاهدت الله تعالىٰ ألَّا آكلها، فأوَّل ما وقع بصره عليَّ قال لي: مَنْ غلبَتْهُ شهوتُهُ.. فهو [٤٦/أ] حمار، ومَنْ غلبَ شهوتَهُ.. فهو مؤمن، ومَنْ غاب عن ذٰلك كلِّه.. فهو عارف[1].

ووقَعْتُ مرَّةً في شيء لا ينبغي فعلُهُ لمثلي، ونسيته، فلمَّا وقع بصري عليه.. رأيتُ ذٰلك الفعل مكتوبًا في جبهة الشَّيخ، وجملة أمور أُخَرَ كنت فعلتُها قبل ذٰلك، وصرتُ أقرأها واقعة واقعة، فلمَّا أفقت مِنْ ذٰلك قال: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف:٤٩]، فقلت: أستغفر الله، وأسألكم أنْ تستغفروا الله لي، فمُحِيَتْ مِنْ جبهة الشَّيخ، وقال لي: أنا كتابك وأنا لوحك. فلمَّا صحَّت الصُّحبة بيني وبينه.. كنت أستحيي أنْ أمشي بنعلي في حارته التي يمشي فيها، فأتيت مرَّة إليه حافيًا، فأمرني باللُّبس، وقال بخفض صوت لأخي سيِّدي أفضل الدين[2] - وكان بجنبه -: إذا كان هٰذا أدبه مع مخلوق.. فكيف أدبه مع الله تعالىٰ؟! فسُرِرْتُ بذٰلك.

---

(١) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (قوله: (ومَنْ غاب عن ذٰلك كلِّه) يعني: مَنِ استغرق في ذكر مولاه، وشغله عن كل شيء مِنَ الكائنات.. فهو عارف).

(٢) هو أفضل الدين، أبو الفضل الأحمدي، (المتوفىٰ سنة ٩٤٢هـ)، صاحب الكشوفات

ووقع لي في بعض الليالي أنني مددتُ رجلي في الخلوة، فإذا هي تجاه الكعبة، فحوَّلتُها فإذا هي تجاه المدينة المُشَرَّفَةِ [٤٦/ب]، فحوَّلتها فإذا هي تجاه جماعة مِنْ أولياء بغداد والشام تمثَّلُوا لي، فحوَّلتها نحو الصعيد، فإذا هي تجاه جماعة مِنْ أولياء الصعيد، فحوَّلتها فإذا هي تجاه أولياء المغرب، فحوَّلتها فإذا هي تجاه سيِّدي إبراهيم الدَّسُوقِي وسيِّدي أحمد البَدَوِيِّ[١]، فحوَّلتها فإذا هي تجاه سيِّدي محمد بن عِنان بباب البحر، فضمَمْتُ رجلي، ونمتُ جالسًا، وإذا سيِّدي محمد بن عِنان يسحب رجلي وهو يقول: مدَّ رجليك ناحيتي، فانتبهت ونعومة يده في رجلي.

الرَّبانية والمواهب الصمدانيَّة، أخذ الطريق عن سيدي علي الخوَّاص، والشيخ بركات الخوَّاص، وغيرهما، وكان بينه وبين الشعراني وحدة حال، وصحبة طويلة، وكان من أهل المجاهدات، وقيام الليل، والتخشن في المأكل والملبس، وكان يخدم إخوانه، حجَّ عدة مرات، ووافته المنية ببدر وهو قاصد الحج، ودفن هناك. انظر: «الكواكب السائرة» (٢/ ٩٤) وما بعدها، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ١٥٦) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٣٤٨) وما بعدها.

(١) هو أبو العباس البدوي السُّطوحي، أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، (٥٩٦-٦٧٥هـ)، المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية، أصله من المغرب، ولد بفاس، وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس، فخرج لاستقباله هو وعسكره، وأنزله في دار ضيافته، وعظم شأنه في بلاد مصر، فانتسب إلىٰ طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر، وتوفي ودفن في طنطا، وضريحه فيها ظاهر يزار، وقد أفرد بعضهم سيرته في كتب. انظر: «شذرات الذهب» (٧/ ٦٠٢) وما بعدها، و«حسن المحاضرة» (١/ ٥٢١) وما بعدها، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (١/ ١٥٨) وما بعدها.

وقد وقع لي مرَّة أنني دخلت أزور السَّيِّدة نَفِيْسَةَ(١)، فدخل أصحابي، ووقفت خارج باب القُبَّةِ؛ لكونها حريمًا، فجاءتني تلك الليلة وقالت لي: إذا زرتني.. فادخل إليَّ؛ فقد أذنْتُ لك.

فانظر يا أخي ما ثمرة مراعاة الأدب، والله يتولى هداك.

[قطع العلائق الدنيوية أثناء الذكر]

ومنها: إذا كان ذا زوجة وأولاد وأراد الذِّكر: أنْ يغلق بابًا بينه وبينهم؛ فإنَّه لا شيء أضرُّ [٤٧/أ] على المُريد مِنْ صحبة الضِّدِّ، وهو الذي لا يهوى ما تهواه أنت، وكلَّما كان مكان الذِّكر أضيق مظلمًا.. كان أجمع للخاطر مِنَ الواسع الذي فيه نور الشمس أو السِّراج، ومثل الأولاد والزوجة فيما ذكرناه.. المنكرون على طريق القوم؛ فإنَّهم ربَّما استهزؤوا بالذَّاكر إذا كشف رأسه وصاح وتخبَّط، واتخذوه سخريًّا، فيكون ذٰلك سببًا لمقتهم، وربما ضعف قلبه عن الذِّكر بسبب إنكارهم عليه، فيتأذى ويؤذي، ولو ذَكَرَ الله خاليًا.. لاستراح مِنْ ذٰلك.

---

(١) هي السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، (١٤٥-٢٠٨هـ)، صاحبة المشهد المعروف بمصر، تقية صالحة، عالمة بالتفسير والحديث، ولدت بمكة، ونشأت في المدينة، وتزوجت إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق، وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها، كانت تحفظ القرآن، وسمع عليها الإمام الشافعي وغيره، وللمصريين فيها اعتقاد عظيم. انظر: «الوافي بالوفيات» (٢٧/ ١٠١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٠٦) وما بعدها، و«مرآة الجنان» (٢/ ٣٣).



[عدم طلب مجالسة الشيخ]

ومنها: ألَّا يسأل شيخه أنْ يكون داعيًا له في الجلوس معه، بل يصبر؛ فإنْ دعاه.. أجاب، وإن لم يَدْعُهُ..-كان مشتغلًا بما أمره به قبل ذلك مِنْ ذِكْرٍ أو خدمةٍ ونحو ذلك، فإذا جاء المُريد إلىٰ مجلس الشَّيخ بغير إذن صريح.. فقد أساء الأدب، لا سيَّما مجلس الشَّيخ مع أبناء الدنيا الذين هم معرضون [٤٧/ب] بقلوبهم عن الشَّيخ وعن حُبِّ الآخرة؛ لِمَا هم عليه مِنَ التَّكالب علىٰ الدنيا ليلًا ونهارًا[1]، حتىٰ كأنَّ رِزْقَهُم هارِبٌ منهم، فمِثْلُ المجلس الذي فيه هؤلاء يضرُّ بالمُريد؛ لغلبة سرقة الطباع، وميلها إلىٰ زخرف الدنيا، ولا يجوز للمُريد أنْ يعترض بقلبه علىٰ شيخه في مجالسة أبناء الدنيا؛ لأنَّ الأشياخ الكاملين ليس لهم إعراض عن أحد مِنْ خلق الله عَزَّ وجَلَّ؛ فهم مقبلون علىٰ كل مخلوق قبولَ رحمةٍ وشفقة، ويتعبون في سياسة أبناء الدنيا أشدَّ ممَّا يتعبون في سياسة الدوابِّ؛ لأنَّهم يحبُّون لجميع عبيد سيِّدهم ألا يبرحوا عن بابه طرفة عين[2]، فيقولون: لعلَّ بالمجالسة يتنبَّه أحدٌ منهم. وقد أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود عليه السلام حين أَنِفَ مِنْ تعليم العوامِّ ومجالستهم: يا داود؛ المستقيم لا يحتاج إليك! والأعوج لم تُقَوِّمْ أنت عِوَجَهُ! فلماذا أُرْسِلْتَ؟! انتهىٰ.

---

(١) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (التكالب علىٰ الدنيا سببٌ للإعراض عن الآخرة).

(٢) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (هٰذا بعينه حال شيخي الشيخ أبي بكر حفظه الله وأيَّده بالنَّصر، فإنَّه يدخل علىٰ أكابر أبناء الدنيا ويدعو لهم بالجذب، ويأمرهم بشكر نعمة الله، وإنْ كانوا ظالمين.. نهاهم بلطف، فيرون لكلامه لَذَّةً، فما تشوش أحدٌ منه؛ لكمال صدقه مع الله ﷻ، ونفعنا والمسلمين ببركاته).

فلهٰذا كان الأشياخ [١/٤٨] لا يُعرِضُون عن أحدٍ مِنَ المُعْوَجِّين، بخلاف المتصوِّفَة والعُبَّاد الذين يَرَوْنَ نفوسهم ويُزَكُّونها علىٰ إخوانهم(١)؛ فإنَّ مَنِ اعتزل النَّاس لو شهد فيهم الصلاح والخير وأنَّهم أحسن حالًا منه.. ما فَرَّ منهم، ولكان يستغنم مجالستهم وخدمتهم؛ كما هو مشاهد فيمن ظهر بالصلاح مِنَ الأولياء والمجاذيب.

وقول بعضهم: إنَّما اعتزلنا عن الناس لكوننا مِنْ أهل الشَّرِّ، فخفنا عليهم أنْ تَسْرِقَ طباعُهُم مِنَّا.. دسيسةٌ مِنَ النفس، وأكثر مَنْ يقع في العزلة مشايخ أرباب الدولة(٢)؛ لمجالسة(٣) الناموس الدنيوي، وقد كان الشَّيخ أبو المواهب الشَّاذِلِيُّ(٤) يقول: شيخ السُّلطان.. أخو الشيطان، وشيخ الأمير.. طبلٌ كبير، وشيخ الفقير.. عبدٌ حقير.

وليعلم المُريد أنَّ للشيخ وقتًا لا يسعه فيه غير ربه عَزَّ وجَلَّ، فلا يصير عنده شعور ولا التفات لغيره مِنْ زوجة ولا ولد، ولا صاحب ولا تلميذ، ولا أحد مِنْ

---

(١) في (ظ٢): (أقرانهم).
(٢) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (مطلب: معرفة شيخ الأمير).
(٣) في (ظ٢): (لمحبتهم).
(٤) هو شرف الدين أبو المواهب، محمد بن أحمد التونسي الشاذلي، (٨٢٠-٨٨٢هـ)، نزيل مصر، من الظرفاء الأجلاء الأخيار، والعلماء الراسخين الأبرار، له موشحات رائقة، وألَّف الكتب الفائقة، وكان مقيمًا بالقرب من الجامع الأزهر، وكان له خلوة فوق سطحه، وله كتاب القانون؛ في علوم الطائفة، وشرح الحكم، وغيرها، توفي بالقاهرة، ودفن بغرفة الشاذلية بالقرافة. انظر: «الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ٦٢) وما بعدها، و«الكواكب السائرة» (١/ ٢٩)، و«شجرة النور الزكية» (١/ ٣٧١).

خلق الله، وقد رأيتُ سيِّدي محمد بن عِنان [٤٨/ب] يدخل عليه ولدُهُ أبو الصفا(١) فيقـول: مَنْ أنـت؟ فيقول: ولدُك، فيقـول: ما هو ولدُك؟ إيش هـو؟ إيش ولدك؟ وهو غائب عنه كأنَّه لم يعرفه قَطُّ.

ومِـنْ علامـة ذٰلـك أنْ يَـرُدَّ باب خلوتـه عليه، أو يضع رأسـه فـي طَوْقِهِ، أو يصمت مسبلًا عينيه إلىٰ الأرض، فإذا كان الشَّيخ كذٰلك.. فلا ينبغي لأحد خطابه مطلقًا، وكان ﷺ يقول كثيرًا: «لِيْ وَقْتٌ لا يَسَعُنِيْ فِيْهِ غَيْرُ رَبِّي»(٢). فاعلم ذٰلك.

[عدم التأثر من ترك الشيخ مباسطة المُريد]

ومنها: ألَّا يتأثَّر(٣) مِنْ شيخه إذا عَبَسَ(٤) في وجهه ولم يُباسِطْهُ كما يفعل مع غيـره مِنَ المُريدين؛ لأنَّ المُريد مِنْ حيـن يدخل في التربية صار أمرُهُ كلُّه جدًّا؛ لا

(١) لم أعثر علىٰ ترجمة خاصة له، لكن ذكره أصحاب التراجم أثناء ترجمة والده محمد بن عنان. انظر: «الكواكب السائرة» (١/ ٤٠)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ١٦٤).

(٢) لم أعثر عليه بهٰذا اللفظ في شـيء من كتب السـنة، لكن أورده هكذا صاحب «الرسالة القشـيرية» (١/ ١٩٠)، وجاء في «المقاصد الحسنة» (١/ ٥٦٥): حديث «لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لا يَسَـعُ فيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ» يذكره المتصوفة كثيرًا، وهو في «رسالة القشـيري» لكـن بلفظ: «لِيْ وَقْتٌ لَا يَسَـعُنِي فِيْـهِ غَيْرُ رَبِّي»، ويشـبه أنْ يكون معنىٰ ما للترمذي في «الشـمائل» ولابن راهويه في «مسنده» عن علي في حديث طويل: كان إذا أتىٰ منزله جزَّأ دخوله أجزاء: جزءًا لله تعالىٰ، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جزَّء جزأه بينه وبين الناس.

(٣) في (ظ٢): (يتغير).

(٤) في (ظ١): (غضب).

يسع وقتُهُ مباسطَةً ولا مزاحًا ولا لغوًا، ومتىٰ فتح الشَّيخ معه ذٰلك.. تَلِفَ، وهو دليل علىٰ فتور همَّته؛ لأنَّه ما يحتاج إلىٰ مداراة[1] الشَّيخ له بالمُباسطة والإقبال إلا ضعيف القوم، فلا يغتر المُريد بمباسَطَةِ شيخه [٤٩/أ] مع أبناء الدنيا المتردِّدين إليه؛ فإنَّهم لا يدخلون في حكم المُريدين، إنَّما هم معارف له، ومقصودُ الشَّيخ أنْ يؤلِّفهم علىٰ محبَّة الفقراء، ومتىٰ قَطَّبَ في وجوههم.. نفروا وقالوا: لا حاجة لنا بمجلسه؛ لزهدهم في طريق أهل الله عَزَّ وجَلَّ.

وكان سيِّدي أبو العباس المُرْسِيُّ[2] يقول: معرفة أهل الدنيا لمقام الكامل أشدُّ عليهم مِنْ معرفة الله عَزَّ وجَلَّ، ومتىٰ يعرف الإنسان مقام مَنْ يأكل كما يأكل، ويشرب كما يشرب، وينام كما ينام؟! فإنَّ الكُمَّل قد صاروا ليس لهم أعمال تميِّزهم!! إنَّما أعمالُهُم قلبيَّة، وغالب أبناء الدنيا يصحبون الفقير إلىٰ أنْ يموت لا يستفيدون منه خُلُقًا واحدًا، وكذٰلك مَنْ يتجرَّأ علىٰ الشَّيخ مِنَ المُريدين والنقباء والمترددين.

وبالجملة[3]: فأقلُّ ما يُلْتَزَمُ مِنَ الأدب مع الفقراء.. أكثر ما يُلْتَزَمُ مِنَ الأدب

---

(١) في (ن) و(ط): (مداواة).

(٢) شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن عمر المرسي، (٦٨٦هـ)، فقيه متصوف، من أهل الإسكندرية، لأهلها فيه اعتقاد كبير، أصله من مرسية في الأندلس، أخذ عن الإمام أبي الحسن الشاذلي ولازمه، فانتفع به، وصار خليفته من بعده، وأخذ عنه كثيرون، منهم ابن عطاء الله والبوصيري وغيرهما، وتوفي بالإسكندرية، وقبره فيها ظاهر يزار. انظر: «الوافي بالوفيات» (٧/ ١٧٣)، و«الطبقات الكبرىٰ للشعراني» (٢/ ١٢) وما بعدها، و«شجرة النور الزكية» (١/ ٢٦٩).

(٣) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (مطلب: معرفة الأدب المطلوب مع الشيخ).

مع ملوك الدنيا، فمَنْ لم يعرف أدب ملوك الدنيا ويفعله مع الفقراء.. لا يشم مِنْ طريقهم [٤٩/ب] رائحة؛ فإنَّه مأخوذ عليهم العهود ألا يُطْلعوا على أسرار الله أحدًا إلا إنْ بلغ في الأدب معهم الغاية، واتحد بهم اتحادًا كليًّا؛ بحيث لو فَصَدَ الشَّيخ منهم ذراعَه.. لفار الدم مِنْ ذراع التلميذ.

وقد طَلَبَ جماعةٌ مِنْ سيِّدي أبي السعود الجارحي -بعد طول صحبتهم له- أنْ يُطْلِعَهُمْ على سِرٍّ مِنْ أسرار القوم، فأبى، وقال: والله ما آمَنُكُم على خروج ريح صَدَرَ مِنِّي، فكيف أُطْلِعُكُم على أسرار الله عَزَّ وجَلَّ؟! فاعلم ذٰلك.

[امتثال أمر الشيخ في اعتزال بعض المُريدين]

ومنها: أنْ يمتثل أمرَ شيخه إذا نهاه عن عِشْرَةِ أحدٍ مِنْ إخوانه الذين في الزاوية؛ فإنَّ الشَّيخ لولا رأى حصول الفساد بذٰلك.. ما نهى عنه، لا سيَّما وغالبُ صحبة المُريدين مع بعضهم إنَّما هو مِنْ أهوية النفوس؛ للمشاكلة الباطنة بينهم، وليس لمَنْ نهاه شيخُهُ عن صحبة أحد أنْ يقول له مِنْ باب الاعتذار: لولا نهاني شيخي عنك.. كلَّمتُك، يعني بذٰلك أنَّ الذي في القلب مِنَ المحبة لك لم [١/٥٠] يَزُلْ، وإنَّما أنا منافق مع شيخي. فإنَّ ذٰلك ممَّا يورث المقت؛ لأنَّه زَكَّى نفسه وأثبت لنفسه وُدًّا ولشيخه عداوة، وكان الأولى له العكس؛ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧]، وشيخُكَ هو بابك إلى حضرة الله عَزَّ وجَلَّ، وجميع حوائجك في الدارين لا تخرج إلا على يديه، فلماذا تعرَّجُ[١] عنه؟.

(١) في (ط): (تخرج).

واعلم أَنَّه متىٰ ترك الشَّيخ المُريدين يجتمعون مع بعضهم حلقة يتحدثون في أحوال أهل الدنيا.. فقد مكر بهم، ثم لا يفلحون أبدًا، فإنَّهم حينئذٍ كالعامَّة الذين ليس لهم شيخ، فعلىٰ الشَّيخ النصح، وعلىٰ المُريد السماع.

[عدم زيارة المُريد غير شيخه إلا بإذنه]

ومنها: وهو مِنْ أهمِّ الأمور ألا يزور أحدًا مِنَ الأشياخ - الأحياء أو الأموات - إلا بإذن شيخه، ولو كان ذٰلك الشَّيخ صَدِيقًا لشيخه، وكذٰلك لا يزور أحدًا مِنْ جماعة غير شيخه أبدًا، ولا يزيده علىٰ قوله: السلام عليكم؛ وذٰلك لأنَّ المُريد ضيق لا يسع طريقًا أخرىٰ غير طريقه، [٥٠/ب] ومِنْ شأن كلِّ مريد أنْ يمدح شيخه وطريقته فقط، وينقص طريق غيره أو يسكت عنها، فربَّما يتكلمون مع بعضهم في الطريق، فيتجادلون، فيتربَّىٰ بينهم الضغائن، ومنعهم مِنَ الزيارة واجب علىٰ الشَّيخ ما داموا لم يبلغوا مرتبة الرجال، فإذا علم مِنَ المُريد أنَّه بلغ الغاية في الترقِّي، وأشرف علىٰ الأم التي يتفرع منها كل طريق، ورأىٰ الطرق كلها تدور وتجتمع في بحر واحد.. فهناك يباح له زيارة الناس.

قال الشَّيخ محيي الدين ابن العربي[1] ﷺ: وكم قد فَسَدَ مِنَ الزيارة ناسٌ؛

(١) هو الشيخ الأكبر محيي الدين أبو بكر، محمد بن علي بن محمد، الحاتمي الطائي الأندلسي، (٥٦٠-٦٣٨هـ)، المعروف بابن عربي وابن العربي علىٰ حد سواء، من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية بالأندلس، وقام برحلة طويلة، واستقر في دمشق، فتوفي فيها، تضاربت أقوال العلماء فيه، فمنهم من نسب إليه القول بوحدة الوجود، ونفىٰ ذٰلك عنه كثيرون، وقيل إن في كتبه دسًّا عليه، وله مصنفات كثيرة، منها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، ومفاتيح الغيب، والتعريفات، وغيرها.

وذٰلك أنَّ كلَّ شيخ إنَّما يأتي مريدَهُ مِنَ الباب الذي يخالِفُ هواه، فربَّما زار بعضُ المُريدين غيرَ شيخه هو؛ فوجدَهُ قد أمر تلميذه بما كان نهاه عنه شيخه، فتميل نفسه إلىٰ ذٰلك الشَّيخ، فيسقط الشَّيخ الأوَّل الذي هو شيخه مِنْ قلبه، وإذا سقط مِنْ قلبه وصَحِبَهُ بعد ذٰلك ولو نَفَسًا واحدًا.. فقد نافق ونقض [٥١/أ] عهده مع الله تعالىٰ ألا يميل لأحد غير شيخه.

قال الشَّيخ محيي الدين: وقد عايَنَّا هٰذا كثيرًا، ولٰكن إنْ كان الشَّيخ الثاني مُحَقِّقًا.. دلَّ[1] المُريد الذي زاره مِنْ باب مخالفة هواه الذي أمره به شيخه الأوَّل، فيبدو للمُريد ما لم يكن يحتسب، وهناك تميل نفسه ضرورة إلىٰ شيخه الأوَّل، فيسقط هٰذا الثاني مِنْ قلبه، والأوَّل صار لا يقبله؛ لنفاقه وعدم صدقه، فبقي متلوِّنًا لا يجيء منه شيء، فانظر آفة اجتماع المُريد بغير شيخه، ثم إذا طرده شيخه الأوَّل وأخرجه مِنْ صحبته.. فلا بُدَّ أنْ يصير يحطَّ علىٰ شيخه وجماعته عند أبناء الدنيا، ويقول: لو رأينا عندهم خيرًا ما فارقناهم، وما كلُّ ما يُعْلَمُ يُقال، فيُزَكِّي نفسَهُ وينقص شيخَهُ وإخوانَهُ، وذٰلك [٥١/ب] مِنْ علامات استحكام المقت فيه - والعياذ بالله -، ثمَّ إنَّه لا يفلح بعد ذٰلك علىٰ يد شيخ[2] أبدًا، لا سيَّما إنِ اجتمع بعد طرده بمَنْ يكرَهُ الشَّيخَ ويَحُطُّ عليه؛ فإنَّه يصير مِنْ أشقياء الدَّارَين، نسأل الله العافية.

وإيَّاك أيُّها المُريد أنْ تظنَّ أنَّ شيخَكَ إنَّما نهاك عن زيارة غيره حُبًّا للرِّياسة

انظر: «الوافي بالوفيات» (٤/ ١٢٤) وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٤٨) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (٧/ ٣٣٢) وما بعدها.

(١) في (ظ١) و(ظ٢): (ذٰلك)، وهو تصحيف.

(٢) في (ظ١) و(ظ٢): (شيخه).

والصِّيت، وحَسَدًا لأقرانه بكثرة المُريدين؛ كما يتخيل ذٰلك ضعفاء المُريدين ومَنْ لا عِلْمَ له بطريق القوم؛ فإنَّ ذٰلك مِنْ ظَنِّ السوء، وهو نقضٌ للعهد الذي بينك وبين شيخك، فإيَّاك ثم إيَّاك أنْ تقيسَ حالَهُ علىٰ حالك، فتحكم عليه بالمساواة لك، فتخرج إلىٰ بحر الخيانة والقطيعة، واعلم أنَّه لو كان حالُ شيخك مثلَ حالك.. ما كان شيخًا، فافهم.

واعكف علىٰ شيخك وحده وعلىٰ جماعته، ولا تتعدَّاهم إلىٰ غيرهم، وإنْ طردك مِنْ زاويته.. فاقعد علىٰ الباب، فإنْ طردك مِنَ الباب.. فاقعُدْ قُبالَةَ الباب قريبًا منه، فإنْ طردك.. فابعد يسيرًا[1] ولا تفارقه؛ فإنَّك لا تفلح علىٰ يد أحد غيره أبدًا؛ كما جُرِّب، وإذا أراد الله بك خيرًا جمعك بعد طرد شيخك لك علىٰ مَنْ يُحِبُّ شيخَك ويُعَظِّمُهُ؛ فإنَّه يُشَوِّقُك إليه، ويُقَوِّي عزمَكَ علىٰ الرجوع إليه.

وهٰذا آخر ما فتح الله به مِنْ [١/٥٢] آداب المُريد مع شيخه، ومَنْ لم ينتفع بلحظ شيخه.. لا ينتفع برسالة في أوراق، وما احتاج إلىٰ تعليم الأدب مع الشَّيخ إلا أعمىٰ البصر والبصيرة، **والجامع لآداب المُريد مع شيخه: ألَّا يتحرَّك ولا يسكُنَ إلَّا بأمر شيخه**، هٰذا هو جماع أمرِهِ، حتىٰ قال الجُنَيْدُ رضي الله عنه لأصحابه: كلُّ مريد غَسَلَ ثوبَهُ لغير نجاسة، أو سرَّح لحيته أو اكتحل، أو حسَّن شيئًا مِنْ أحواله الظاهرة بغير إذن شيخه.. فهو خائن، لا يجيء منه شيء. والله تعالىٰ أعلم.



(١) في (ظ١) و(ظ٢): (قريبًا).



الباب الرابع
في نُبْذَةٍ مِنْ آداب المُريد مع إخوانه

اعلـم أنَّ المُريد لا يُؤمَرُ بالتخلُّق بأخلاق الرجال؛ لضعفه وتوحيد[1] قصده إلىٰ ربه، إنَّما يؤمـر ببعض الآداب؛ إمساكًا لزج[2] نفوس إخوانـه فقط، فإذا بلغ مبلـغ الرجال.. طولب بالتخلـق بالأخلاق المحمدية؛ إذ الأخلاق إنَّما تُخْلَعُ بعد الوصول إلىٰ حضرة الملك، فافهم.

ولـو أُمِـرَ المُريد بالتخلق بها في سـيره.. لـم يَقْدِرْ، ويجب علـىٰ المُريد أنْ يعاملهـم بمـا يُحِبُّ أنْ [٥٢/ب] يعاملوه به، ويرجو لهم مِنَ الخير ما يرجوه لنفسـه، ويحملهـم في مواطن التُّهم علىٰ ما يحب أنْ يحملوه عليه فيها، ويرجو لهم قبول التوبـة مِـنَ الذنوب -ولو فعلوا مـا فعلوا- كما يرجو لنفسـه[3] إذا وقع فيها، فمَنْ فعل ذٰلك.. فقد وفىٰ إخوانه حقَّهم.

---

(١) في (ظ١): (وتوجيه).

(٢) في (ط): (لرج).

(٣) قولـه: (ويحملهـم في مواطن التُّهم علىٰ مـا يحب أنْ يحملوه عليـه فيها، ويرجو لهم قبـول التوبـة مِـنَ الذنوب -ولـو فعلوا ما فعلـوا- كما يرجو لنفسـه) سـاقط من (ط) و(ظ١).

إذا علمت ذٰلك[1].. فمِنْ آداب المُريد مع إخوانه:

[عدم تَتَبُّع العَوْرات]

ألا ينظر إلىٰ عورة ظهرت، ولا إلىٰ عَثْرَةٍ سبقت؛ فإنَّه مُعَرَّضٌ للوقوع كما وقعوا، ولا يطلعُ علىٰ عورات المسلمين إلا الشياطين، فمَنْ فعل ذٰلك.. قلَّ نفعه حتىٰ مِنْ شيخه؛ فإنَّ شيخه ربما كانت له صبوة قبل دخوله في الطريق؛ كما هو الغالب علىٰ أكابر الرجال، فكان الفُضَيْلُ بن عِياضٍ[2] مِنْ أكبر قُطَّاع الطريق وما شاكل ذٰلك، وكان الشِّبْلِيُّ واليًا بالبصرة، وكانوا وكانوا...

فالواجب علىٰ المُريد: ألا يتعدَّىٰ نظره عن نفسه إلىٰ غيره؛ فإنَّ له في ذٰلك شغلًا.

واعلم أنَّ مِنْ تجسُّسِ المُريد إذا رأىٰ بين اثنين وقفة.. أنْ يبحث عنها حتىٰ يعرفها، وفي الحديث: «مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِ النَّاسِ.. تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ الله

(١) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (مطلب: في آداب المُريد مع إخوانه ألا ينظر لهم إلىٰ عورة، أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم بحرمة سيدنا محمد أنْ يَهَبَني هٰذا الخُلُقَ العظيم).

(٢) هو أبو علي، الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، (١٠٥-١٨٧هـ)، شيخ الحرم المكي، من أكابر العُبَّاد الصُّلحاء، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي، ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، كان أوَّل أمره شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، ثم تاب؛ ولتوبته قصة مشهورة، ثم سكن بعدها مكة، وتوفي بها. انظر: «الوافي بالوفيات» (٢٤/ ٥٩) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (٢/ ٣٩٩) وما بعدها.



عَوْرَتَـهُ.. فَضَحَهُ [٥٣/أ] وَلَـوْ فِيْ جَوْفِ رَحْلِهِ»[1]؛ فمَنْ لم يسْـتُرْ إخوانه في الزاوية في جميع ما يراه منهم مِنَ الأفعال الرَّدِيَّة.. فقد فتح علىٰ نفسه باب كشف عوراته بقدر ما أشاع مِنْ سوآتهم.

وقد بايع سـيِّدي أحمد الزاهد أصحابَهُ علـىٰ هٰذا، وقال: إذا رأيتم أحدًا مِنْ إخوانكم علىٰ معصية.. فاستروه، ولو كان هو متجاهرًا بها[2]، وكونوا أولىٰ به مِنْ نفسـه؛ كما كان ﷺ أولىٰ بالمؤمنين مِنْ أنفسـهم، وإذا لم ترَوا شيئًا وبلَغكُم ذٰلك عنهـم.. فكذِّبوا الناقـل، وإنْ أبىٰ التكذيب.. فأعلِمُوا المنقـول عنه، وأقيموا عليه حـدود الله، ثـمَّ أخرجوه مِنَ الزاوية، فإنَّ كاشـف العورات لا يجـوز أنْ يُقيمَ بين الفقـراء؛ لغلبـة وقوع القضاء والقدر علىٰ الفقراء، وعدم مكان يسـتترون مِنْ بيت وغيره كغيرهـم، لا سيَّما الشبابُ العُزَّاب.

وكان سيِّدي محمد الغَمْري قد قسم الفقراء في جامعه بالمَحَلَّة الكبرىٰ إلىٰ ثلاثة أقسـام، كل قسم وحده، لا يخالط الآخر إلا لضرورة، فكان الكهول [٥٣/ب] في خـلاوي الرباط بمطهرة وحدهـم، والبالغون مِنَ الشـباب ينامون في الجامع كل واحـد وحده، والأطفـال دون البلوغ في مقصورة لا يدخل عليهم غير الفقيه، وكان أحدهم يجيء أبوه أو أخوه مِنَ البلاد ما يقدر يقوم يسـلِّم عليه حتىٰ يستأذن النقيب في ذٰلك، وكانوا إذا كلَّمهم أحدٌ مِنْ إخوانهم كلامًا يغيظ.. لا يردُّون عليه،

---

(١) أخرجـه الترمـذي في «سـننه» رقـم (٢٠٣٢) بنحوه مـن حديث ابن عمـر رضي الله عنهما.

(٢) في (ظ٢): (ما لم يكن متجاهرًا بها).

بل يحفظون ذٰلك إلىٰ يوم التلاق[١]، فإنَّ الشَّيخ قد كان جعل لهم يومًا في بستان تجاه الجامع يتناقشون فيه، فكانوا يغلقون الباب ويَدَّعُون علىٰ بعضهم بحضرة الشَّيخ، فمنهم مَنْ يصفح علىٰ أخيه، ومنهم مَنْ يأخذ حقَّه، وكان الشَّيخ يتكدَّر ممَّنْ لم يصفح عن أخيه، ويقول: كيف تدَّعون الفقر وأحدكم لا يحمل مِنْ أخيه كلمةً واحدةً؟! فكان يأمر كلًّا منهما بالاحتمال، ويقول: إذا رأىٰ أحدكم نار نَفْسِ أخيه هائجةً.. فليحمله، ولا يكلِّمه حتىٰ تخمد نار نفسه، فإنْ شاء.. عاتَبَهُ، [٥٤/أ] وإنْ شاء.. سامَحَهُ.

واعلم أنَّه لا ينبغي لفقير أنْ يمسك علىٰ أخيه كلامًا قاله في حال غيظه، ومَنْ فعل ذٰلك.. كثر أعداؤه وانحطَّت هِمَّتُهُ إلىٰ أسفل سافلين.

وكان سيِّدي أحمد بن الرفاعي[٢] يقول: الفقير إنِ انتصر لنفسه.. تَعِبَ[٣]،

---

(١) في (ظ٢): (الثلاثاء)، وفي (ن): (الثالث).

(٢) هو السيد أبو العباس، أحمد بن علي بن أحمد بن يحيىٰ بن حازم بن علي بن رِفَاعَة الحسيني، (٥١٢-٥٧٨هـ)، الإمام الزاهد الكبير، شيخ الطريقة الرفاعية، ولد في قرية حسن من أعمال واسط بالعراق، وتفقَّه وتأدَّب في واسط، وتصوَّف فانضم إليه خلق كثير من الفقراء، كان لهم به اعتقاد كبير، وكان يسكن قرية أم عبيدة بالبطائح؛ بين واسط والبصرة، وتوفي بها، وقبره فيها ظاهر يزار، له مصنفات، منها: البرهان المؤيد، وحالة أهل الحقيقة مع الله، وغيرها، وأفرده كثير من المصنفين بالترجمة. انظر: «مرآة الجنان» (٣/ ٣١٠) وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٧٨) وما بعدها، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٦/ ٢٣) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (٦/ ٤٢٧) وما بعدها.

(٣) في (ظ٢): (خُذِل).

وإنْ سَلَّمَ الأمر لمولاه.. نَصَرَهُ مِنْ غير أهل ولا عشيرة ولا مال. فاعلم ذٰلك.

[إنفاق المُريد على إخوانه، وإشراكهم في كل ما فتح الله به عليه]

ومنها: أنْ يُنفِقَ علىٰ نفسه وإخوانِهِ كلَّ ما فتح الله به عليه، ولو كان فجلة أو خيارة، ولا يعوِّد نفسَهُ الاختصاص علىٰ إخوانه بشيء؛ فيطلع بالطعام فوق سطوح الزاوية، أو يترقَّب وقت غفلتهم ويأكل، فمَنْ سلك باب الإيثار علىٰ نفسه.. صار رأسًا في الطريق.

وكذٰلك لا يدَّخر قَطُّ نصفًا ولا درهمًا لحاجته المستقبلة؛ فإنَّ الفقير ابنُ وقته، وتنظيف الباطن عليه واجب مِنْ كلِّ شيء مالت إليه النفس، ومتىٰ ترخَّص في الادِّخار.. تربَّىٰ في باطنه الحرصُ والبخل، فيحتاج بعد ذٰلك إلىٰ علاج شديد، وما اتخذ الله مِنْ وليٍّ [٥٤/ب] بخيلٍ قَطُّ.

[الحث على الخيرات والتذكير بها بالحكمة والموعظة الحسنة]

ومنها: أنْ يُنَبِّهَ إخوانه لأوقات الخيرات -كالأسحار وصلاة الجماعة- برفق ورحمة، ويرىٰ أنَّ نومهم أفضلُ مِنْ عبادتِهِ هو؛ لئلا يغتر بحاله ويطلب الرئاسة قبل حينها، فيتأخر إلىٰ وراء؛ لأنَّ كلَّ مَنْ رأىٰ نفسه خيرًا مِنْ أحد أصحابه.. فقد فسق عن طريق القوم، ولُعِنَ كما لعن إبليس بسبب قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال الأشياخ: لا يكون الفقير فقيرًا حتىٰ يرىٰ حقارة نفسه دون كلِّ جليس، فإذا صار كذٰلك.. كان الوجود كلُّه بيده، كما أنَّ الذي يرىٰ نفسه خيرًا مِنْ جليسه.. يصير الوجود كلُّه يلعنه، ومِنْ وصيَّة سيِّدي أحمد بن الرفاعي لأصحابه في مرض

موته: مَنْ تَمَشْيَخَ عليكم.. فتَتَلْمذُوا[1] له، فإنْ مدَّ لكم يده لتُقَبّلوها.. فقبّلوا رِجْلَه، وكونوا دائمًا آخر شعرة في الذَّنَبِ، ولا تكونوا قَطُّ رأسًا؛ فإنَّ الضربة أول ما تقع في الرأس. قال [٥٥/أ] يعقوب[2] خادمه: ونظر سيِّدي أحمد إلىٰ نخلة في داره وقال: أي يعقوب، انظر إلىٰ هٰذه النخلة؛ لمَّا قامت بصدرها.. جعل الله تعالىٰ ثقل حملها عليها، ولو حملت مهما حملت.. لا يساعدها أحد، وانظر إلىٰ شجرة اليقطين؛ لمَّا وضعت خدَّها علىٰ الأرض.. جعل الله ثقل حملها علىٰ غيرها، ولو حملت مهما حملت.. لا تحسُّ بثقله. فتأمَّل واعتبر.

[كظم الغيظ، وعدم الثلب]

ومنها: أنْ يذكرَ أخاهُ بخيرٍ أيامَ غيظه عليه كلَّما ذكر اسمه؛ حتىٰ لا يفطن أحدٌ لغيظه منه، وليحذر أنْ يجرح عرضه بشيء؛ كما يفعله الفسقة مع بعضهم بعضًا، ثم بعد ذٰلك يصطلحوا، فإذا تذكروا ما فعلوه مع بعضهم بعضًا.. كدَّر ذٰلك عليهم وقتهم، لا سيَّما غيظ الفقراء القاطنين في مكان واحد؛ فإنَّ ذٰلك مِنْ أقبح

---

(١) في (ط): (فتذللوا).

(٢) هو يَعْقُوب بن كراز العبيدوي الواسطي، (المتوفىٰ سنة ٥٨٣ هـ)، كان من أصحاب الشيخ منصور البطائحي، وبعد وفاته صحب السيد أحمد الرفاعي الكبير، وتفقه بأبي بكر الواسطي، كان من أهل العزائم وترك الرخص، وكان السيد الرفاعي يُجِلُّهُ ويعظمه، وروىٰ الكثير من أخبار السيد أحمد الرفاعي، وكتب الطبقات مشحونة برواياته، توفي بأم عبيدة بالعراق، ودفن فيها. انظر: «عقود اللآل في تراجم السادة الأحمدية أهل الكمال» (خ ١٨٥)، كما ذكره السبكي في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٦/ ٢٤) أثناء ترجمة السيد أحمد الرفاعي، وقال فيه: وهو من أخصِّ أصحاب الشَّيْخ أحمد.

ما يكون، فإنَّهم لا يستغنون عن بعضهم، فالسياسة واجبة وإنْ كانت شديدة؛ فمُقاساةُ العبد لِمَا يقع مِنَ الجفاء إذا لم يَسُسْ أشدُّ وأشدُّ، فاعلم ذٰلك [٥٥/ب].

[تقديم خدمة الإخوان على نوافل الطاعات]

ومنها: أنْ يقدِّم خدمة إخوانه علىٰ جميع طاعاته مِنَ النوافل القوليَّة والفعليَّة، إلا أنْ ينهاه شيخه عن ذٰلك، ويرىٰ جميع إخوانه ساداتٍ وهو عبد، فبذٰلك يُقدِّمه الله عليهم؛ لفضله عليهم وخدمته لهم، وقالوا: مَنْ خَدَمَ خُدِمَ. وقالوا: لا تصلح الطريق إلَّا لأقوام كنسوا بأرواحهم المزابل.

وليَحْذَرْ - إذا خدمهم - أنْ يرىٰ له فضلًا عليهم، لا سيَّما[1] إذا سافر في مصالحهم في المطر ونحو ذٰلك؛ فيقع في كفة[2] النقصان، بل يَخْدِمُ ولا يرىٰ أنَّه قام بواجبهم.

وقد كان سيِّدي الشَّيخ إبراهيم الشاذلي[3] خادمًا لفقراء سيِّدي أبي

---

(١) قوله: (لا سيما) مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ.

(٢) قوله: (كفة) مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ.

(٣) هو إبراهيم الشاذلي المصري، (المتوفىٰ سنة ٩١٤هـ)، الشيخ العارف بالله تعالىٰ، كان من أهل السعة والكرم، ولم يطلب الطريق حتىٰ لحقه المشيب، فجاء إلىٰ السيد محمد المغربي الشَّاذلي وطلب منه التربية، فتتلمذ علىٰ يديه إلىٰ أن توفي، ثم اجتمع بالسيد أبي المواهب، ولم يزل عنده يخدم إلىٰ أن استخلفه قبل أن توافيه المنية، ولذٰلك اشتهر بالمواهبي، وكان له ديوان شعر وموشحات، وشرح علىٰ حكم ابن عطاء الله. انظر: «الكواكب السائرة» (١/ ١١٠) وما بعدها، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٩٠).

المواهب رضي الله عنه، ولم يزل مشغولًا بخدمة فرس الشَّيخ وحمارته في الإصطبل، ويقضي حوائج البيت، ولم يكن يحضر حزب الشَّيخ مع الفقراء، ولا مجالس وَعْظِهِ ولا تسليكِهِ، فلمَّا حضرت الشَّيخَ الوفاةُ.. تطاولت أعناق الفقراء الذين كانوا ملازمين للشيخ في الظاهر للإذن لهم بالجلوس بعده، فقال [٥٦/أ] الشَّيخ: أين إبراهيم؟ فقالوا: في الإصطبل، فقال: ادعوه ليجلس على السجادة، فجاء وجلس، وقال له الشَّيخ: تكلَّم علىٰ إخوانك في حياتي، فتكلَّم لهم في الطريق والحقائق كلامًا أدهش عقولهم، وقال الشَّيخ: نحن لا نُوَلِّي أحدًا قَطُّ رئاسةً ونفسُهُ مائلةٌ إليها، انتهىٰ.

واعلم[١] يا أخي أنَّ طرق الرئاسة على الناس ثلاثة: الصلاح، والإحسان، والسَّيف، فمَنْ طلبها مِنْ غير هٰذه الطرق.. أخطأ، ولا ينتظم له أمر، فاعلم ذٰلك.

[خدمة مرافق الزاوية أو المسجد]

ومنها: المبادرة لتنظيف ما في المُسْتَراح مِنَ القَذَرِ، وليكن ذٰلك في أوقات لا يراه فيها أحد منهم؛ كالأسحار، وبعد العصر، ونحو ذٰلك مِنْ أوقات الغفلات، ثم لا يُحَدِّثُ بما يرىٰ مِنَ العَذِرَات المائعة ونحو ذٰلك، وإذا رأىٰ أجران المَطْهَرَة[٢] ناقصة.. فليملأها مِنَ البئر؛ فإنَّ السُّنَّة للعبد أنْ يتولَّىٰ ماء طهارته بنفسه، فيكون

(١) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (مطلب معرفة طرق الرئاسة الثلاثة، وهو نفيس جدًا).

(٢) المِطْهَرَةُ والمَطْهَرَةُ: الإداوَةُ، والفَتْحُ أعلىٰ، وهي: بَيْتٌ يُتَطَهَّر فيهِ؛ يَشْمَل الوُضُوءَ والغُسْلَ والاسْتِنْجاءَ. «تاج العروس» مادة (ط هـ ر).

مساعدته في ملأ الفَسْقِيَّة(١) كأنَّه قد ملأ أواني وضوئه بنفسه، وإنْ ملأ أكثر مِنَ الذي يتطهَّر به كلَّ يوم.. فليُسْقِطِ المِنَّة عن المتوضِّئين، وأجرُهُ على الله تعالىٰ [٥٦/ب].

[اتخاذ الأدوات الشخصية المُعِينَة على الإتيان بمندوبات الشريعة]

ومنها: أنْ يتَّخذ عنده المُوْسَىٰ والسِّكِّينَ والمِقَصَّ، والإبْرَةَ والمُشْطَ، والخِلالَ والسِّواكَ، والقَطِيفَةَ؛ لمسح الأعضاء، والسَّجَّادة للصلاة عليها حيث أدركته الصلاة، وربَّما يكون عليه قميص واحد والأرض متنجِّسة؛ ولو كان معه سجَّادة لَفَرَشها وصلىٰ.

[الاعتذار على ما يبدر من تقصير، وقبول الاعتذار]

ومنها: أنْ يكون استغفار أحدِهم إذا وقع في حقِّ صاحبه بكشفِ الرَّأس والوقوف في صف النعال، واضعًا يده اليمنىٰ على اليسرىٰ، نادمًا على ما وقع منه في حقِّ أخيه أو غيره، فإنْ لم يقبل أخوه استغفارَهُ.. لا يقعد، بل يبقىٰ قائمًا إلىٰ أنْ يرحموه، ويجب عليه أنْ يرجع هو علىٰ نفسه باللَّوم، ويقول لهم: أنا الظالم يا أخي.

فإنْ طال الوقوف بحيث خرج عن العُرف.. وَجَبَ علىٰ أخيه قبولُ اعتذاره، ويرجع الآخر كذٰلك باللَّوم علىٰ نفسه، ويقول: يعتذر لك أخوك هٰذا الاعتذار كله، ثم لا تقبله!! فإذا فعل ذٰلك.. وقع الصلح.

---

(١) الفَسْقِيَّةُ ـ بالفتح ـ: المُتَوَضَّأُ، والجَمْعُ: الفَساقِيُّ. «تاج العروس» مادة (ف س ق).

[دوام الطهارة، والفراق بالجميل]

ومنها: أنَّ مِنْ شأنِهم أنْ يفارقوا [٥٧/أ] كلَّ شيء بالجميل والسياسة؛ حتىٰ يفارقهم وهو عنهم راض، وكذٰلك كانوا لا يحلقون شعرًا ولا يقصون ظفرًا، ولا يخلعون قميصًا ولا يلبسونه.. إلا علىٰ الطهارة؛ لأنَّهم يريدون ألَّا يفارقهم شيءٌ إلَّا ويتركهم طاهرين، وفي خبر الملائكة الحَفَظَةِ: «أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١)، يعنون في صلاة الصبح والعصر، ولهٰذا الأمر سِرٌّ عجيب يجده صاحبه في نفسه.

[مراعاة استقبال القبلة حتى للجمادات]

ومِنْ آدابهم: وضع الأشياء كلِّها إلىٰ القِبْلَةِ؛ مِنَ الأباريق والكِيزان ونحوها؛ فإنَّ ذٰلك مِنَ الأدلة علىٰ استقبالهم بقلوبهم إلىٰ الله تعالىٰ، فإنْ كان الإناء لا وجه له؛ كالمُدَوَّر.. عَيَّنَ له وجهًا بالنيَّة، ووجَّهَهُ تجاه القبلة.

[التزام آداب السفر]

ومِنْ آدابهم: إذا سافروا أنْ يشدُّوا أوساطهم، ثم يودِّعوا إخوانهم بالعِنَاقِ إنْ كانوا رجالًا، وبالإشارة إنْ كانوا أطفالًا، ثمَّ يسلِّمون عليهم ويمشون القهقرىٰ غير مُوَلِّين وجوهَهُم عنهم حتىٰ يغيبوا عنهم بجدار أو يبعدوا جدًا، فإذا وَصَلَ أحدهم إلىٰ مقصده.. [٥٧/ب] فلا يبادر بالاغتسال مِنْ غبار السفر، ولكن يصبر لليوم الثالث أو الرابع، وفي ذٰلك سِرٌّ يذوقونه.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٥٣٠) مطولاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[التزام آداب الطعام مع الجماعة]

ومِنْ آدابهم في الأكل: أنَّهم يجتمعون علىٰ السُّفرة؛ كبيرهم وصغيرهم، ثم يوضع بين يدي كل واحد منهم نصيبهُ مِنَ الطعام، وقد يشتركون في الخبز دون الإدام، وعكسه، وكان السلف الصالح يجتمعون في الخبز والمرقة جميعًا، ويأكلون علىٰ وجه الإيثار، فلمَّا غلب الحرص والشَّره.. قسَّموا الطعام؛ دفعًا للظلم.

وليَحْذَرْ واحدٌ مِنَ الفقراء أنْ يمتنع مِنَ الأكل مع إخوانه تكبُّرًا عليهم؛ كما يقع فيه غالب الفقراء الذين يخالطون أبناء الدنيا ويتزيَّنون لهم، ويتَّخذونهم معارفًا، فيأنفون أنْ يراهم أحدٌ وهم يأكلون مع الفقراء مِنْ إخوانهم؛ خوفًا أنْ يُزْدَروا في أعين أبناء الدنيا، فكلُّ مريد فعل ذٰلك.. فقد فتح علىٰ نفسه أبوابًا مِنَ النِّفاق والكِبْرِ يُعْجِزُ شيخه فيها، بل ينبغي أنْ يكون المُريد أفرحَ ما يكون بنفسه إذا رآها في [٥٨/أ] مواطن الذُّلِّ والحقارة عند الخلق، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [البقرة:٢١٣].

وليحذر أنْ يَعَضَّ الفقيرُ لُقْمَةً أو لحمةً أو قُلْقَاسَةً ثمَّ يردَّها إلىٰ القَصْعَةِ، سواء أكان لحرارتها أو لكبرها، فليُصَغِّرْها وليُبَرِّدْها، ولا ينظرْ قَطُّ وقت الأكل لغيره، ويقول الخادم في أول الأكل: الصلاة، الصلاة[1]. وإنْ كان شيخ القوم حاضرًا..

---

(١) قال الشعراني ﷺ في «الأنوار القدسية» (٢/ ١٧٥): (وإذا وضع الخادم السماط وأراد أنهم يأكلون.. قال بأعلىٰ صوته: الصلاة، الصلاة، ولهم في ذٰلك حديث يستندون إليه، وهو قوله ﷺ: «وإماطتك الأذىٰ عن الطريق صلاة، وإعانتك أخاك علىٰ دابته ليركبها صلاة...» إلىٰ أن قال: «وكل معروف صلاة»، والأكل من المعروف؛ لأنه

قال هو ذٰلك[1]، ولا يكثر الحديث على الأكل، وليحفظ مكانه، ولا ينتقل إلا بإذن الخادم؛ لمصلحة، ولا ينبغي لجماعة أنْ يخصُّوا أنفسهم بطعام أجود مِنْ طعام السُّفرة والفقراء ينظرون؛ فإنَّ ذٰلك فتحٌ لباب تفرقة قلوب الفقراء، وإذا احتاج إلى شرب الماء في وسط الأكل.. جاز، ويأخذ عروة الكوز في الخنصر والبنصر، ولا يأخذها بالأصابع التي يأكل بها، وإذا شرب لا يدير وجهه إلى غير القوم -كما يفعله العوام- بقصد الاحترام، قاله الشَّيخ نجم الدين الكبرىٰ[2].

ولا يؤثر على أخيه في السُّفرة ظاهرًا، ولا يؤثر على مَنْ هو فوقه، ويؤثر على مَنْ هو دونه مِنْ غير أنْ يرىٰ ذٰلك الفقير دونه[3]، ولا يواجه أخاه بالإيثار، بل

في الأصل إمَّا واجب أو مندوب، فافهم). انتهىٰ كلام الشعراني. هٰذا، والحديث المذكور أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» رقم (١٤٩٧) بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) كذا في نسخة (س)، وفي بقية النسخ: (قاله).

(٢) قوله: (قاله الشيخ نجم الدين الكبرىٰ) مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ، هٰذا، والشيخ المذكور هو نَجْمُ الكُبَراء، المشتهر بنجم الدين الكُبْـرَىٰ، أحمد بن عمر بن محمد، أبو الجنَّاب الخِيوقي الخوارزمي (المتوفىٰ سنة ٦١٨هـ)، شيخ خوارزم في عصره، من علماء الصوفية، طاف البلاد وسمع بها الحديث، كان ملجأ للغرباء، عظيم الجاه، لا يخاف في الله لومة لائم، واختلف في تسمية الشيخ نجم الدين الكبرىٰ، فقال بعضهم: هو الكبرىٰ مقصور، وقال آخرون هو ممدود مفتوح الموحَّدَة؛ أي هو نجم الكُبَرَاءِ؛ جمع تكسير الكبير، قالوا والصحيح هو الأول، له تصانيف عدة جلها في السلوك والتصوف، انظر: «مرآة الجنان» (٤/ ٣٣) و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ١١١) و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢/ ٥١).

(٣) كذا في كل الأصول، لكن عبارته في «الأنوار القدسية» (٢/ ١٧٦): وكذٰلك لا ينبغي

يُنَحِّي الطعام لجهته قليلًا قليلًا؛ فإنْ كان [٥٨/ب] الآخر محتاجًا إليه.. مدَّ يده إليه، وجَرَّه إلىٰ نفسه، وإنْ لم يكن محتاجًا.. تَرَكَهُ، وإذا قال الخادم: الصلاة، وهناك فقير لا يريد الأكل.. فليقعُدْ معهم علىٰ السُّفرة؛ موافَقَةً لهم، ولو لم يأكل، وإذا قال: اشكروا الله.. يقومون.

ولا يقرأ أحدٌ القرآن، ولا يؤذِّن ولا يصلِّي.. حتىٰ يفرغ الفقراء مِنْ غسل أيديهم، وإذا فرغ الغاسل ليديه.. دعا لمَنْ يصبُّ علىٰ يديه بقوله: طَهَّرَكَ الله مِنَ الذنوب، ونحوه، وليجتهد ألا يقع الصابون مِنْ يده في الطست، فإن وقع.. أخذه[1]، واختلفوا في أخذ الصابون أو الأُشنان مِنْ صاحب الدستور: هل يأخذه منه باليمنىٰ؟ أو اليسرىٰ؟ ولكل وجه، كذٰلك في الاستنثار لِمَا في الأنف مِنَ المخاط، وكذٰلك اختلفوا في كنس الحُصُرِ والبُسُطِ بعد الطعام، فمنهم مَنْ قال: يكنس باليسرىٰ، واليمنىٰ لرفع الفتات الذي علىٰ الأرض، ومنهم مَنْ قال: يكنس باليمنىٰ؛ لجريان العادة به.

[آدابهم في السماع]

ومِنْ آدابهم في السَّماع: أنْ [٥٩/أ] يكون القوَّالُ شيخَهُم؛ فإنَّه أعلَمُ ببواطنهم،

له أن يؤثر أحدًا ظاهرًا، ولا من هو فوقه في الدرجة؛ من شيخ أو أمير أو عالم، وإنما يؤثر علىٰ من هو دونه في العادة الظاهرة للناس، وإلا فمعلوم أنه لا يجوز له أن يرىٰ نفسه علىٰ أحد إلا علىٰ وجه الشكر، وإلا فقد يكون من يراه الناس دونه أعظم من الحاضرين كلهم عند الله تعالىٰ... إلخ.

(١) عبارة «الأنوار القدسية» (٢/ ١٧٧): (فلإن وقع منه.. فليصب عليه ماء طيبًا ثم ليستعمله... إلخ).

وأقدَرُ علىٰ تحريك ضمائرهم، فإنْ لم يكن.. فواحد منهم[1]، فإنْ لم يكن.. فواحد موصوف بالصلاح، فإنْ سقطت عِمامَةُ الشَّيخ عن رأسه أو وضعها اختيارًا لثقلها ونحو ذلك.. وافقوه في الحال، ووضعوا عمائمهم، فإنْ رمىٰ عمامته إلىٰ القوَّال أو رداءه.. فلَهُم أنْ يوافِقُوه إنْ كانوا صادقين، وليحذَرْ مِنْ رمي خِرْقَتِهِ والشَّيخ حاضر؛ فإنَّه ترك للأدب.

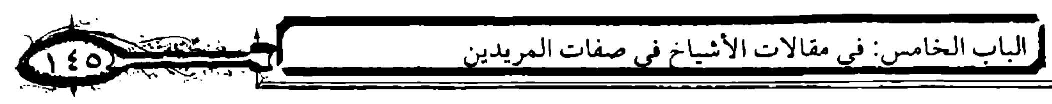
ولا يشرب حال الذِّكر ولا حال السماع إلا إنْ غَلَبَهُ العطش لشدَّة الوجد؛ بحيث لو لم يشرب.. لتَقَطَّعَ كبده، وعلامة ذلك أنْ يشرب الماء الكثير الخارج عن العادة فيصير عرقًا.

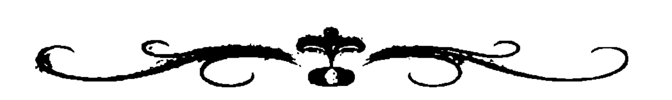
وإذا وقع مِنْ أحد الفقراء أو غيرهم خِرْقَةٌ أو عِمامة في حال السماع.. رفعها الخادم مِنْ مواقع الأقدام إكرامًا لها، فإنْ كانت عمامة الشَّيخ.. رفعها الخادم أو مَنْ يكون مُقَرَّبًا عند الشَّيخ، ويصير قائمًا بها إلىٰ أنْ يجلس الشَّيخ فيضعها علىٰ رأسه، فإذا جلس الفقراء.. وُضِعَتِ الخرق والعمائم كلُّها عند أكبرهم، فيحكم فيها بما يريد: مِنْ إعطائها [٥٩/ب] لأصحابها، أو للقوَّال، وليس للقوَّال أنْ يطلب مِنَ الفقراء شيئًا لم تَطِبْ به نفوسهم.

والآداب كثيرة، وفي هذا القدر كفاية، والله أعلم.



(١) قوله: (فإنْ لم يكن.. فواحد منهم) مثبت من (ظ٢)، وساقط من بقية النسخ.





الباب الخامس

في مقالات الأشياخ في صفات المُريدين الصادقين مُفَرَّقًا على جميع أحوالهم ومقاماتهم ومجاهداتهم

التقطنا ذٰلك مِنْ متفرِّقات كلامهم في رسالة القُشَيْرِيِّ(١) وغيرِها، ذكرناه تأييدًا لِمَا قدَّمناه مِنْ صفاتهم، وبالله التوفيق.

إذا علمت ذٰلك.. فأقول - وبالله التوفيق -: كان داود الطائيُّ يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق مِنَ الفقهاء: ألَّا يُزاحِمَ في فهم ولا جدال، بل يحضر مجالس العلماء، ويوهِمُهُم أنَّه لا يعرف شيئًا ممَّا يقولونه، وذٰلك واجبٌ عليه حتىٰ يبلغ مبلغ الرجال، ويؤذن له في الكلام. وكان يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: ألا يمشي خطوة في هوىٰ نفسه؛ حياءً مِنْ ربِّه عَزَّ وجَلَّ.

---

(١) هو زين الإسلام أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، (٣٧٦-٤٦٥هـ)، شيخ خراسان وأحد أئمة المسلمين في عصره زُهدًا وعِلمًا بالدين، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها، وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه، أخذ عن أكابر أهل عصره من كل فن، ووعظ ودرَّس وتخرج علىٰ يديه كثيرون، من كتبه: لطائف الإشارات في التفسير، و«الرسالة القشيرية»، وغيرها. انظر: «الوافي بالوفيات» (١٩/ ٢٣)، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٥/ ١٥٣) وما بعدها، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١/ ٢٥٥).

وكان أبو يزيد[١] يقول: شرط المُريد الصادق: أنْ تذهبَ عنه شهوة النِّساء حتىٰ لا يبالي؛ استقبلته امرأة أو حائط.

وكان أبو يزيد يقول: مِنْ شرط المُريد الصادق: ألَّا يُخِلَّ [١/٦٠] بأدبٍ مِنْ آداب الشريعة إلَّا سهوًا، لا كسلًا.

وكان يوسف بن الحسين[٢] يقول: آفة المُريد في ثلاث: صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، ومرافقة النسوان، وكلُّ مريد اشتغل بالرُّخص.. فهو كاذب في إرادته.

أقول: و(الأحداث) هنا هم قريبي العهد بالدخول في الطريق، وليس المراد بهم الشباب؛ كما يتبادر إلىٰ الأذهان، هٰذا مراد القوم؛ لتنزُّهِهِم عن القبائح، وقال بعضهم: المراد بهم: الشباب المستحسنة وجوههم، وهو قريب أيضًا؛ لأنَّ كلَّ ما مالت إليه النفس يقطع المُريد عن السَّير، لكن لا يختص هٰذا بالصُّور المُسْتَحسَنة، بل يكون في كلِّها، ومحلُّ ذٰلك ألَّا تشبع العين مِنْ ذٰلك المُستحسَنِ مِنْ أوَّل مرَّة، بل تنازع صاحبها في النظر إليه مرَّة أخرىٰ[٣].

---

(١) يعني البِسْطامِيَّ، وقد سبقت ترجمته.

(٢) هو أبو يعقوب، يوسف بن الحسين الرَّازي، (المتوفىٰ سنة ٣٠٤هـ)، شيخ الري والجبال في وقته، وكان نسيج وحده في إسقاط التصنع، وكان عالمًا أديبًا، صحب ذا النون المصري، وأبا تراب النَّخْشَبِيَّ، ورافق أبا سعيد الخَرَّاز، وأخذ عنهم وعن الإمام أحمد بن حنبل، وله كلمات سائرة وحكم باهرة. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٩٥)، و«الوافي بالوفيات» (٢٩/ ٨٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٤٨) وما بعدها.

(٣) من قوله: (أقول: والأحداث هنا...) إلىٰ هنا مثبت من (ن) و(س)، وساقط من بقية النسخ.

وكان أبو حفص الحداد[1] يقول: علامة المُريد الكاذب: أنْ يُحِبَّ السماع، ثم إذا استمع فهو كالشجرة التي انتهى ثمرها، يقع كله بالهَزِّ[2].

وكان أبو تُرَابٍ[3] يقول: إذا رأيتم مَنْ يدَّعي الصدق في الإرادة يطلُبُ الأكل بعد جوعه ثلاثة أيَّام.. فهو كاذب، لا يجيء منه شيء.

وكان حَمْدون القصار[4] يقول: مِنْ علامة المُريد: أنْ يدخل على شيخه كأنَّه داخل على سلطان جائر يخاف سطوته.

---

(١) هو أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد (المتوفى سنة ٢٦٥هـ) شيخ خراسان، أصله مِنْ قرية يقال لها: كورداباذ؛ على باب مدينة نيسابور، كان كبير الشأن، صاحب أحوال وكرامات وسمو في المقامات، وكان عجبًا في الجود والسماحة، وله كلمات وحكم سائرة. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٧٠)، و«مرآة الجنان» (٢/ ١٣٢)، و«طبقات الأولياء» (٢٤٨) وما بعدها.

(٢) في (ظ١) و(ظ٢): (لا لهز).

(٣) هو أبو تُرَاب، عَسْكَر بن حُصَيْن -ويُقال: عَسْكَر بن محمد بن حُصَيْن- النَّخْشَبِيُّ، (المتوفى سنة ٢٤٥هـ)، صحب أبا حَاتِم العطار البصري، وحاتمًا الأَصَمَّ البَلْخِي، وهو من أجِلَّة مشايخ خُراسان المذكورين بالعلم والفتوَّة والتوكل والزهد والورع، وتوفي بالبادية، له كلمات مليئة بالحكمة. انظر: «طبقات الصوفية» (١٢٤) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٧٠)، و«طبقات الأولياء» (٣٥٥) وما بعدها.

(٤) هو أبو صالح، حمدون بن أحمد بن عمارة القَصَّار النيسابوري، (المتوفى سنة ٢٧١هـ)، شيخ أهل الملامة بنيسابور، ومنه انتشر مذهب الملامة، صحب سلم بن الحسن الباروسي، وأبا تراب النَخْشَبِي، وعليًّا النصراباذي، وكان عالمًا فقيهًا يذهب مذهب الثوري، وطريقته طريقة اختص هو بها، توفي بنيسابور، ودفن في مقبرة

وكان الجُنَيْدُ يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: ترك القيل والقال، وترك الدنيا وقطع مألوفاتها؛ حتىٰ لا يصير له شهوة لشيء منها.

وكان أبو عثمان الحِيرِيُّ(١) يقول: مِنْ أدب المُريد الصادق: إذا طرده شيخه عن مجلسه.. ألا تنقص [٦٠/ب] حرمته عنده، قال: ولقد طردني شيخي مرَّة وأنا شابٌّ، فقمت ولم أُوَلِّه ظهري، وانصرفت إلىٰ ورائي ووجهي إلىٰ وجهه حتىٰ غِبْتُ عنه، ثمَّ جعلت علىٰ نفسي أنِّي أحفر علىٰ بابه حفرة لا أخرج منها إلَّا بأمره، فلمَّا رآني كذٰلك.. أدناني وجعلني مِنْ أخِصَّائه. وكان يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: ألَّا يخرج عن السُّنَّةِ حال سماعه وتواجُدِه، فمَنْ مَزَّق له قميصًا في حال سماعه وتواجده.. فهو كاذب منافق مراءٍ(٢).

الحيرة. انظر: «طبقات الصوفية» (١٠٩) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٧٦)، و«طبقات الأولياء» (٣٥٩) وما بعدها.

(١) في (ن): (الحريري)، وفي (ظ١) و(ظ٢): (الجيري)، وفي (س): (الجيزي)، وكله تصحيف، والمثبت ما في (ط)، وهو ما في كتب التراجم، هٰذا، والمترجم له هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري، (المتوفىٰ سنة ٢٩٨هـ)، أصله مِنَ الري، ثم أقام بنيسابور، صحب شاه الكرماني، وأقام عند أبي حفص الحداد، وتخرج به، وصاهره بابنته، وكان يقال: في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم: أبو عثمان الحيري بنيسابور، والجنيد ببغداد، وأبو عبد الله بن جلاء بالشام. انظر: «طبقات الصوفية» (١٤٠)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٨١) وما بعدها، و«طبقات الأولياء» (٢٣٩).

(٢) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١) بقوله: (فائدة: لرؤية النبي ﷺ تقول عند النوم: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) خمسًا، (بسم الله الرحمن الرحيم) خمسًا، ثم قل: (اللّٰهُمَّ بحقِّ محمَّدٍ أرني وجه محمَّد حالًا أو مآلًا)، فإذا قلت ذٰلك.. فإنَّه ﷺ يأتيك، ولا يتخلَّف عنك أصلًا).

وكان أبو الحسين النُّورِيُّ[١] يقول: ليس للمُريد لبس المُرَقَّعات حتىٰ تتهذَّب أخلاقه، فإنْ بادر إليها[٢] قبل تهذيب أخلاقه.. فهو كاذب.

وكان ابن الجَلَّاء[٣] يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: ألا يسامحه الحقُّ تعالىٰ في هفوة. قال: وكنت مرَّة أمشي مع أستاذي، فرأيت حدثًا جميلًا، فقلت: يا أستاذي؛ ترىٰ يعذب الله هٰذه الصورة؟! فقال لي: أَوَنَظَرْتَ إليه؟! سترىٰ غِبَّه بعد حين. فنسيت القرآن بعد عشرين سنة.

وكان رُوَيْمٌ يقول: مِنْ علامة المُريد الصَّادق: أنَّه لو توقَّف عليه خُلُقٌ مِنْ أخلاق القوم [١/٦١] فبَذَلَ روحه فيه.. لم يَرَ أنَّه بَذَلَ شيئًا في نظير ما يؤمِّلُ مِنَ الله

(١) أبو الحسين أحمد بن محمد النُّوْرِيُّ، (المتوفىٰ سنة ٢٩٥هـ)، بغدادي المولد والمنشأ، بغوي الأصل، شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق، صحب السَّرِيَّ السَّقَطِي وابن أبي الحواري، وكان من أقران الجنيد ﷺ، وكان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان، له كلام حسن وحكم بليغة، منها قوله: أعز الأشياء في زمننا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٨٣) و«حلية الأولياء» (١٠/ ٢٤٩) و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٧٠).

(٢) من هٰذا الموضع وحتىٰ نهاية الكتاب ساقط من (ط).

(٣) هو أبو عبد الله ابن الجلاء، أحمد بن يحيىٰ -وقيل: محمد بن يحيىٰ-، (المتوفىٰ سنة ٣٠٦هـ)، شيخ الشام، أصله بغدادي، أقام بالرملة ودمشق، صحب والده يحيىٰ، وأبا تراب النَخْشَبِي، وذا النون المصري، وحكىٰ عنه، وله كلمات تفيض بالحكمة، منها قوله: لا تضيِّعنَّ حقَّ أخيك اتكالًا علىٰ ما بينك وبينه مِنَ المودَّة والصداقة؛ فإنَّ الله تعالىٰ فرض لكلِّ مؤمن حقوقًا لا يضيِّعها إلَّا مَنْ لم يراعِ حقوقَ الله عليه. انظر: «طبقات الصوفية» (١٤٤) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٨٤)، و«الوافي بالوفيات» (٨/ ١٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٥١) وما بعدها.

عَزَّ وجَلَّ، فمَنْ أمكنه الدُّخول ببَذْلِ الروح، وإلَّا فلا يتحرَّش بالطريق ولا بأهلها؛ فإنَّ الصوفية قعدوا على الحقائق، وغيرهم قعد على الرسوم، وطالَبَ القوم أنفسهم بحقائق الورع، وطالَبَ غيرُهم أنفسهم بظواهر الشرع، فمَنْ خالط القوم وجالسهم وخالفهم فيما يتحقَّقون به.. نزع الله نور الإيمان مِنْ قلبه. والعياذ بالله تعالىٰ.

وكان أبو عبد الله البَلْخِيُّ[1] يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: أنَّه كلَّ قليلٍ يتقلَّل مِنْ أمور الدنيا حتىٰ لا يبقىٰ له علاقة، ومِنْ علامة المُريد الكاذب وإدباره: أنَّه كلَّ قليلٍ يزيد في لباسه وفي أمتعته حتىٰ تكون علائقه أكثر ممَّا دخل به.

وكان أبو بكر الوَرَّاق[2] يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: ألا يفارق شيخَهُ

---

(١) كذا في (س)، وأما بقية النسخ فهي: (أبو عبيد البَلْخِي)، وهو تحريف، هذا، والمترجم له هو أبو عبد الله وأبو العباس، محمد بن الفضل بن العباس بن حفص البَلْخِي، (المتوفىٰ سنة ٣١٩هـ)، صوفي شهير، من أجلَّة مشايخ خراسان، أخرج من بلخ، فدخل سمرقند، ومات فيها، من كلامه: ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعطية في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، وألا يعرف صديقه من عدوه. انظر: «طبقات الصوفية» (١٧١) وما بعدها، و«الوافي بالوفيات» (٤/ ٢٢٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥٢٤).

(٢) هو أبو بكر محمد بن عمر الورَّاقُ الحكيم، (المتوفىٰ سنة ٢٤٠هـ)، أصله من تِرْمِذَ، وأقام ببَلْخٍ، وصحب أحمد بن خضرويه وغيره، وله تصانيف في الرياضات، من كلامه: من أرضىٰ الجوارح بالشهوات.. غرس في قلبه شجر الندامات. انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٩٧) و«حلية الأولياء» (١٠/ ٢٣٥) و«طبقات الأولياء» (٣٧٤).

مِنْ حين يدخل معه في العهد، ولا يسافر إلَّا إنْ صحَّت له الإرادة، فإذا صحت الإرادة.. فهناك أوائل البركة، وعلامة صدقه: عِلْمُهُ بأنَّ صنَّارة الشَّيخ تكلَّبت فيه، [٦١/ب] وإذا تكلَّبت فيه.. فلا بَرَاحَ.

وكان ابن مَسْرُوقٍ[1] يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: ألا يرىٰ علىٰ وجه الأرض أحدًا أحبَّ إليه مِنْ شيخه، فإذا قدَّم عليه زوجةً أو ولدًا.. لم يشمَّ مِنَ الطريق رائحة، وهو كاذب، وفي الحديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[2]، فهي للأشياخ بحكم الإرث.

وكان الواسِطِيُّ[3] يقول: إذا أراد الله هوانَ المُريد.. ألقاه إلىٰ هؤلاء الأنتان والجيف. يريد به صحبة الأحداث؛ وصحبتُهُم مِنْ أكبر القواطع.

---

(١) هو أبو العباس، أحمد بن محمد بن مسروق البغدادي، (المتوفىٰ سنة ٢٩٨هـ)، الشيخ الإمام الزاهد الجليل، شيخ الصوفية، صحب الحارث المُحاسِبي، ومحمد بن منصور الطوسي، والسَّري السَّقَطي، وروىٰ عن أحمد بن حنبل، وعلي بن المَدِينِيِّ، ومن بعدهم، وهو القائل: التصوف: خُلُوُّ الأسرار ممَّا منه بُدٌّ، وتعلُّقها بما لا بُدَّ منه، ومَنْ راقب الله تعالىٰ في خطرات قلبه.. عصمه الله في حركات جوارحه. انظر: «طبقات الصوفية» (١٨٩) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ١٠٠) وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٩٤) وما بعدها.

(٢) أخرجه النسائي في «سننه» رقم (٥٠١٤) من حديث أنس ﷺ.

(٣) هو أبو بكر محمد بن موسىٰ الواسطيُّ (المتوفىٰ سنة ٣٣١هـ)، أصله من فرغانة، واستوطن مرو، وكان من أصحاب الجُنَيْدِ والنُّورِيِّ، لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل كلامه، وكان عالمًا بأصول الدين والعلوم الظاهرة، من كلامه: إذا ظهر الحق علىٰ السرائر.. لم يبق فيها فضلة لرجاء ولا خوف. انظر: «طبقات الصوفية» (٢٣٢)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ١٠٨) و«الوافي بالوفيات» (٥/ ٥٨).

وكان ابن الصَّايغ(١) يقول: مِنْ صفات المُريد الصادق: أن تضيق عليه الدنيا بما رحبت، وتضيق عليه نفسه؛ حتىٰ لا يبقىٰ له فراغ إلىٰ خطاب مخلوق.

وكان الشِّبْلِيُّ يقول: كلُّ مريد لم يُرْضِ جميعَ خصمائِهِ في حقوقهم قبل الدُّخول في عهد الشَّيخ.. لا يصِحُّ له قدم في الطريق. وكان يقول: كلُّ مريد مَهَّدَ له فراشًا عند النوم.. فهو كسلان؛ لم يَصْلُحْ لخدمة الملوك، ووالله لقد [٦٢/أ] اكتحلتُ بالملح في بعض الليالي كذا وكذا مرَّة حتىٰ تعوَّدَتْ نفسي السَّهر، ولقد كنت أدخل سِرْدابًا ومعي حِزْمَةٌ مِنْ أغصان الخيزران، فكلَّما جاءني النوم.. أضرب بها نفسي، حتىٰ ربما فَنِيَتْ كلها قبل الصباح، فأضرب يدي ورجلي في الحائط.

وكان رضي الله عنه قبل دخوله في الطريق واليًا في نهاوند بأرض العجم، فلمَّا أراد الطريق.. أتىٰ إلىٰ أهل تلك المدينة وأرضاهم كلَّهم رضي الله عنه.

وكان أبو علي الرُّوْذَبَارِيُّ(٢) يقول: كلُّ مريد ترخَّص في سماع الملاهي..

(١) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن سهل الدينوري، ابن الصائغ، (المتوفىٰ سنة ٣٣٠هـ)، من كبار مشايخ الصوفية، أقام بمصر، ومات بها، قال أبو عثمان المغربي: ما رأيت من المشايخ أنور من أبي يعقوب النهرجوري، ولا أكثر هيبة من أبي الحسن بن الصائغ. انظر: «طبقات الصوفية» (٢٤٠)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ١١٠)، و«طبقات الأولياء» (٣٤٩).

(٢) هو أبو علي، محمد بن أحمد بن القاسم الرُّوْذبَارِيُّ، (المتوفىٰ سنة ٣٢٢هـ)، فاضل من كبار الصوفية، صَحِبَ الجنيد وأبا الحسين النُّوري، وأبا حمزة البغدادي، وابن الجلاء، الطبقة أعلىٰ المشايخ، وأعلمهم بالطريقة، أقام بمصر ومات بها، قال أبو علي الكاتب: ما رأيت أحدًا أجمع لعلم الشريعة والحقيقة من أبي علي. انظر:

فهـو كاذب. وكان يقـول: مِـنْ علامـة كَـذِبِ المُريـد: أنْ يسـامحه الله تعالىٰ في الهفوات، فليكن علىٰ حذر.

وكان الثَّقَفِـيُّ(١) يقـول: لـو أنَّ المُريد جمع جميع العلـوم، وصحب جميع طوائف الناس.. لم يبلغ مبلغ الرجال إلَّا بالرِّياضة علىٰ يد شيخ أو إمام أو مؤدِّب ناصـح؛ فـإنَّ مَنْ لم يأخـذ أدبه مِنْ أسـتاذ يُريهِ عيـوب أعماله ورعونات نفسـه.. لا يجـوز الاقتـداء بـه في تصحيـح المعامـلات، ولا يصح علىٰ يـده مريد. وكان يقـول: [٦٢/ب] مِنْ علامة المُريد الصادق: غضُّ بصره كلَّما خرج إلىٰ السـوق، أو تَقَنُّعُهُ بردائه؛ حتىٰ لا ينظر إلا مواضع قدمه؛ كما يفعل الرُّهبان.

وكان إبراهيم بن شيبان(٢) يقول: مَنْ أراد مِنَ المُريدين أنْ يتعطَّل ويتبَطَّل.. فليلزم الرخص.

«الرسـالة القشـيرية» (١/ ١١٩)، و«مرآة الجنان» (٢/ ٢١٥)، و«سـير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥٣٥).

(١) هـو أبـو علي، محمد بن عبد الوهـاب الثقفي، (٢٤٤-٣٢٨هـ)، وكان إمامًا في أكثر علوم الشـرع، مُقَدَّمًا في كل فنٍّ منه، واشـتغل بعلم الصوفية، وتكلم فيه أحسن كلام، لقـي أبا حفـص وحمدونًا القصـار، وأخذ عنهما وعـن طبقتهما، قال فيـه أبو العباس الزاهـد: كان أبـو علـي فـي عصره حجـة الله علـىٰ خلقه. انظـر: «طبقـات الصوفية» (٢٧٤) وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٢٨١) وما بعدها، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٣/ ١٩٢) وما بعدها.

(٢) هو أبو إسـحاق، إبراهيم بن شيبان القِرْمِيسِـيني، (المتوفىٰ سنة ٣٣٧هـ)، شيخ الجبل فـي وقتـه، له مقامـات في الـورع والتقـوىٰ، صحب أبا عبـد الله المغربـي، وإبراهيم الخـوَّاص، وكان شـديدًا علـىٰ المدَّعيـن، متمسِّـكًا بالكتاب والسـنة، لازمًـا لطريقة

وكان ابن خَفِيفٍ يقول: ليس شيء أضرَّ على المُريد مِنْ مسامحة النَّفس في ركوب الرُّخص وقبول التأويلات.

وكان النَّصْرَباذِيُّ[(١)] يقول: كلُّ مريد جالس النِّسْوانَ.. فهو كاذب؛ فإنَّه ما دامت الأشباح[(٢)] باقيةً.. فإنَّ الأمر والنهي باقٍ، والتحليل والتحريم يخاطَبُ به، ولا يجترئ على الشُّبهات إلَّا مَنْ تعرَّض للحُرُمات.

وكان أبو عليٍّ الرُّوذَبارِيُّ يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: إذا دُعِيَ إلى وليمَةٍ مع شيخه.. أنْ يأكلَ طعامًا قبل أنْ يذهب؛ حتى لا يصير له نَهْمَةٌ إلى الأكل؛ صيانَةً للخِرْقَةِ.

المشايخ والأئمة. انظر: «طبقات الصوفية» (٣٠٣) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ١٣٠) وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٩٢) وما بعدها.

(١) هو أبو القاسم، إبراهيم بن محمد بن أحمد النَّصْرَاباذِيُّ، (المتوفى سنة ٣٦٧هـ)، شيخ خراسان في وقته، نيسابوري الأصل والمنشأ والمولد، برع في أنواع من العلوم؛ من حفظ السير وجمعها، وعلوم التواريخ، وما كان مختصًّا به من علم الحقائق، وكان أوحد المشايخ في وقته علمًا وحالًا، صحب أبا بكر الشبلي، وأبا علي الرُّوذَبارِيَّ، وأبا محمد المُرْتَعِش، وغيرهم من المشايخ، خرج في آخر عمره إلى مكة، وحج (سنة ٣٣٦هـ)، وأقام بالحرم مجاورًا، كتب الحديث الكثير، ورواه، وكان ثقة. انظر: «طبقات الصوفية» (٣٦٢) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ١٤٥) وما بعدها، و«الوافي بالوفيات» (٦/ ٧٧).

(٢) في كل النسخ: (الأشياخ)، وهو تصحيف، والمثبت الموافق للسياق، وهو ما في «الرسالة القشيرية» (١/ ١٤٥)، و«مرآة الجنان» (٤/ ٣٥٧) وغيرها.

وكان أبو عليٍّ الدَّقاق يقول: المُريد الصادق لا التفاتَ له إلىٰ غير الوقت الذي هو فيه.

وكان الجُنَيْدُ يقول: لا يُؤذَنُ لمُريدٍ في السَّماع [١/٦٣] إلَّا إنْ كان يُرْسِلُ وجده إذا شاء، ويَقْبِضُه إذا شاء، ومِنْ علامة صحَّة الوَجْدِ: أنْ يعطي قُوَّةً في حال السماع زائدة علىٰ قوَّتِهِ في حال الصحو؛ كأنْ يحمل صخرَةً عظيمة، أو يقلَعَ شجرة كبيرة مِنْ أصلها، أو نحو ذٰلك.

قلتُ: وقد حكىٰ لي شيخنا أنَّه رأىٰ أبا الحمائل - وهو نحو ابن مائة سنة - يحمل زِيْرَ[١] الجامع وهو ملآن، ويدور به وهو في حال السَّماع، وكان إذا صحا.. يعجز عن حمل إبريقه للوضوء.

وكان أبو علي الدَّقَّاق يقول: كلُّ مريد رجع لمحادثة الإخوان الذين كان يحادثهم قبل الإرادة، وعاشرهم علىٰ ما كان عليه أولًا معهم[٢].. فهو كاذب في إرادته، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٧]، وما رجع مريد إلىٰ إخوانه قبل الإرادة.. إلا وانحلَّ عزمُهُ. وكان يقول: كلُّ مريد لم يكن له في بدايته مجاهدة.. لا يجد مِنْ هٰذه الطريق شَمَّةً.

وكان أبو عثمان المغربي[٣] يقول: مَنْ ظنَّ مِنَ المُريدين أنَّه يُفْتَحُ عليه بشيء

---

(١) الزِّير: الدَّنُّ، والجمع: أزْيَار، أعجميٌّ، أو الزِّيرُ: الحُبُّ الذي يُعْمَل فيه الماءُ؛ بلُغَة العِراق. «تاج العروس» مادة (ز ي ر).

(٢) قوله: (وعاشرهم علىٰ ما كان عليه أولاً معهم) مثبت من (س)، وساقط من بقية النسخ.

(٣) هو أبو عثمان، سعيد بن سلام المغربي القيرواني، (المتوفىٰ سنة ٣٧٣هـ)، نزيل

مِنْ أحوال القوم بغير مجاهدة.. فقد غلط. وكان يقول: مَنْ لم يكن له في بدايته قَوْمَةٌ.. لم يكن له في نهايته جلسة.

وكان [٦٣/ب] أبو يزيد يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: أنْ يرىٰ الخَلْقَ كلَّهم موتىٰ؛ فيكبِّر عليهم أربع تكبيرات، وذٰلك لأنَّ مُطالعَتَهم تشغل قلب المُريد.

وكان السَّقَطِيُّ يقول: يا معشر الشباب؛ جِدُّوا قبل أنْ تبلغوا مبلغي؛ فتضعفوا عن العبادات. قال الجُنَيْدُ: وكنَّا في ذٰلك الوقت لا نلحقُهُ. وكان يقول: مبنىٰ أمر المُريد علىٰ ثلاثة أشياء: ألَّا يأكل إلا عند الفاقة، ولا ينام إلَّا عند الغلبة، ولا يتكلَّم إلَّا عند الضَّرورة.

وكان ابن نُجَيْدٍ[١] يقول: كلُّ مريد أكرَمَ نفسَهُ ولم يعاقبها.. فهو كاذب في

نيسابور، أوحد عصره، لم يوصف مثله قبله، صحب ابن الكاتب وحبيبًا المغربي وأبا عمرو الزجاجي، ولقي النهرجوري وابن الصائغ وغيرهم، وأوصىٰ بأن يصلي عليه الإمام أبو بكر بن فورك ﷺ تعالىٰ، قال فيه الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: لم نرَ مثله في عُلُوِّ الحال وصون الوقت، ووفاته بنيسابور. انظر: «طبقات الصوفية» (٣٥٨) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ١٤٤) وما بعدها، و«مرآة الجنان» (٢/ ٣٠٢) وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٢٠) وما بعدها.

(١) هو أبو عمرو، إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي النيسابوري، (المتوفىٰ سنة ٣٦٦هـ)، زاهد عابد، صحب أبا عثمان الحِيْرِيَّ، وهو من كبار أصحابه، وهو آخر من مات من أصحاب أبي عثمان، ولقي الجُنَيْدَ، وكان من أكبر مشايخ وقته، له طريقة ينفرد بها من تلبيس الحال وصون الوقت، سمع الحديث، ورواه، وكان ثقة، وتوفي بمكة، من كلامه: من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه.. فقد أظهر

دعواه الإرادة، وكذٰلك إذا نُسِبَتْ إليه[1] رذيلَةٌ فأجاب عنها.. فهو كاذب.

قال شيخنا رضي الله عنه: وكان حال المُريدين في زاوية أبي عثمان الحِيرِيِّ الإيثار بجميع ما يفتح الله به عليهم، وكانوا لا يبيتون علىٰ معلوم، وكانوا إذا استقبلهم أحد بمكروه.. لا ينتقمون لأنفسهم، بل يعتذرون إليه، ويتواضعون له، وإذا وقع في قلوبهم حقارة لأحد.. قاموا بخدمته والإحسان إليه؛ حتىٰ تزول تلك الحقارة.

وكان [٦٤/أ] الجُنَيْدُ يقول: أكثرُ المشايخ علىٰ أنَّ حقيقة الإرادة: تركُ ما عليه العادة، وعادة الناس - في الغالب - التَّعريج في أوطان الغفلة والرُّكون إلىٰ اتِّباع الشَّهوات، فكلُّ مريد عرَّج ورَكَنَ.. فهو كاذب.

وكان ذو النُّون المصري يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: ألا يفتُرَ عن ذكر الله آناء اللَّيل وأطراف النهار، قد فارق الفراش ولازم الانكماش.

وكان ابن أبي الحَوارِيِّ[2] يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: أنْ لو قال له شيخُهُ: ادخل التنور.. دخل، ثم إذا دخل.. لا يحترق، فإذا احترق.. فهو كاذب.

جهله. انظر: «طبقات الصوفية» (٣٣٩) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ١٣٨) وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٤٦) وما بعدها.

(١) في (ظ١) و(س): (نسب إلىٰ رذيلة).

(٢) هو أبو الحسن، أحمد بن أبي الحواري، (المتوفىٰ سنة ٢٣٠هـ)، من أهل دمشق، صحب أبا سليمان الداراني وغيره من المشايخ مثل: سفيان بن عُيَيْنة، ومروان بن معاوية الفَزارِيِّ، ومضاء بن عيسىٰ، وأبوه - أبو الحَوارِيِّ - كان من العارفين الورعين أيضًا، فبيتهم بيت الورع والزهد، كان الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحَوارِيِّ ريحانة الشام. انظر: «طبقات الصوفية» (٩١) وما بعدها، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٦٨) وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٨٥) وما بعدها.

وكان أبو بكر الدَّقاق يقول: آفة المُريد ثلاثة: التزويج، وقراءة الفقه الذي لا حاجة له به، والسفر قبل الكمال.

وكان الجُنَيْدُ يقول: مِنْ علامة صدق المُريد: عدم ميله إلىٰ غير طريقه، وإذا أراد الله بمريد خيرًا.. دفعه إلىٰ الصُّوفيَّة، ومنعه صحبة الفقهاء وأهل الجدال(١).

وكان أبو بكر الدَّقَّاق يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: ألَّا يكتب عليه ملك الشمال خطيئة نحو ثلاثين سنة.

وكان أبو عثمان(٢) يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: أنْ يعمل بكلِّ شيء سمعه عن القوم أوَّلًا فأوَّلًا، وإنْ لم يعمل به كذٰلك.. فهو حكاية كلام سَمِعَهُ، فقيل له: فهل تنفعه الحكاية؟ قال: ربما تنفعه.

وكان الجُنَيْدُ يقول: المُريد الصادق [٦٤/ب] غنيٌّ عن عِلْمِ العلماء.

وكان أبو سعيد الخَرَّازُ(٣) يقول: مِنْ علامة كذب المُريد وعدم صدقه: أنْ

---

(١) في (ظ٢): (ومنعه صحبة القراء من أهل الجدال).

(٢) يعني الحِيرِيَّ، ونصُّ «الرسالة القشيرية» (٢/ ٣٥٣-٣٥٤) عنه: (المُريد إذا سمع شيئًا مِنْ علوم القوم فعمل به.. صار حكمة في قلبه إلىٰ آخر عمره؛ ينتفع به، ولو تكلَّم به.. انتفع به من سمعه، ومن سمع شيئًا مِنْ علومهم ولم يعمل به.. كان حكاية؛ يحفظها أيامًا ثم ينساها).

(٣) هو أبو سعيد، أحمد بن عيسىٰ الخَرَّاز، (وفاته قيل: ٢٧٧هـ وقيل:٢٨٦هـ)، من مشايخ الصوفية، من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري والسري وبشرًا وغيرهم، نسبته إلىٰ خرز الجلود، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، له تصانيف في علوم القوم، ومن كلامه: إذا بكت أعين الخائفين، فقد كاتبوا الله بدموعهم. انظر:

يرىٰ قيامه أفضل مِنْ نوم شيخه، ومِنْ علامة صدقه: أنْ يرىٰ أنَّ رياء شيخه أفضَلُ مِنْ إخلاصه هو.

وكان الشِّبْلِيُّ يقول: المُريد الصادق لا يزور ولا يُزار.

وكان أبو علي الدَّقَّاق يقول: ما ثَمَّ شيءٌ أدَلَّ علىٰ حصول السعادة للمُريد مِنْ مداومة الذِّكر، فمَنْ وُفِّقَ للمداومة عليه.. فقد أُعْطِيَ منشور الولاية. وكان يقول: الذِّكر سيف للمُريدين؛ به يقاتلون أعداءهم، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم.

وكان ذو النُّون المصري يقول: مِنْ علامة صدق المُريد: أنْ يذكر الله علىٰ كلِّ حال ولو لم يجد في قلبه حلاوة.

وقيل لأبي عثمان: إنَّا نذكرُ ولا نجد في قلوبنا حلاوة! فقال: احمدوا الله علىٰ أنْ زيَّن جارحةً مِنْ جوارحكم بطاعته؛ وإلَّا.. فمِنْ أين لكم التوصُّل إلىٰ أنْ تذكروه علىٰ لسانكم سبحانه وتعالىٰ؟!

وكان الشِّبْلِيُّ يقول: مِنْ علامة صدق المُريد: ألا يقوم قَطُّ مِنْ مجلس الذِّكر إلَّا وقد استفاد مِنَ الحَقِّ أخلاقًا. وكان يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: أنَّ كل شيطان قَرُبَ منه.. صُرِعَ كما يُصْرَعُ[1] الإنسان [١/٦٥] إذا دنا منه الشيطان. وكان يقول أيضًا: مِنْ علامة المُريد الذَّاكر الصَّادق: إذا وقع منه دَمٌ.. يكتب علىٰ

«الرسالة القشيرية» (١/ ٩٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٢١)، و«طبقات الأولياء» (١/ ٤٠).

(١) في (ظ١) و(س): (صرخ كما يصرخ).

وجـه الأرض: الله الله. وكان يقـول: مِنْ علامة صدق المُريد: اعتقادُهُ أنَّ شـيخه جاسوس قلب؛ يدخل في قلبه ويخرج مِنْ حيث لا يحتسب.

وكان أبـو علي الدَّقَّـاق يقول: يصل المُريد بإرادته إلـىٰ الجَنَّة، وبصدقه في إرادتـه إلىٰ الله تعالىٰ. وكان يقول: مِنْ شـأن المُريد الصادق ألَّا يُسْـنِدَ ظهره إلىٰ شـيء إذا جلـس. وكان يقـول: الفقراء ملـوك، وكل مريد صحبهـم بغير صدق.. قتلوه.

ولمَّا دخل أبو حفص الحداد بغداد.. قال له الجُنَيْدُ: أدَّبت أصحابك بآداب السـلاطين. فقـال أبو حفص: حُسْـنُ الأدب فـي الظاهر عُنوانُ حُسْـنِ الأدب في الباطن.

وكان أبـو علي الدَّقَّاق يقول: مِنْ علامة المُريد الصادق: حفظُ قلبِ شـيخِه عـن التغييـر عليـه؛ لِمَا هو عليه مِنْ شـدَّة السياسـة والمحبة لشـيخه، ومِنْ علامة المُريد الكاذب: الاعتراض علىٰ شيخه ولو بقلبه، وقد أجمع الأشياخ كلُّهم علىٰ أنَّ عقـوق الأسـتاذِينَ لا توبة منها، فكلُّ مَنْ صحب شـيخًا واعتـرض عليه.. فقد نَقَضَ عهد الصُّحبة، وخرج عن طريقته، وانقطعت العلاقة بينهما.

وكان [٦٥/ب] الشَّـيخ أبـو عبد الرحمن السُّـلَمِيُّ(١) يقول: مَنْ قال لأسـتاذه:

---

(١) هـو أبـو عبـد الرحمـن، محمد بـن الحسين بن محمد بـن موسـىٰ الأَزْدِيُّ السُّـلَمِيُّ النيسـابوريُّ، (٣٢٥-٤١٢هـ)، شـيخ الصوفيـة وعالمهـم، وصاحـب تاريخهـم وطبقاتهم وتفسـيرهم، وله تصانيف كثيرة، قيل: بلغت مائة أو أكثر، منها: تفسـير علىٰ طريقـة أهل التصـوف، و«طبقات الصوفية»، وغيرها، قال الخشَّـاب: كان مرضيًّا عند الخـاص والعام، والموافق والمخالف، والسـلطان والرعية، في بلده وفي سـائر بلاد

لِـمَ؟.. لـم يفلـح أبـدًا، ومَـنِ ادَّعـىٰ الصِّدق مِـنَ المُريديـن في صحبته شـيخه.. فليَعْـرِضْ علىٰ نفسـه لو جاء علىٰ يد شـيخه تفرقة مال فأعطـىٰ جميع الفقراء كلَّ واحدٍ نصيبَهُ إلَّا هو مع شـدة فاقته وحاجته، فمَنْ لـم ينشـرح لعدم العطاء أكثرَ مِنَ العطـاء.. فهو كاذب مع شـيخه، خائن عقد الصحبة؛ لأنَّه قـد كان دخل معه علىٰ أنَّه تحت حكمه، راضٍ بكل ما فعله معه، فمتىٰ اختار شيخُهُ شيئًا واختار خلافَهُ.. فقد خرج عن صحبته، والواجب عليه التوبة، ثم إنْ شاء شيخُهُ.. قَبِلَهُ، وإنْ شاء.. رَدَّه.

وكان أبـو يزيـد البِسْـطامِيُّ يقول: كل مريـد ادَّعىٰ الصدق مع شـيخه وآذاه شـيءٌ في الوجود بغير رضاه مِنْ ظالمٍ أو جائر أو عدوٍّ أو سَبُعٍ.. فهو كاذب؛ فإنَّه لا يؤذيـه شـيءٌ إلا وخاطر شـيخه متغيِّرٌ عليـه، فلو كان خاطر شـيخه طيِّبًا عليه.. حُفِظَ مِنْ كلِّ سوء.

وكان ﷺ يقـول: كلُّ مريـد يقطع شـيخُهُ عليـه عبادَةً مِنْ صـلاة أو صوم أو قراءة أو اشـتغال بعلم أو حرفة فتكَدَّرَ مِنْ ذٰلك.. فقد سَـقَطَ مِنْ [٦٦/أ] عين الله عَزَّ وجَلَّ، وقد قال شـفيق البلخي لمُريد: أفطر معنا اليوم.. ولك أجر يوم، فقال: لا، فقال: أجر جمعة، قال: لا، قال: أجر شهر، قال: لا، قال: أجر سنة، قال: لا، فقال

المسـلمين، ومضىٰ إلـىٰ الله كذٰلك، وحبـب تصانيفه إلىٰ الناس، انظر: «سـير أعلام النبـلاء» (١٧/ ٢٤٨) ومـا بعدهـا، و«مرآة الجنـان» (٣/ ٢١) وما بعدهـا، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٤/ ١٤٣) وما بعدها.

أبو يزيد: دعوه فقد سقط مِنْ عين الله عَزَّ وجَلَّ ورعايته، فخَرَجَ فَسَرَقَ فقُطِعَتْ يدُهُ[١].

وكان أبو عثمان يقول: ما استصغر مريدٌ شيخَهُ عن دعوىٰ ادَّعاها.. إلا حُرِمَ بركتَهُ، وعُدم النفعَ بكلامه.

والحكايات والمقالات في ذٰلك كثيرة مشهورة، ومَنْ عمِلَ بالقليل.. جرَّه ذٰلك - إنْ شاء الله - إلىٰ العمل بالكثير، ومَنْ لم ينتفع برؤية شيخه وصحبته.. لم ينتفع بكلام في أوراق[٢]، والله يهدي مَنْ يشاء إلىٰ صراط مستقيم، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين[٣]، وسَلَّم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا إلىٰ يوم الدين.

---

(١) ذكر القصة القُشَيْرِيُّ في «رسالته» (٢/ ٥٠٢) فقال: (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السُّلَمِيَّ يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت أبا عبد الله الدينوري يقول: سمعت الحسن الدامغاني يقول: سمعت عمي البِسْطامي يحكي عن أبيه: أنَّ شَقيقًا البَلْخيَّ وأبا تراب النَّخْشَبِيَّ قَدِمَا علىٰ أبي يزيد، فقُدِّمَت السُّفرة وشابٌّ يخدم أبا يزيد، فقالا له: كُلْ معنا يا فتىٰ، فقال: أنا صائم، فقال أبو تراب: كُلْ.. ولك أجر صوم شهر، فأبىٰ، فقال شَقِيقٌ: كُلْ.. ولك أجر صوم سنة، فأبىٰ، فقال أبو يزيد: دعوا مَنْ سقط مِنْ عين الله تعالىٰ، فأُخِذَ ذٰلك الشابُّ في السرقة بعد سنة، فقُطِعَتْ يده).

(٢) حشىٰ الناسخ هنا في هامش (ظ١): بقوله: (قوله: (لم ينتفع بكلام في أوراق) صدق، ولكن إذا كان للإنسان شيخ كامل.. فالأوراق تُعَرِّفُه كيفية السلوك مع الشيخ، وتُعَرِّفُه مقدار الشيخ، هٰذا إذا كان محبًّا صادقًا للشيخ، أمَّا إذا لم يكن صادقًا مع الشيخ.. فلا تفيده الأوراق).

(٣) في (ظ٢) زيادة هنا، نصها: (وقال شَقيقُ بن إبراهيم البَلْخِي: لقيتُ إبراهيم بن أدهم



وأما في نسخة (س): (وكان الفراغ من كتابة هٰذه النسخة الشريفة يوم الإثنين، الموافق لواحد وعشرين يومًا خلت من شهر رجب الحرام الذي هو من شهور سنة أربع وثمانين ومائتين وألف من هجرته ﷺ، على يد كاتبها ـ أعني صاحبها ـ راجي مواهب ربِّه السَّنيَّة، أفقر العباد إلى الله: السيد عَطِيَّة، غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين، آمين، وصلى الله على سيِّدنا محمد النبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله ربِّ العالمين، آمين).

وأما نسخة (ط).. فهي ساقطة الآخر.

وافق فراغ هٰذه النسخة نهار الإثنين المبارك، أوائل شهر شعبان سنة (١٣٣)(١)، علىٰ يد الفقير الحقير: عمر بن أحمد بن محمد بن جبر الأبوجري(٢) [٦٦/ب].

بمكَّة فقال لي: اجتمعت بالخضر عليه السلام فقدم قدحًا فيه رائحة السكباج، فقال لي: كل يا إبراهيم، فرددتُهُ عليه، فقال: إنِّي سمعت الملائكة تقول: مَنْ سُئِلَ فلم يأخُذْ.. سَأَلَ ولم يُعطَ، وقال أبو يزيد طيفور بن عيسىٰ البِسْطامي: لو شفعني الله تعالىٰ في جميع أهل عصري.. لم يكن ذٰلك عندي بكثرة؛ لأنَّه شفعني في قطعة مِنْ طين الله، والله أعلم.

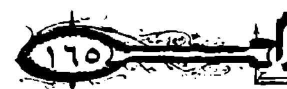
انتهىٰ كتاب مدارج السالكين إلىٰ رسوم طريق العارفين للقطب الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني، رحم الله تعالىٰ روحه، ونوَّر ضريحه، ونفعني بعلومه الفاخرة في الدنيا والآخرة، بقلم فقير رحمة ربه العلي: إبراهيم بن يحيىٰ العَتِيلِي الحنبلي، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين أجمعين، وذٰلك نهار الخميس لثلاثة عشر بقيت من ذي القعدة الحرام مِنْ شهور سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف.

يلوحُ الخَطُّ في القِرْطاسِ دَهرًا ... وكاتِبُهُ رَميمٌ في التُّرابِ
فرَحِمَ الله مَنْ يدعو بفَضْلٍ ... لكاتِبِهِ بتخفيفِ الحِسابِ

اللّٰهُمَّ خفِّف عنه حسابه، وردِّد عنه جوابه).

(١) يعني: (١١٣٣هـ).

(٢) كذا كانت خاتمة نسخة (ظ١)، أما في (ن) فهي: (بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، الحمد لله مالك الملك ذي الجلال والإكرام، خالق الأنام، والصلاة والسلام علىٰ رسوله المختص بالإفضال والإنعام، وعلىٰ آله وأصحابه السادات الكرام، برحمتك يا أرحم الراحمين، تمت، كتاب: مدارج السالكين، بيد مُلَّا عبَّاس سنة (١٢٨٦)، آخر رمضان، ليلة العيد).



فهرس المراجع والمصادر

١ - الأخلاق المتبولية المفاضة من الحضرة المحمدية، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشَّعْراني، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢ - كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار، محمود بن سليمان الحنفي الرومي الكفوي، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣ - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبد الوهاب الشَّعْراني، تحقيق: طه عبد الباقي سرور والسيد محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

٥ - بهجة النفوس والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشَّعْراني، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان.

٦ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبـو الفيض الملقب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٧ - تاريـخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

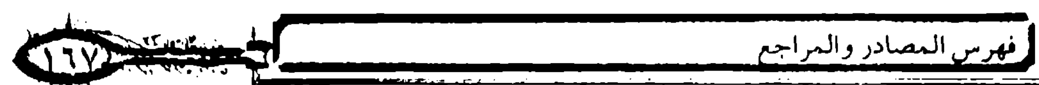
٨ - الحاوي للفتاوي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٩ - حسـن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهـرة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

١٠ - حليـة الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيـم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١١ - الـدرر الكامنـة في أعيان المائـة الثامنة، الحافظ شـهاب الدين أبي الفضل أحمد بـن علي بـن محمـد العسـقلاني، تحقيق: محمـد عبد المعيـد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

١٢ - ذيـل تاريـخ بغـداد، الإمـام الحافظ محب الديـن أبو عبـد الله محمد بن محمود بن الحسـن المعروف بابن النجار البغـدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.



١٣ - رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، محمد أمين الشهير بابن عابدين، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٤ - الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

١٥ - السناء الباهر في تكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، السيد محمد الشلي اليمني، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، اليمن، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١٦ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٧ - سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٨ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٩ - سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٠ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢١ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٢ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٣ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٤ - صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٣٩٠-١٩٧٠م.

٢٥ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٦ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٧ - طبقات الأولياء، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٨ - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٩ - طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٣٠ - طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي؛ محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣١ - الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشَّعْراني، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، مصر.

٣٢ - عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر، عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م.

٣٣ – عقود اللآل في تراجم السادة الأحمدية أهل الكمال، أبو بكر بن محمد بن علي بن عبد المحسن الأنصاري، مخطوط، عليه ذيل لحفيد المؤلف وهو تاج الدين أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، تاريخ النسخ ٩٦٠هـ.

٣٤ – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم: حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

٣٥ – الكواكب الدُّرِّية في تراجم السادة الصوفية، عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د.عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.

٣٦ – الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزي، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

٣٧ – لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٨ – لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

٣٩ – لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعم الله على الإطلاق، الإمام أبو المواهب عبد الوهاب الشَّعْراني، اعتنى به: أحمد عزو عناية، دار التقوى، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

٤٠ – متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، د. محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٤١ - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٢ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٣ - المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٤٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤٥ - مسند البزار البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

٤٦ - المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٧ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٣م.

٤٨ - معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٩ - معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٩٢٨م.

٥٠ - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٥١ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، عبد الرحمن السَّخاوي، دار الكتاب العربي.

٥٢ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.

٥٣ - المنن الوسطى، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشَّعْراني، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٤ - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، تحقيق: الدكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

٥٥ - موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، عبد الرحمن زكي، مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م.

٥٦ - موطأ الإمام مالك ـ رواية محمد بن الحسن، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: د. تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩١م.

٥٧ - نجوم المهتدين في دلائل الاجتماع للذكر على طريقة المشايخ المتأخرين برفع الأرجل والاهتزاز شوقًا لرب العالمين، الإمام الحافظ أبو المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني، تحقيق: عدنان بن عبد الله زهار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٥٨ - النصيحة السنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية، (مطبوع مع: بلوغ المرام في خلوة خلوتية الشام)، قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكري، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان.

٥٩ - نفحات الأنس من حضرات القدس، أبو البركات عبد الرحمن الجامي، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٠ - نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

٦١ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٦٢ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٣ - الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.





فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة


١٧٧

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

